

الشيعة

في التاريخ

تأليف

فضيلة العلامة الكبير الشيخ

محمد حسين الزين

نشره

الستيد مرتضى الرضوي

مفتي الطبع والنشر محمد محفوظ للمؤلف

الطبعة الثانية

الشيعة

في التاريخ

تأليف

فضيلة العلامة الكبير الشيخ

محمد حسين الزين

نشره

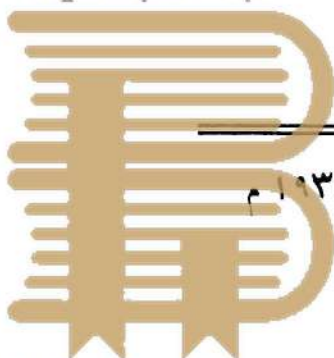
السيد مرتضى الرضوي

مفتي الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

شبكة كتب الشيعة

الطبعة الثانية

١٣٥٧ هـ مطبعة العرفان، صيدا ١٩٣٨ م



shiabooks.net

رابطہ بدیل < mktba.net

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وله الحمد على ما هدانا لتوحيدہ ، والايمان برسله وأنبيائه ، واتممك
بالتقلين الكتاب الكريم والعتره الطاهرة ، والاحترام للصحابة المهتدين والتابعين
لهم بإحسان . والصلاة والسلام على خاتم رسله محمد وعلى آله الميامين وصحبه
الأبرار .

وبعد - فإن طائفة من كتب التاريخ والمثل غير الشيعية قد صورت عقائد
الشيعية بغير باهتة فظيعة ، وتهجمت على أئمتهم وعلمائهم ، غير مستندة - في
ذلك - إلى مصدر وثيق يري من الأغراض السياسية والتعصبات المذهبية
التي تمكنت - في القرون الغائرة - من نفوس الأكرية الساحقة من الناس .
وكان يحمل بمؤلفي تلك الكتب أن يستندوا فيما يكتبونه عن الشيعة
إلى مؤلفات الشيعة الكثيرة في العقائد والاحكام ، وان يعلموا ما يقوله علماء
الشيعة في أصول الدين وفروعه ليحكموا عليهم بمقتضى تلك الأقوال . وإلا فمن
الجور في الحكم - أن يحكم الإنسان على أخيه بما يتلقاه من أفواه خصومه أو
يراه في كتب أو تلك الخصوم ، بالأخص إذا كان ذلك المحكوم عليه في
عالم الوجود معاصراً لأولئك المؤلفين مجاهراً بعقيدته ومذهبه ومثبتاً لها في
بطون الكتب المنتشرة في المعمور ،

ولنفرض - أن وجود الشيعة إنما كان في العصور الحجرية البائدة :
لكن أليس آثارهم العلمية الثمينة قد بقيت إلى عصر هؤلاء المؤلفين ولم تزل
زينة المكتبات إلى اليوم ؟ ! فكان على أولئك المؤلفين أن يروها ويستندوا إليها

كما يستند الكتاب الباحثون اليوم عن الاغريق — مثلاً — أو عن
الفينيقيين أو البابليين إلى آثارهم الظاهرة ، وبفتشون في بطون الأرض عن
الآثار الخفية ، أليس من المؤسف كثيراً أن لا ترى أحداً ممن كتب من غير
الشيعة عن الشيعة قديماً أو حديثاً — يستند في الغالب إلى مؤلف شيعي
وكيف يستندون إلى مؤلفات الشيعة الطافحة بالبراهين الساطعة على
اثبات التوحيد والنبوة وغيرهما من أركان الدين الإسلامي وأصوله ؟ ! وهم
يريدون أن يحكموا جزافاً كما حكم ابن حزم «ان الروافض ليسوا من المسلمين
وهي طائفة تجري مجرى اليهود والنصارى (١)»

ولفظ الروافض كان عنده وعند أمثاله نبزاً لعموم الشيعة حتى الاثني
عشرية كما يظهر جلياً لمن راجع « الفصل » و « الخطط » و « منهاج السنة »
و (الصواعق) وغيرها ويقول المقرئ (ان الرافضة بلغت فرقهم ثلاثمائة
فرقة ؟) والمشهور منها عشرون . الاولى الإمامية ، الثانية من فرق الروافض
الكيسانية الثالثة الخطاوية الرابعة الزيدية الخ (٢) وقد نسب بعض العقائد
الفاسدة إلى بعض أعلام الشيعة الإمامية وجعل لهم (من عنده) اتباعاً وأسماء
فقال (والزارية أتباع زرارة بن أعين احد الغلاة في الرافض . والمشامية
أتباع هشام بن الحكم ، واليونسية أتباع يونس بن عبد الرحمن (٣)) إلى غير
ذلك من الفرق التي اخترعها ولم يكن لها أثر ولا عين في الوجود .

ويقول ابن تيمية (ان الرافضة لا يعرفون إمام زمانهم ، فإنهم يدعون انه
الغائب المنتظر محمد بن الحسن (٤)) ويقول أيضاً (ان شيوخ الرافضة كالنفيد
والموسوي والطوسي وغيرهم إنما أخذوا ذلك (القول بالعدل) من المعتزلة (٥)
وقال في مكان آخر (الرافضة تجعل الأئمة الاثني عشر افضل من

(١) ج ٢ ص ٢٨ من فضله (٢) ج ٢ ص ١٧٣ من خطه (٣) ص ١٧٦
منها (٤) ص ٢٧ من منهاج السنة (٥) ص ٣١ من منهاج

السابقين الاولين) ويقول ابن حجر الميمني (وزعمت الرافضة ان المهدي هو
 الامام محمد بن الحسن العسكري ثاني عشر الأئمة (١)) فهذا القول أو الزعم
 — على زعم الميمني — لا يقوله غير الشيعة الاثني عشرية فهم المقصودون إذ
 بهذا الخبر المتعل الذي ادعى ابن حجر ان الذهبي أخرجه عن علي وان علياً
 (قال: قال رسول الله ﷺ يظهر في أمي في آخر الزمان قوم يسمون
 الرافضة يرفضون الإسلام (٢)) وان الدارقطني أخرجه بزيادة انه عليه السلام
 قال لمي (فإن أدر كنهم فاقتلهم فإنهم مشركون قال قلت ما العلامة فيهم
 قال يقرضونك بما ليس فيك ويطعنون على السلف) وان ظهور اسم الرافضة بعد
 علي بتأويل وثبوت الطعن على بعض السلف في حياة علي وكون علي نفسه قد
 طعن على ذلك البس . انه ذلك كله يدل بوضوح على كذب هذا الخبر المحدد
 لظهور الرافضة في آخر الزمان والأمر بقتلهم لخصوص الطعن على الخاطئين
 من السلف ..

وبشك الاخبار المنسوبة إلى الشعبي والمنسوبة لسقائذ الرافضة لأن الشعبي
 قد توفي سنة ١٠٥ هـ واسم الرافضة ظهر يوم نهض يزيد بن علي سنة ١٢١ هـ
 أي بعد وفاة الشعبي بسنين ، ولكن ابن حجر تفاقل عما سيأتي ذلك الخبر من
 علائم الكذب والرضع فلا أجله كرر في صواعقه وأخذ بصول به كما كرر
 تلك الألفاظ البذيئة في حق الشيعة البريثيين

وانا لأمر عليهما سرور الكرام ولم تأت على ذكرها في كتابنا كرها بما
 كسبه — على الأقل — من تباعد القلوب الحرصين على نهجها في مثل هذه
 الأيام الشديدة على الإسلام والمسلمين . وإنما ذكرنا غيرها من أقوال
 المقرزي وابن حزم وابن تيمية وابن حجر لتسندل بها على ان مرادهم بالرافضة
 — عينا يذكرونها — عموم الشيعة حتى الاثني عشرية الذين هم من الإسلام

في الصميم حيث تلقوا إسلامهم بأصوله وفروعه من كتاب الله وسنة رسوله
 تلك التي رواها لهم العترة عن جدهم عن جبرائيل عن الباري فلا «يجرون
 مجرى اليهود والنصارى» ولا يقولون «بالتناسخ وغيره» «مارماهم بالمقرزي
 وغيره ولا «بقرضون عليا بما ليس فيه» فهم مسلحون لا مشركون وإن جعلوا
 أئمتهم أفضل من السابقين الأولين أو طعنوا على بعض السلف المعاند لرسول
 الله ﷺ في قوله (لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه وتكون
 عترتي أحب إليه من نفسه ولا يدخل الإيمان قلب رجل حتى يحبهم الله وفي
 أخرى لا يدخلون الجنة حتى يؤمنوا ولا يؤمنون حتى يحبواكم لله ولرسوله (١))
 ومن الحق أو الجهل أو الجحود — أن يفرض على المسلمين موالاته من
 خالف قول رسول الله ﷺ (من سب أهل بيتي فأنا يرتد عن الإسلام
 ومن آذاني في عترتي فعليه لعنة الله ومن آذاني فيهم فقد آذى الله • أن الله
 حرم الجنة على من ظلم أهل بيتي أو قاتلهم أو أعان عليهم أو سبهم وصح أيضاً
 أنه قال والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله الله النار (٢))
 وقد أثبت التاريخ الصحيح وصححت كتب الحديث المعتبرة عند أهل
 السنة — أن بعض السلف قد سب أهل البيت على منابرهم وآذاهم وظلمهم وقتل
 خيارهم وحاربهم وأعان عليهم وأبغضهم وسترى اثبات ذلك أن شاء الله
 أضف إلى ذلك ما عدده أبو عثمان الجاحظ من الآثام التي اقترفها بعض
 السلف طي رسالته في بني أمية • منها قوله « استوى معاوية على الملك واستبد
 على بقية أهل الشورى ، وعلى جماعة المسلمين من المهاجرين والأنصار في العام
 الذي سموه عام الجماعة وما كان عام جماعة بل عام فرقة وقهر وجبرية وغلبة
 والعام الذي تحولت فيه الإمامة ملكاً كسروياً ، والخلافة غصباً قيصرياً ، ثم
 ما زالت معاصيه من جنس ما حكيناه وعلى منازل ما رتبناه حتى رد قضية

رسول الله ﷺ رداً مكشوفاً وجحد حكمه جحداً ظاهراً ، فخرج بذلك من حكم الفجار إلى حكم الكفار ، وليس (١) قتل حجر بن عدي وإطعام عمرو بن العاص خراج مصر ، وبيعة يزيد الخليم ، والاستئثار بالفيء واختيار الولاة على الهوى ، وتعطيل الحدود بالشفاعة والقراية ، من جنس الأحكام للنصوصه والشرائع المشهورة ، والسنن المنصوبة ، وسواء جحد الكتاب ورد السنة إذا كانت في شهرة الكتاب وظهوره إلا أن أحدهما أعظم وعقاب الآخرة عليه أشد

وقد أربت (٢) نابتة عصرنا ومبدعة دهرنا فقالت لا تسبوه فإن له صحبة وسب معاوية بدعة ، ومن بغضه فقد خالف السنة ، فزعمت أن من السنة ترك البراءة من جحد السنة (٣) »

ومن ذلك السلف الذي يكون الطاعن عليه مشركاً بزعم ابن حجر — عمرو بن العاص الذي لب على عثمان (رض) وسر بقتله ، ثم اجتمع مع معاوية يطالب بدمه من كان من أشد المدافعين عنه وأعطفهم عليه يوم أمر طلحة بمنع الماء عنه وتعجيل قتله .

كل ذلك كان من ابن العاص حباً بخراج مصر لا بعثمان ولا بمعاوية أيضاً وقد حذر الرسول ﷺ من اجتماعهما وأمر بالتفريق بينهما وصرح بأنها لا يجتمعان إلا على غدر (٤) ومن السلف يزيد خليفة معاوية الذي « ولي ثلاث سنين (بعده) فقتل في الأولى الحسين (ع) وفي الثانية أخاف المدينة وفي الثالثة رمى الكعبة (٥) » وكفاه (حسنة) جهره بقوله

(١) الظاهر أو ليس كما يدل عليه سياق الكلام (٢) أربت بمعنى زادت يقال أربى على المحبين أي زاد عليها (٣) ص ٢٩٤ من رسائل الجاحظ طبع مصر (٤) انصر ج ٣ ص ١١٣ من العقد الفريد وص ١٠٢ و ١٣٥ من تطهير الجنان المطبوع على هامس الصواعق (٥) ص ٢٢٣ من تذكرة سبط ابن الجوزي وص ١٠٣ من الفخري

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل
ومثله مروان بن الحكم الذي كان من أشد الناس بغضاً لأهل البيت (ع)
بشهادة ابن حجر الذي يقول « ومن أشد الناس بغضاً لأهل البيت مروان
ابن الحكم . وكان هذا سر الحديث الذي صححه الحاكم — ان عبد الرحمن
ابن عوف (رض) قال كان لا يولد لأحد مولود إلا أتى به النبي ﷺ
فيدعوه له . فادخل عليه مروان بن الحكم فقال هذا الوزغ بن الوزغ الملعون
ابن الملعون . واستأذن الحكم بن العاص على رسول الله ﷺ فعرف صوته
فقال ائذنوا له فعليه لعنة الله وعلى من يخرج من صلبه إلا المؤمن منهم وقليل
ما هم يترفعون في الدنيا ذرو مكر وخديعة وما لهم في الآخرة من خلاق (١) »
« وصح أيضاً انه ﷺ رأى ثلاثين منهم ينزون على منبره نزو القردة
فغاظه ذلك وما ضحك بعده إلى ان توفاه الله (٢) »

وقس عليهم مثل الوليد بن عقبة شارب الخمر والزائد في الفريضة، وعبد الله
ابن أبي مرثد الذي أهدر النبي ﷺ دمه : هؤلاء هم السلف الذين تطعن
عليهم الشيعة عندما تقيسهم بمقياس الدين وتزنهم بميزان الشرع وتحكم عليهم
بحكم الشارع الأقدس الذي خبرهم وعرف سوء نياتهم فلعنهم وحذر منهم
وأهدر دم بعضهم وأمر بقتل آخر فقال ﷺ « إذا رأيتم معاوية بن أبي
سفيان يخطب على منبري فاضربوا عنقه (٣) »

ثم ان كان الطعن على مثل هذا البعض من السلف يوجب الحكم بالقتل
والشرك كما يشير إليه ذلك الخبر الموضوع . فلماذا لا يحكم بهما من طعن على
خيرة السلف من أهل البيت ما يقرب من سبعين سنة على منابر الاسلام ؟ !
أليس تبرأة هؤلاء الطاعنين على أهل البيت وتكفير الشيعة لطعنهم على

(١) ص ١١١ من الصواعق وص ١٥٥ من تطهير الجنان (٢) ص ١٢٩ من

تطهير الجنان لابن حجر (٣) ج ١ ص ٣٤٨ من شرح النهج للمعتزلي

ذلك البعض من السلف بالخصوص إلا من التلاعب في الدين والحكم على حسب
الموى والغرض ؟ ! وإن كان الموجب للشرك هو الطعن على جميع السلف
فالشبهة تبرأ من ذلك أشد براءة لأنها تقدر على كثرة الساحة من السلف
الصالح أعظم تقديس

ولا شك أن ابن حجر وزملاءه يعلمون ذلك من الشيعة ولكنهم ستروا
وجه الذي علموا وراحوا يهولون الأمر على الناس ويلبسونه ليعمدوهم عن
أهل البيت وأشياءهم . . . ولقد بلغ التعصب الدميم من ابن خلدون حداً
أنفى به للطعن على الأئمة المطهرين من الرجس بمثل قوله « وشذ أهل البيت
بمذاهب ابتدعوها وفقه انفردوا به . إلى أن قال - ولم يحتفل الجمهور بمذاهبهم بل
يسعوا جالب الألكار والقبح (٣) » ولا يسعنا إلا أن نقول - هذه مذاهب
أهل البيت مدونة في كتب العقائد وهذا فقهم مبسوط في كتب شيعتهم
المطبوعة المنتشرة فليطلبها المنصفون وليطلعوا عليها ليعلموا أن أهل البيت لم
ينفردوا في فقهم إلا في مسائل قليلة جداً وأما غيرها فقل ما تجد مسألة يخالفون
فيها بعض أئمة أهل السنة إلا وبوافقهم غيره مثلاً تراهم يخالفون أبا حنيفة
(الفارسي) في تجويزه الوضوء بالتبذ (٤) وبوافقهم الشافعي على ذلك وهذا جراً

(١) ص ٣١٣ من مقدمته (٢) ذكر ابن خلكان « أن من مذهب أبي حنيفة
تجويز الصلاة بحدك مذبوغ ماطخ ربيع بالنجاسة » وتجويز الوضوء بتبذ التمر ،
والقراءة في الصلاة بالفارسية ، وأن خروج الريح من دبر المصلي لا يفسد وضوءه وصلاته
وأن السانان محمود بن سبكتكين عدل لذلك عن مذهب أبي حنيفة إلى مذهب الشافعي
أطرح ٣ ص ٨٦ من وفيات الأعيان وذكر الخطيب البغدادي في المجاز ١٣ من تاريخ
بغداد « أن أبا حنيفة قال - لو أن رجلاً عبد نعلًا يتقرب بها إلى الله لم أر بذلك بأساً
وقل - أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ، وأن إيمان أبي بكر وإيمان إبليس واحد ،
ولنه كان . ولما بالقياس فلم يتركه حتى مع الحجام إلى غير ذلك من المذاهب والنزاع
المثنية على الرأي والقياس » وفي أهل القياس « ورد متواتراً عن النبي (ص) ستفتقر
إني بضم وسبعين فرقة شر فرقة منها قوم يقيسون الدين بالرأي فيحولون به الحرام
ويحرمون الحلال ج ١٣ ص ٣٠٩ من تاريخ بغداد »

ولا يفوتنا ان نبارك لهذا الرجل على إسلاميته الصحيحة ؟ التي ترى مثل
 اهل بيت النبوة واركان الاسلام وقرناء الكتاب — شاذين مبتدعين ومثل
 صاحبها من الهداة المحافظين على سنة الرسول العربي دون غثرته الميامين
 ولقد اطلنا الكلام في الجملة وكدنا ان نخرج عما كنا نتوخاه من الاختصار
 على ذكر بعض كلماتهم للاستدلال فحسب . لأن القوم قد قدموا على الحكم
 العدل الذي سيحشرهم — بلا شك — مع ذلك البعض من السلف لأن
 «من احب عمل قوم حشر معهم» فكيف إذا والاهم وكفر المسلمين لأجل
 الطعن عليهم بما ارتكبهوه من الآثام !

وسيلقون ايضاً جزاء ما صنعوا من التهمج والافتات على اهل البيت واشياهم
 ومن بث الفرقة بين الأمة الإسلامية بتلك الأضاليل والأراجيف التي اودعوها
 في مؤلفاتهم وبقيت مورداً فياضاً يردده بعدهم من طبع على طابعهم ووشجت
 عروقه على طريقتهم حتى عصرنا هذا — عصر العلم وتحرير الافكار — كما
 يقولون وبأبعد ما يقولون لأننا نرى فيه كل عام فئة من المصريين والفلسطينيين
 والسوريين والعراقيين قد تلقوا تلك الأقوال تلقى البيغا، معرضين عن كل
 ما صح في صحيحي مسلم والبخاري «وهما اصح الكتب بعد القرآن بإجماع من
 يعتد به من اهل السنة (١)» إذا كان معارضاً لأقوال أولئك الشيوخ الغابرين
 فكأنهم بنظرها معصومون من الخطأ او التعصب المذهبي . وكانت اقوالهم
 — عندها — وحي موحى لا يسوغ فيه التحليل والمحاكمة والعرض على المصادر
 الوثيقة في كتب الفريقين . الأمر الذي أدى إلى إثارة حفاظ الشيعة الذين
 نسوا أو تناسوا تلك التهجمات القديمة وهتموا باسم الوحدة الإسلامية ، وباسم
 المصلحين من علماء الفريقين وملوكهم وزعمائهم الساعين إلى لمر الشعث وجمع
 الكلمة ليكون المسلمون جبهة واحدة متراصة واقفة سداً منيعاً في طريق

للملاحين من الاغيار ، وجادة في سبيل الرقي الديني والسياسي معرضة صفحا عن
 الفوارق المذهبية ما دام الجميع يرتلون كتي الشهادة في كل يوم خمس مرات
 حقاً لولا وجود أولئك المصلحين لانتسعت دوائر الفتن التي تولدت من
 تهجمات الخصري على سيد شباب أهل الجنة الحسين بن علي (ع) (١) واحمد
 أمين بقوله (ولسحق ان التشيع كان مأوى بلجاً اليه كل من أراد هدم الاسلام
 الخ (٢)) وبقوله (كأن العقول كلها أجذبت وأصيبت بالعقم إلا عقل علي بن
 بي طالب وذريته (٣))

ثم افننى اثر هو "لاء الحصان العراقي فأظهر كتاباً أسماه (العروبة في الميزان)
 وزد على زملائه بالظمن على أنساب القبائل العربية العراقية الشيعية بالخصوص
 وحاول مراراً أن يحصر العروبة في بني أمية وأشياعهم قائلاً (هل العروبة
 غير بني أمية)

ثم لم تمض أيام فلائل حتى قرأنا في مجلة الرسالة المصرية عدد ٣١ من
 السنة الثانية مقالاً للرحالة محمد ثابت المصري — مدرس الآداب بمدرسة فاروق
 الثانوية — تحت عنوان إلى خراسان طعن فيه الشيعة أعظم طعن ورمائم
 بالاستغناء عن الحج إلى مكة المكرمة بالحج إلى مشهد الرضا (ع) فكتبنا
 وقتئذ ردّاً عليه هادئاً ونشرناه في مجلة العرفان الغراء (م ٢٥ ص ٩١) بعد
 أن أرسلناه إلى مجلة الرسالة وبعد أن بثنا من انصاف صاحبها الذي اهمل
 حتى الاشارة إلى ردنا على رحالة بلاده مصر ، الأمر الذي يدل بوضوح على

(١) يقول الخصري المصري في المحاضرة ٣٦٥ ص ٥١٢ من محاضراته « وعلى
 اجملة فإن الحسين أخطأ خطأ عظيماً في خروجه هذا الذي جر على الأمة وبالفرقة
 والاختلاف . وقد اكثرت الناس الكتابة في هذه الحادثة . . وغاية الأمر ان الرجل
 طلب أسراً لم ينهياً له ولم يبد له عدته فحيل بينه وبين ما يشتهي : إلى أن قال واما
 الحسين فإنه خالف على يزيد الذي بايعه الناس ولم يظهر منه ذلك العنف والجور »

(٢) ص ٢٣٩ من فجر الاسلام (٣) ص ٣٣٨ من فجر الاسلام

ان (الجماعة) لا يبردون ابضاح اخطائهم او انهم لا يبردون المناظرة وتصفية الحساب إلا مع من يشاؤون . .

وعلى اي فإنا قد ظننا يومئذ ان الرحالة قد اكتفى بما نشره في مجلة صديقه الزيات ولكن سرعان ما رأينا في تلك السنة سنة ١٣٥٢ هـ يخرج كتاباً باسم (جولة في ربوع الشرق الأدنى) مليئاً بالأخطاء التاريخية والتهجمات الأثيمة على المذهب الشيعي وعلى علماء الشيعة وبلادهم المقدسة (١) مضافاً إلى ما دسه - عند كلامه عن النجف - من الطوائف التي لم تكن في عالم الوجود أو كانت ولم يبق لها اثر ولا عين على ظهر الارض بالأخص أرض النجف التي لم تضم غالباً - من يوم مصرت إلى اليوم - سوى الشيعة الاثني عشرية فمن الخطأ الفادح ما قاله عنها « وهي في زعم بعضهم مقر من كان أحق بالرسالة من النبي نفسه (٢) » وقوله عن مجتهديها وعلمائها « وبقول العلماء هناك أن المدافن عشرة آلاف لا تزيد ولا تنقص ، لأن سيدنا علياً يرسل

(١) وسرعان ان رأينا بعد تأليف الكتاب حضرة اسعاف الناشي الفلسطيني الذي حشر سنة ١٣٥١ هـ مع أعضاء المؤتمر الاسلامي ، وجعل - لهو - حظ الاسلام - في لجنة الدعاية والارشاد إلى الاسلام - يخرج كتاباً باسم الاسلام الصحيح . وليس فيه سوى الهدم للإسلام الصحيح وغير دعوة المسلمين - وبإلأسف - إلى تجسيم الله تعالى والاعتقاد بأن له يداً وبعيناً واذناً وغير ذلك مما كان يعتقد المتنبلة في القرن الرابع ودعا اليه ابن تيمية في القرن الثامن . وهناك غرض للناشي قديكون سياسياً وقد يكون مذهبياً يتجلى طي كلماته الكثيرة الداعية ضد « الشرفاء » منها قوله ص ٣٧ « فليس هناك طبقات وليس هناك سادة وغير سادة وائس هناك شرفاء وغير شرفاء وليس هناك آل بيت نيت بيت ، ليس هناك انجاس ظل النجس يداس دع عنك الماس واللماس » وقوله ص ٨١ « كيف يقبل البيانون الاسلام إذا قيل لهم ان في الاسلام فرقة تقول إنا من اهل البيت أي يرك النبي » ولقد كفانا مؤنة الرد عليه اخواننا من أهل السنة وفي مقدمتهم الاساذ محمد المجذوب من كتاب صيدا حيث ألف كتاباً في الرد عليه اسمه (القول الصريح) فيطلبه القراء من المؤلف فإن فيه براهين قوية (٢) صفحة ١٤٢ من جولته

ما زاد من الجثث بعيداً فلا يعرف أحد مقرها . . . وكم من جثث كانت تحملها السيارات وبعد الصلاة عليها تدفن وتظل كذلك حتى يتراءى لسيدنا علي أن يكشف عن مكنونها فتختفي ويدفن مكانها غيرها . . . وفي النجف فئتان من الأهلين متباغضتان ولكل فئة أشياع وكثيراً ما يقتتلون تحت إمرة مجتهد بهم (١) »

ويقول في موضع آخر عن الشيعة « وقد بلغ بهم شكهم بالغيرانهم يحنمون غسل كل شيء دخل بيتهم ثلاث مرات خشية أن يكون لمسه غير شيعي (٢) » ويقول « ابن الحسين ورث العظمة الإلهية بسبب أنه تزوج بشهربانو الفارسية (٣) »

إلى كثير من أمثال هذه الافتئاتات التي هزى فيها بأخي النبي وسبطه الشهيد عليهم السلام والتي تحط - بصراحة - من كرامة مجتهد الشيعة التزيين الأبرار . ومواقفهم المشرفة - في شتى الظروف والأحوال - أكبر شاهد على ذلك .

من تلك المواقف موقفهم يوم فتنة « الحصان » على أعواد المناير بحثون الشعب العراقي الهاثج على السكون ويمنحونه النصائح الكافية ، ولقد كتب بعضهم إلى جلالة المغفور له الملك فيصل يخبره عما قام به من الواجب الإصلاحي ويذكر له نصائح حمة تساعد على قمع الفتنة من جذورها ، فأجاب الملك لمصلح بقوله : حضرة حجة الإسلام الشيخ محمد الحسين (٤)

لقد تلقيت كتابكم رفق الشيخ عبد الرسول . وكل ما شرحت به علم . وقد اطلعت على ما قمتم به من نصائح . جعلكم الله ذخراً للأمة ، ان المطبوع الذي صدر فهو لا شك كما اطلعتم عليه . لا ينم إلا عن عقلية مجنون لا أكثر

(١) صفحة ١٢٣ و صفحة ١٢٤ من جولته (٢) صفحة ١٥٣ منها (٣) صفحة

٢٧٨ منها (٤) هذا طبق الأصل المحفوظ لدى سماحة الشيخ مد ظله

ولا أقل ، اني حالما اطلعت عليه - وذلك قبل بخمسة أيام - فمت بواجبي نحوه وها هو صاحبه رهن السجن وسوف يلقي عقابه

ألمي عظيم انكم وكل من فيه من الحمية الدينية ما يجب أن لا تترك مجالا يجعلني وأنا مسافر لقضاء مهمة تعود للإسلام مشغول الخاطر . هذا كل ما احب أن أقوله وانتي أنتظر دعاكم الصالح والله يحفظكم

١٢ صفر سنة ١٣٥٢ فيصل

وانتي لا عجب كيف خفي على الرحالة موقف المجتهدين هذا الذي لم يشر اليه في جواته ولا بحرف واحد مع انه يقول فيها (ص ١٤٥) « وصادف ان كانت البلدة في هياج شديد يوم زرتها (٢٤ يولييه) لما شجر بين الشيعة والسنيين على اثر كتاب أخرجه بعض السنيين وأسماء العروبة في الميزان طعن فيه الشيعة الخ » وعدم اشارته إلى موقف المجتهدين . اما لأنه يتنافى ما يربد من قوله « وكثيراً ما يقتتلون تحت امرة مجتهديهم » واما لأنه لم يشاهد - وهو الأقرب - هياج النجف يومئذ وإنما سمع به بعد ذلك وجعل السماع كالغياب والغياب كالمشاهدة فراح يدعي انه شاهد هياج النجف يوم زارها (٢٤ يولييه - تموز) على الرغم من تقدم تاريخ ذلك الهياج على زيارته هذه بشهر ونصف ، لأن كتاب الحصان (العروبة في الميزان) إنما دخل النجف في أوائل صفر سنة ١٣٥٢ وأوائل يونيو - حزيران سنة ١٩٣٤ وعلى الفور حصل الهياج ولكنه لم يدم بهمة المجتهدين سوى أيام ثلاثة أو أربعة ، يؤيدنا نفس تاريخ الكتاب المتقدم من جلالة الملك إلى ساحة كاشف الغطاء ، وفي هذا الوقت لم يصل الرحالة إلى دمشق فضلاً عن النجف وإنما وصل دمشق في أوائل تموز وفي ٥ منه حضر المولد النبوي هناك كما في ص ٤٨ من جواته ثم بعد مدة سافر إلى تركيا ومنها سافر إلى العراق

ولو أردنا تتبع ما في جولاته من اخطاء وتحامل وتحريف وتبديل لا تبتذك

بالعجاب ولاحتجنا إلى مجلد كبير لا يسمح لنا الوقت الثمين بإكمله . ولذلك
اجتزأنا بذكر النموذج صغير يتناسب مع هذه المقدمة المتواضعة المختصرة لمثل
هذا الكتاب المختصر ولا اخفي ان أهم البواعث على تأليفه ما رأيت في جولة
الرحالة من التحامل الشديد على طائفة إسلامية كبيرة خدمت الإسلام وعلومه
أكبر خدمة وأخرجت من الكتب الثمينة ما زين المكتبة الإسلامية ، ومن
العلماء ما أحرزوا السبق في جميع فنون الإسلام (١)

أضف إلى اننا لم نرَ أحداً - من الفريقين - نُصدى للرد على الرجل
سوى الأستاذ عبد الوهاب عزام في مقال مختصر نشره في مجلة الرسالة المصرية
(عدد ٥٩ ص ١٣٩٩) من السنة الثانية ورد عليه الأستاذ أمين الخولي يومئذ
لذلك رأيت من الواجب تلبية نداء الواجب ، فرحت أغنم العطلة الأسبوعية
بغيرها من ايام الفراغ لمراجعة المصادر التي حرصت أن يكون أكثرها من
مؤلفات اخواننا أهل السنة ، لتكون أكبر حجة للقارئ الكريم ، وأبعد عن
الاتهام والريب . . .

وقد توقفنا - والله الحمد والمنة - لإتمام هذا الكتاب في أواخر المحرم
سنة ١٣٥٤ هـ وأسميناه « الشيعة في التاريخ » لبحثه غالباً عن مواقف الشيعة
التاريخية وعن الفرق التي نشعت منهم وأحوالها ونشأتها وعقائدها وأسباب
تشعبها ، خصوصاً الغلاة الذين اتخذهم أهل التسمية والتليس طريقاً موصلاً
إلى الطعن على الشيعة الإمامية الاثني عشرية ، ولذا أثبتنا بنوع خاص براءة
أئمة الشيعة وعلمائهم من كل غال ومبدع . كما أثبتنا بمجمل عقائد الاثني عشرية
ليميز بينها وبين غيرها من العقائد الملصقة باسم الشيعة ، ولتقابل بعقائد الغلاة
ويعرف بعد الصلة بينها إلى غير ذلك من المباحث المفيدة التي جعلت تحت عناوين
خاصة مستقلة خالية من قال الرحالة وأقول ، وان كان الغرض من بعضها التفنيد

الضمني لما سطره الرحالة - في جولاته من الأقوال الخاطئة البعيدة عن الحقيقة التي لا يحسن السكوت عليها والتعاضى عن اظهارها لكثير من النشوء المغنونة بأقلام فئة خاصة من الكتاب أمثال ثابت خاشعاً لدرجة الفاضلهم ومبتدعات آرائهم بملقها بالقبول ، ويعتقدها كأنها حقائق ثابتة محكمة . .

ولولا ذلك لكنا في غنى عن مناقشة الرحالة وامثاله الحساب وفي غنى عن بحث الخلافه الذي حدانا إلى ذكره كلام الرحالة عنهم بما ينافي التاريخ الصحيح وبشير الضغائن في مثل هذه الأوقات العصيبة القاضية على كل مسلم باهمال مثل هذه الأبحاث القديمة ، واقرار كل فرد على معتقده ما دام لا ينافي جوهر الدين الحنيف ، لأن في لوازم الحوار فيها والجدال حولها - الجرح والتعديل في الرواة ، ومس بعض الشخصيات في التخطئة - على الأقل - وكلنا يعلم ما لذلك من الاثر السيئ عند السواد من الأمتين . لذلك جمدنا على نقل الشواهد التاريخية التي تساعدنا على ابطال مدعى الرحالة في الخلافه فحسب ولم نمس كرامة أحد بسلاح التحليل الفلسفي وغيره

وبالختام أرجو ان تكون نيتي - فيما كتبت - خالصة لله الواحد الاحد المطلع على النوايا وان يمن علي بجزيل الثواب على ما اصبحت ، وجميل التجاوز عما اخطأت ، ومن اقراء الكرام بيان ما يعثرون عليه من الأخطاء والأغلاط ولهم سلفاً جزيل الشكر وفائق الاحترام

كتب في النجف الاشرف غرة المحرم سنة ١٣٥٥ يد مؤلفه

محمد - ع - زين العابدين



الفصل الاول

كلمة موجزة في الشيعة

١ معنى الشيعة في اللغة ٢ قدم تكوين الشيعة في الإسلام ٣ الذين تشيعوا في زمن النبي وثبتوا بعد وفاته ٤ متى اهل لفظ الشيعة ومتى اشتهر

مبجل عقائد الشيعة الاثني عشرية

﴿ معنى الشيعة في اللغة والكتاب الكريم ﴾

غير خفي على من تصفح موسوعات اللغة العربية والقرآن العزيز - ان لفظ الشيعة قد ذكر كثيراً فيها بمناسبة عديدة . وقد فسر معناه تارة بالاتباع والانصار . وأخرى بالمشايعة - وهي المتابعة والمطوعة - وان هذا الاسم قد غلب على كل من يتولى علياً وأهل بيته (ع) حتى صار اسماً خاصاً ، فإذا قيل فلان من الشيعة عرف انه منهم . . . ولتكون على يقين مما ذكرنا نذكر لك نبذة صغيرة من أقوال علماء اللغة وآيات القرآن الكريم مع تفسيرها

قال في « القاموس » (ج ٣ ص ٤٧) - وشيعة الرجل أتباعه وانصاره والفرقة على حدة ، ويقع على الواحد والاثنين والجمع ، والمذكر والمؤنث وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى علياً وأهل بيته حتى صار اسماً لهم خاصاً (ج) أشباع وشيع كعنب « وقال في النهاية لابن الاثير (ج ٢ ص ٢٤٦) (وأصل الشيعة الفرقة من الناس . وتقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث بافظ واحد ومعنى واحد ، وقد غلب هذا الاسم على كل من يزعم (?) انه يتولى علياً رضي الله عنه وأهل بيته حتى صار لهم اسماً خاصاً ، فإذا قيل فلان من الشيعة عرف انه منهم ، وفي مذهب الشيعة كذا اي عندهم ، وتجمع الشيعة على شيع وأصلها من المشايعة وهي المتابعة والمطوعة » وهكذا جاء في

« لسان العرب » و « مصباح المنير » و « الصحاح » وغيرها . . وجاء اسم الشيعة في الكتاب العزيز في سورة القصص (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) قال الزمخشري - ج ٢ ص ٣٧٥ - من كشفه في تفسيرها (اي من شابعه على دينه من بني اسرائيل) وفي سورة الصافات (ان من شيعته لابراهيم) (قال الزمخشري أيضاً (ج ٢ ص ٤٨٣) من كشفه - أي من شابعه على أصول الدين أو شابعه على التصلب في دين الله ومصابة الكذابين) وجاء غيرهما من الآيات

﴿ قدم تكون الشيعة في الاسلام بأمر نبي الاسلام ﴾

ذهب الكثيرون من المؤرخين والكتاب غير الشيعة إلى أن بدء نشأة الشيعة وزمان تكونها كان بعد وفاة النبي ﷺ ولكن الذين ذهبوا هذا المذهب في تحديد الزمان الذي حصل فيه التكون - قد اختلفت أقوالهم في التحديد .

فمنهم من يميل إلى أن تكون الشيعة كان في يوم (السقيفة) ذلك اليوم الذي صرح به رهط من أعلام الصحابة (رض) بتقديم أمير المؤمنين علي (ع) على غيره في الامامة وأولويته فيها معتقدين ذلك مندبئين به (١) ومنهم من مال

(١) ممن ذهب ومال إلى ذلك من كتاب عصرنا الاستاذ محمد عبد الله عنان المصري في كتابه تاريخ الجمعيات السرية حيث يقول (صفحة ٢٦ منه) « ومن الخطأ أن يقال - أن الشيعة انما ظهرت لأول مرة عند انشاق الخوارج واهم انما سموا كذلك لبغائهم إلى جانب علي . فشيعة علي ظهروا منذ وفاة النبي (ص) كما قدمنا » وقد وافقه الاستاذ احمد امين المصري (ص ٣١٧ من فجر الاسلام) ووافقهما الاستاذ ابراهيم حلبي العمري مدير المطبوعات العراقية الحالي حيث يقول « يرتقي عهد الفرقة الشيعة إلى اوائل خلافة ابي بكر (رض) فإن قوما من الانصار رسخ في اذهانهم وبسق في أدمغتهم شجر الحب لعل كرم الله وجهه انه اولي الناس بالخلافة لقرابته من رسول الله (ص) ورسوخ قدمه في الاسلام وجهاده في سبيله » وكان القائلون بهذا الرأي ثلة من صناديد قريش وفحول الانصار - من مقال نشره ص ١٦٨ من مجلد ٥ من العرفان

إلى أن الشيعة تكونت أيام فتنة (الدار) أي أيام مقتل الخليفة عثمان (رض) ،
ويظهر من ابن حزم الميل إلى هذا القول حيث يقول (ج ٢ ص ٧٨ من فصله
— فإن الروافض ليسوا من المسلمين (?)) إنما هي فرق حدث أولها بعد موت
النبي ﷺ بخمسة وعشرين سنة الخ

ومنهم من مال إلى أنها تكونت يوم وقعة «الجل» في البصرة كما يظهر
من ابن النديم عند قوله في فهرسته (ص ٢٤٩) «لما خالف طلحة والزبير على
علي رضي الله عنه وأبيا إلا الطلب بدم عثمان ، وقصدهما علي عليه السلام
ليقاتلها حتى يفيئا إلى أمر الله — تسمي من اتبعه على ذلك باسم الشيعة
فكان يقول شيعتي»

ومنهم من مال إلى أنها تكونت يوم خروج الخوارج بصفين ، وعلى كل فالحقيقة
بعيدة عما ذهبوا إليه جميعهم . لأن من عرف معنى الشيعة الذي تقدم ذكره
لا شك أنه يخالف أولئك على طول ولا يوافقهم البتة بمساعدة أن معنى الشيعة
سواء كان الموالاة أو المحبة أو التقديم أو المتابعة أو التمسك بالكتاب والعروة
— قد تكون قبل ذلك الزمان الذي حدده أي في أيام نبي الإسلام
الأقدس أيام كان يغذي بأقواله عقيدة التشيع لعل (ع) وأهل بيته ويمكها
في اذهان المسلمين ويأمر بها في مواطن كثيرة آخرها يوم «غدیر خم»
١٨ ذي الحجة سنة ١٠ من الهجرة بعد حجة الوداع وبعد أن أمره الله سبحانه
وتعالى بقوله الكريم «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل
فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس» قال الفخر الرازي (ج ٣ ص ٤٢٨)
من تفسيره الكبير «نزلت هذه الآية في فضل علي بن أبي طالب عليه السلام
ولما نزلت أخذ رسول الله بيد علي بن أبي طالب وقال — من كنت مولاه
فعلي مولاه اللهم وآل من وآله وعاد من عاداه (١) فلقبه عمر (رض) فقال

(١) ذكر في الصواعق ص ٢٥ منه قوله (ص) يوم غدیر خم عند ما رجع من حجة

هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة . وهو قول ابن عباس والبراء بن عازب ومحمد بن علي « وروى سبط بن الجوزي (ص ٣٢) من تذكرته » أنه لما قال النبي ﷺ من كنت مولاه فعلي مولاه - نزل قوله - اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي (١) وذكر للمولى عشرة معانٍ عاشرها الأولى . ثم قال - وجميع المعاني راجعة إليه لقوله (ص) - الست أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهذا نص صريح في إثبات إمامته وقبول طاعته . إلى أن قال وقد أكثر الشعراء في ذكر غدیر خم فقال حسان بن ثابت الأنصاري ساعثئذ

بناديهم يوم الغدير نبیهم	بجهم وأسمع بالنبي مناديا
وقال فمن مولاكم ووليكم	فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
الهلك مولانا وانت ولينا	ومالك منا في الولاية عاصيا
فقال له قم يا علي فإني	رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليه	فكونوا له أنصار صدق مواليا

فأنت ترى أن الذي بلغه رسول الله ﷺ لأئمة - بأمر من الله تعالى

الوداع وبعد أن جمع الصحابة - الست أولى بكم من أنفسكم - ثلاثاً - وهم يجيبون بالتصديق والاعتراف . ثم رفع يد علي وقال من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه واحبب من احبه وابغض من ابغضه واخذل من خذله وانصر من نصره وادر الحق معه حيث دار - ثم قال ابن حجر - انه حديث صحيح لامية فيه وقد أخرجه جماعة كالترمذي والنسائي والامام احمد وطريقه كثيرة وكثير منها حسان واسانيدها صحيح جداً ، ومن ثم رواه ستة عشر صحابياً وفي رواية لأحمد انه سمعه من النبي (ص) ثلاثون صحابياً وشهدوا به لعلي لما نوزع أيام خلافته وقول بعضهم ان زيادة اللهم وال من والاه الخ موضوعة مردود . فقد رواه الناس من طرق صحيح الذهبی أكثرها «

(١) وفي مجمع البيان (ج ٢ ص ١٥٩) ان النبي (ص) قال من كنت مولاه الخ بعد أن نزلت هذه الآية لا قبلها وهو الأرجح

شديد — هو موالاته علي (ع) وأولوبته بالإمامة وهي أظهر معاني الشيعم وقد جعلها تعالى في كتابه العزيز وقرنها بمولاته وموالاته لبيته الكريم عند قوله جل سمع في سورة المائدة «انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا إلى قوله فإن حزب الله هم الغالبون» قال الزمخشري — ج ١ ص ٤٢٢ — من كشفه «انها نزلت في علي كرم الله وجهه حين سأله سائل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه (١) ثم قال قلت كيف صح ان تكون لعلي رضي الله عنه ولفظ لفظ جماعة ؟ قلت جبي به على لفظ الجماعة وإن كان السبب واحداً ليرغب الناس في مثل فعله»

وقال سبط ابن الجوزي كقالة الزمخشري هذه وزيادة في ص ١٦ من تذكرته التي استشهد فيها (ص ١٧) بقول حسان بن ثابت

يا حسن فديك روعي ومهجني وكل بطيء في الهدى ومسارع
فأت الذي أعطيت إذ كنت راكعاً فديك نفوس الخلق يا خير راكع
بجائتك لليحون يا خير مهدي وبأخبر شار ثم يا خير بائع
فأنزل فيك الله خير ولاية وبينها في محكمات الشرائع
وبقوله أيضاً

من ذا بجائته تصدق راكعاً وأمرها في نفسه إسراراً
من كان بات على فراش محمد ومحمد أسرى يوم الغار
من كان في القرآن سمي مؤمناً في نسم آيات تلين غزاراً
أشار بذلك إلى قول ابن عباس ما أنزل الله آية في الإيمان إلا وعلي
رأسها وأميرها»

وكما أمر رسول الله ﷺ بولاية علي أمر بحبه وحب العترة الطاهرة

(١) واثبت نزولها في علي صاحب مجمع البيان (ج ٢ ص ٢١١) بطرق متواترة معتبرة عند الفريقين فراجع

وبالتمسك فيها وبتقديمها ومتابعتها وغير ذلك من صفات التقديم والتفضيل .
 فكان عليه السلام يقول « علي بنى وأنا من علي وهو وليكم بعدي (١) » وينذر
 « كأنني قد دعيت فأجبت ، اني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر
 كتاب الله عز وجل وعترتي ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما ؟ فإنهما لن يفترقا
 حتى يردا علي الحوض ، سألت ربي ذلك لهما ، فلا تتقدموهما فتفهلخوا ، ولا تنقصروا
 عنها فتفهلخوا ، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم (٢) »

(١) ج ٥ ص ٣٥٦ من مسند احمد وص ٢٦ من الصواعق المحرقة لابن حجر
 (٢) ص ١٤٠ من الصواعق الذي ذكر فيه هذا الحديث وحديث - أذكركم الله
 في اهل بيتي وانه قال (ص) ذلك ثلاث مرات . وحديث الثقلين بالفظ اني تارك
 فيكم ما ان تمسكنتم به ان تضلوا بعدي كتاب الله وعترتي اهل بيتي لن يفترقا حتى يردا
 علي الحوض الخ ذكر ذلك ص ٩١ من صواعقه ثم قال « ولهذا الحديث طرق كثيرة
 عن بضع وعشرين صحابياً وسر له طرق مبسطة وسر رسول الله (ص) القرآن وعترته
 ثقلين لأن الثقل كل نفيس خطير مصون وهذان كذلك إذ كل منهما معدن العلوم الدنية
 والاسرار والحكم العلية والاحكام الشرعية والذا حث (ص) على الاقتداء والتمسك
 بهم والتعلم منهم . وقال الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت وقيل اناسياً
 ثقلين لثقل رعاية حقوقهما ثم الذي وقع الحث عليهما انما هم العارفون بكتاب الله وسنة
 رسوله إذ هم الذين لا يفارقون الكتاب إلى الحوض ويؤيده الخبر السابق - لا تعلموهم
 فإنهم أعلم منكم ونفذوا بذلك عن بقية العلماء لأن الله أذهب عنهم الرجس وطهرهم
 تطهيراً وشرفهم بالكرامات الباهرة والمرايا المتكاثرة وفي أحاديث الحث على التمسك بهم
 إشارة إلى عدم انقطاع متأهل للتمسك به إلى يوم القيامة كما أن (الكتاب العزيز
 كذلك ولهذا كانوا ائمة لاهل الأرض ويشهد بذلك الخبر - في كل خلف من أمسي
 عدول ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين واتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ثم احق
 من يتمسك به منهم امامهم علي بن ابي طالب كرم الله وجهه لما قد مناه من مزيد علمه
 ودقائق مستباطاته ومن ثم قال فيه أبو بكر (رض) علي عترة رسول الله اه « وقال
 ابن الاثير (ج ١ ص ١١٣) من نهايته بعد ذكر الحديث - وسماهما ثقلين لأن الاخذ
 بهما والعمل ثقيل ويقال اسكل خطير ثقل فسماهما ثقلين إعظاماً لقدرهما وتخليصاً
 لسانهما . وروى مسلم في صحيحه حديث الثقلين بطرق معتبرة انظر - ج ٢ ص ٢٣٨

وعن ابن عمر « ان آخر ما تكلم به النبي ﷺ اخلفوني في أهل بيتي (١) »
وقال « من أحب علياً فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله ، ومن أبغض علياً
فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله (٢) » وقال « عنوان صحيفة المؤمن
حب علي بن أبي طالب (٣) »

قال رحمه الله « انما مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا
ومن تخلف عنها غرق . وفي رواية هلك . النجوم أمان لأهل السماء وأهل
بيتي أمان لأمتي وفي رواية لأهل الأرض (٤) »

« الزموا مودتنا أهل البيت ، والذي نفسي بيده لا يرفع عبد أعماله إلا بمعرفة
حقنا (٥) » وقال « ان وزيري وخير من أترك بعدي بقضي ديني وبنجز
مواعيدي علي بن أبي طالب (٦) » وقال أيضاً وهو آخذ برقبة علي « ان هذا
أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا (٧) » وروى الخافظ أبو نعيم
في حلية الأولياء انه قال رحمه الله « من مره أن يحيا حياتي ويموت مماتي ويسكن
جنة عدن فايوال علياً من بعدي وليوال وليه وليقتد بالأئمة من بعده ، فإولئهم
خلقوا من طينتي ورزقوا فيها وعلموا ، فويل للمكذبين من أمتي القاطعين فيهم

(١) صفحة ٩٢ من الصواعق (٢) ص ٧٦ و ٧٧ من الصواعق (٣) صواعق (٤)
ص ٩٣ و ١١٤ من الصواعق (٥) ص ١٠٦ من الصواعق (٦) ص ٣١٢ من
عذرات الراغب الاصبهاني (٧) ج ١ ص ١١٧ من تاريخ أبي الفداء وج ٢ ص
٣١٧ من الطبري وج ٢ ص ٢٢ من ابن الاثير وج ١ ص ١١١ و ص ١٥٩ من مسند أحمد
وروى سبط ابن الجوزي (ص ٤٧) من تذكرته عن أحمد عن أنس قال قلنا سلمان الفارسي
سل رسول الله (ص) من وصيه ؟ فقال سلمان فقال رسول الله (ص) من كان وصي
موسى عمران ؟ فقلت يوشع بن نون فقال (ص) ان وصي ووارثي ومنجز وعدي علي بن أبي
طالب ثم قال سبط ابن الجوزي فإن قلت قد ضعفوا حديث الوصية فالجواب ان الحديث
الذي ضعفه في اسناده اسماعيل بن زياد تكلم فيه الدارقطني والحديث الذي ذكرناه
رواه احمد وابن في اسناده ابن زياد انتهى كلام السبط

صلتي لأنهم الله شفاعتي (١)» (وهذه الاخبار الخاصة التي رواها علماء الحديث الذين لا يهتمون فيه — وجلهم قائل بتفضيل غيره عليه (أي على علي) نوجب مسكون النفس ما لا توجبه رواية غيرهم (٢)

وهناك اخبار خاصة وعامة غير هذه مذكورة في كتب الفريقين واليك بعض ما جاء في كتب الفريق غير المتهم «بالرفض» ليوضح لديك النص على الأئمة واحداً بعد واحد ، ويثبت عندك فضلهم وقدم تكون شيعتهم وحسن عاقبتهم في جوار الصادق الأمين وعترته الميامين عليه السلام «عن كتاب السمعطين للشيخ محمد الجوهني المحدث الشافعي . قال رسول الله ﷺ ان خلفائي وأوصيائي وحجج الله على الخلق بعدي الاثنا عشر أولهم علي وآخرهم المهدي (٣)» وعن كتاب مودة القرني — قال رسول الله ﷺ للحسين أنت إمام ابن إمام أخو إمام أبو أئمة وأنت حجة ابن حجة أخو حجة أبو حجج تسع تاسعهم قائمهم (٤)»

«وقال ﷺ لعلي انك ستقدم على الله أنت وشيعتك راضين مرضيين وبقدم عليه عبدوك غضاباً مقمحين . ثم جمع يديه إلى عنقه يربوهم كيف الافحاح — ذكر هذا الحديث ابن الاثير في نهايته (ج ٣ ص ٢٧٦) ثم فسر فيها الافحاح يرفع الراس وغض البصر . يقال أفحجه الغل إذا ترك رأسه مرفوعاً من خيقه» «وقال ﷺ يا علي أول أربعة يدخلون الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وذريتنا خلف ظهورنا وأزواجنا خلف ذربتنا ، وشيعتنا عن إيماننا . وشمائنا — ولما نزلت هذه الآية أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية . قال ﷺ لعلي هم أنت وشيعتك تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين (٥)

(١) ج ٢ صفحة ٤٥٠ من شرح النهج للمعتزلي وج ٥ صفحة ٩٤ من مسند احمد

(٢) ج ٢ ص ٣٤٩ من الشرح (٣) ص ٣٧٤ من ينابيع المودة للشيخ سليمان الحنفي

(٤) صفحة ١٣٩ من ينابيع الحنفي (٥) صفحة ٩٩ و ٩٨ من الصواعق

روى للسهودي « ان العباس بن عبد المطالب قال كنت عند رسول الله ﷺ إذ أقبل علي بن أبي طالب ، فلما رآه النبي أسفر في وجهه فقلت يا رسول الله انك لتسفر في وجه هذا الغلام فقال يا عم والله أشد حبا له مني ، انه لم يكن نبي إلا وذريته من صلبه ، وان ذريتي بعدي من صلب هذا ، انه إذا كان يوم القيامة دعي الناس بأسمائهم وأسماء أمهاتهم سترأ من الله عليهم ، لا هذا وشيعته فإنهم يدعون بأسمائهم وأسماء آبائهم (١) »

ولو أردنا التبسط في الأخبار الدالة على قدم التشيع والأمر به لاحتجنا إلى كتاب ضخيم ، ولا نطرقنا إلى الخروج عن خطتنا في الاختصار . ولذا اجتزأنا بهذه الأخبار الصحيحة المشهورة المتواترة (٢) ونخبر أبي حاتم الرازي

(١) ج ٢ صفحة ٥١ من مروج الذهب وج ١ ص ٣١٧ من تاريخ الخطيب البغدادي (٢) يقول ابن أبي الحديد المعتزلي (ج ١ صفحة ٣٥٩ من شرح النهج) « وقد صح ان بني أمية منعوا من اظهار فضائل علي (ع) وعاقبوا على ذلك الراوي حتى ان الرجل إذا روى عنه حديثا لا يتعاقى بفضله بل بشرائع الدين لا يتجاسر على ذكر اسمه فيقول روى ابو زئب فلا حديث الواردة في فضله (بل وفضل ذريته) لو لم تكن في الشجرة والاستقامة وكثرة النفل إلى غاية بعيدة لا تقطع ثقلها المخوف من بني مروان مع طول المدة وشدة المدوة ولولا ان الله تعالى في هذا الرجل سرا يعلمه من يعلمه لم يرد في فضله حديث ولا عرفت له منقبة » ثم راح يخبرنا (ج ٣ صفحة ١٥٥ من الشرح) ما عمله بنو أمية فقال « ان معاوية كتب نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة - ان برئت الذمة ممن روى شيئا من فضل أبي تراب (علي) واهل بيته فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يأمرون علما ويبرون منه ويقعون فيه وفي اهل بيته » واخبرنا ايضا (ج ١ ص ٣٥٦) من الشرح « ان بعض بني أمية عذل معاوية وقال انك قد بلغت ما املت فلو كفت عن لمن هذا الرجل فقال معاوية - لا والله حتى يربوا عليها الصغير ويهرم الكبير ولا يذكر له ذاك فضلا » واخبرنا (ج ١ ص ٣٥٨ من الشرح) « ان معاوية وضع قوما من الصحابة وقوما من التابعين على رواية اخبار قبيحة في علي تقتضي الطعن فيه والبراءة منه وجعل لهم على ذلك جمعا يرغب في مثله فاختلفوا ما ارضاه : منهم ابو هريرة وعمر بن الخطاب . ومن التابعين عروة بن الزبير (الذي زعم أن عائشة حدثته - ان رسول الله (ص) قال لها ان سرك ان تنظري إلى رجلين من اهل النار فانظري إلى هذين قد

المنقول كما في ص ٨٨ من روضات الجنات — عن كتاب « الزينة » قال « ان أول اسم ظهر في الاسلام على عهد رسول الله ﷺ هو الشيعة وكان هذا لقب أربعة من الصحابة . وهم ابو ذر وسلمان والمقداد وعمار . إلى أن أنوان صفين فاشتهر بين موالي علي رضي الله عنه »

فإذا علمت ما قدمناه من ظهور الشيعة في عهد رسول الله ﷺ ومن انه أول المنوهين بفكرة التشيع والمغذين إياها بأوامره المطاعة وانه — وهو الذي لا ينطق عن الهوى — قد بشر علياً وشيعته بمرضاة الله تعالى ودخول الجنة عن يمين النبي ﷺ وشماله . إذا علمت ذلك فلا شك انك تحكم بسخف ما زعمه (١) بعض المرضى بداء التعصب الذهيم من ان فكرة التشيع من مخترعات عبد الله بن سباء المعروف بابن السوداء وانها فكرة سبائية لا مساس لها بدين الاسلام أو انها فكرة سياسية أحدثها الفرس بعد قرن؟!
 حجج الذين تشيعوا في عهد النبي والذين ثبتوا على شيعتهم بعده ﷺ

• من الثابت المتيقن ان كثيراً من الصحابة قد احبوا علياً في حياة أخيه رسول الله ﷺ وكان حبه لديهم من علائم الايمان ، وبغضه من علائم

طاعا فنظرت فإذا العباس وعلي بن ابي طالب — واما ابو هريرة فجثا على ركبتيه في مسجد الكوفة وروى لاهلها انه سمع النبي (ص) يقول — ان اسكل بني حرما وان حرمني بالمدينة فمن احدث بها حدثا فليليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين واشهد ان عليا احدث فيها فلما بلغ معاوية قوله اجازته واكرمه وولاه اماراة المدينة واما عمرو بن العاص فانه روى الحديث الذي اخرج به البخاري متصلا بعمرو بن العاص قال سمعت النبي يقول ان آل ابي طالب ليسوا لي بأولياء »

(١) ولقد ابطال هذا الزعم الاستاذ محمد كرد علي (ج ٦ ص ٢٥١) من كتابه خطط الشام حيث يقول « اما ما ذهب اليه بعض الكتاب من ان مذهب التشيع من بدعة عبد الله بن سباء المعروف بابن السوداء — فهو وهم وقلة علم بتحقيق مذهبهم ومن علم منزلة هذا الرجل عند الشيعة وبرائتهم منه ومن اقواله واعماله وكلام علمائهم في الطعن فيه بلا خلاف بينهم في ذلك — علم مبلغ هذا القول من الصواب »

«النفاق وكانوا يقدمونه على انفسهم ويفضلونه على جميع الصحابة» وكانوا ابو الوه
أشد موالاته بعدما تابعوا النبي ﷺ — كما في الدرجات الرفيعة — على
النصح للمسلمين والائتمام بعلي بن ابي طالب والموالاته له»

وكان عدد الذين تابعوا — يوم غدیر خم — اربعين ألفاً (١) وقيل سبعين
الفاً ، ويقول سبط ابن الجوزي «ان الذين تابعوا علياً كانوا مائة وعشرين ألفاً (٢)»
وكل هؤلاء كانوا شيعة «بمعنى الموالاته لعلي (ع)»

ولكن اسم الشيعة قد تغلب واختص يومئذ — كما علمت — بأبي ذر
وسلمان وعمار والمقداد رضي الله عنهم لكونهم أخص الصحابة بعلي (ع)
وأشدهم تظاهراً بحبه وموالاته :

وقد كان جميع الهاشميين — وقتئذ — وفي مقدمتهم العباس بن عبد المطلب
من الشيعة وكذلك حذيفة بن اليمان ، والزبير بن العوام ، وخزيمة ذو الشهادتين
وابو التيهان وهاشم بن عتبة بن ابي وقاص المعروف بهاشم المرقال وابو ايوب
الانصاري وابو سعيد الخدري القائل «ما كنا نعرف المنافقين على عهد رسول
الله ﷺ إلا بغيض علي بن ابي طالب (٣)» وخالد وابان الامويان وابو ارفع
وعدي بن حاتم الطائي وحجر بن عدي الكندي ، وسعيد بن جبير وعثمان
وسهل ابنا حنيف وابي بن كعب والبراء بن عازب والاحنف بن قيس وثابت بن
قيس بن اللطيم وقيس بن سعد بن عباد وابوه أيضاً وخباب بن الارت وبلال
مؤذن النبي ﷺ وعبدالله ومحمد ابنا بديل وقُرظة بن كعب الخزرجي
وسليمان بن مسدد الخزاعي وحسان بن ثابت وانس بن الحرث وابو قتادة الانصاري
وابو دجانة الانصاري وسعد بن مسعود الثقفي عم المختار ويزيد بن نويرة «وهو
أول قتيل قتل من أصحاب علي بالنوروان وشهد له رسول الله بالجنة مرتين (٤)»

(١) كما في ج ١ صفحة ١٥٤ من تاريخ أبي الفداء (٢) صفحة ٣٣ من تذكرته

(٣) صفحة ٧٥ من الصواعق وجزء ٢ صفحة ٤٣٨ من شرح النهج للمعتزلي

(٤) ج ١ صفحة ١٥١ من تاريخ بغداد للخطيب البغدادي

ونافع بن عتبة بن ابي وقاص وابو ليلى الانصاري واسمه يسار ويقال داود بن بلال وكان ابو ليلى خصباً بعلي عليه السلام يسمر معه ومنقطعاً اليه وورد المدائن في صحبته وشهد صفين معه وفي ولده جماعة يذكرون بالفقه ويعرفون بالعلم (١) وعدّ غير هؤلاء من الصحابة المتشيعين لعلي (ع) كل من صاحب الدرجات الرفيعة وصاحب الاستيابة والاوصابة فراجع :

وجل هؤلاء قد ثبتوا على التشيع والموالاة لعلي بعد وفاة النبي الكريم ﷺ. ولذلك امتنعوا معه عن مبايعة ابي بكر (رض) في بدء الأمر لاعتقادهم ان عالياً أولى بالامامة من غيره (٢) وانه هو الامام الحق والخليفة الشرعي لرسول الله الذي عقد الولاية لعلي يوم الغدير وحكم بأنه أفضى الامة وانه باب مدينة علمه وأن الحق يدور معه حيثما دار وكان يخلفه على المدينة إذا غاب عنها ولم يخلف غيره ويؤمره على غيره في الوقائع ولم يؤمر عليه أحداً . وقد خصه الله بالتبليغ عن النبي ﷺ يوم ارسل ابا بكر (رض) ليبلغ سورة براءة فأهبط عليه جبرائيل (ع) وبلغه انه لا يبلغ عنك إلا أنت أو رجل منك (٣) فأرسل حينئذ علياً ليرجع ابا بكر ويتولى هو بنفسه — وهي نفس الرسول بنص آية المباهلة — تبليغ الوحي :

سبحان مني همل لفظ الشيعة ومتى اشتهر ؟

لما تغلب المهاجرون على الانصار يوم « السقيفة » وباع بعد ذلك الناس ابا بكر (رض) عدا سعد بن عباد زعيم الانصار من الخوارج . انحصرت

(١) ج ١ صفحة ١٨٦ من تاريخ الخطيب

(٢) وهذا عمر (رض) قد اعترف بما يمتدحه الصحابة من اولوية علي (ع) حيث قال لابن عباس « اما والله يا بني عبد المطلب لقد كان علي فيكم اولى بهذا الامر مني ومن ابي بكر ولكن خشيت ان لا تجتمع عليه العرب وقرش لما قد وترها — صفحة ٢١٣ من محاضرات الراغب الاصبهاني » (٣) ج ١ صفحة ١٥٠ تاريخ ابي الفداء وج ١ صفحة ١٥١ من مسند احمد ولكن بالظن ان يؤدي الخ

جهود أبي بكر في أخذ البيعة من علي (ع) ومن الذين امتنعوا معه عن البيعة . وكان من المعتنقين والمظهرين انخيازهم إلى جانب علي يومئذ أبو سفيان رأس الأُمويين القائل « يا آل عبد مناف فيم أبو بكر من أموركم . فزجره علي وقال له والله ما أردت بهذا إلا الفتنة وانك طالما بغيت للإسلام شراً (١) » ثم إن أبا بكر تشدد في طلب البيعة من علي — بإيعاز من عمر على ما قيل — وتشدد علي في الامتناع وبالغ في القاء الحججة على المهاجرين والانصار حتى ندم بعض الأنصار على بيعتهم لأبي بكر ولام بعضهم بعضاً . وذكروا علي بن أبي طالب وهتفوا باسمه (٢) »

و كذلك ندموا أو اظهروا الندم لما سمعتهُم بضعة المصطفى ﷺ ذلك التقريع الأليم وتلك الحجج الدامغة (٣) ولكن ندمهم هذا كان اعظم على الزهراء من نخاذلهم . لأنه كان في وقت لا يجدي فيه الندم . كان في

(١) ج ٢ صفحة ١٢٣ من تاريخ ابن الأثير « ٢ » ج ٢ صفحة ١٩ من شرح النهج لابن أبي الحديد المعتزلي

(٣) ذكر ابن أبي الحديد خطبتها في (ج ٤ ص ٨٧ من شرح النهج) واليك بعض فقراتها قال (اجتمع عند فاطمة بنت رسول الله ﷺ نساء من نساء المهاجرين والانصار فقلن لها كيف أصبحت يا بنت رسول الله ؟ قالت والله أصبحت عاتقة لدنيا كن قالية لرجالكن لفظتهم بعد ان عجمتهم وشأنهم بعد ان سبرتهم فقبحاً لفلول الحد وخور القناة وخطل الرأي لاجرم قد قلدتهم ربقتها وشنفت عليهم غارتها فجعدا وعقرا وبجهم ابن زحزحوها عن رواسي الرسالة وقواعد النبوة ومهبط الروح الامين والطيبين بأمر الدنيا والدين وما الذي نعموا من أبي الحسن نعموا والله نكبر سيفه وشدة وطأته ونكال وقعته وتنمره في ذات الله » وذكر احمد بن أبي طاهر البغدادي ص ٢٤ من كتابه بلاغة النساء نحو ذلك

الوقت الذي استحكم فيه أبو بكر من بيعة الأنصار وبقية الناس . ولم يبق سوى علي (ع) والصفوة من شيعته :

ولذا لما رأى ذلك ورأى أنه لو دام على الامتناع لحصل مالا تحمد عقباه وما يوهن الدين الخفيف الذي بني على ماضيه

بني الدين فاستقام ولولا ضرب ماضيه ما استقام البناء

لما رأى ذلك كله تغاضى عن حقه المشروع ومقامه المضاع وصافح بابا بكر وقام بنصح المسلمين وبؤيد كلمة الإسلام بعلمه الزاخر وسيفه « ذي الفقار » وتابعه شيعته على ذلك . فأهمل هو ثم لفظ الشيعة وصار المسلمون فرقة واحدة . وذابت تلك الكلمات المفرقة (سنة شيعة بكري علوي) في كلمة مسلم (١) واستمر المسلمون على هذا السير المحبوب في جميع أيام الأول والثاني رضي الله عنهما وشطر من أيام الثالث لم يختلفوا ولم تفرق كلمتهم سوى بضعة أيام في مجلس « الشورى » حتى قامت عصبة أموية في أواخر أيام الثالث (رض) واستبدت في أمور المسلمين إلى أن قام المسلمون ضدها وجري ما جرى من التنازع والتضارب حتى انتهى الأمر بقتله وكان قتله من جراء أعمالها الجائرة وبإلتهابها خجلت من أعمالها وتسيبها قتل زعيمها وخذلانه . ولم تناهض أمير المؤمنين علياً وتنهجه بخذلان من خذلته والمالأة عليه ولقد أجاد القائل « رميتي بدائها وانسلت »

ولقد ساعدها نقر ضئيل من أهل الاطماع وتفرّد معها عن جميع البلدان

(١) حبذا لو نكون اليوم كما كانوا بالأمس متحدين متحابين لا نقيم لتلك الفوارق المذهبية الخارجة عن جوهر الدين الخفيف وزنا ولا نعرف لها معنى وما يجيدنا التخاصم في الخلافة وقد قضى عليها الاتراك وامست خبر آمن الاخبار— في مثل هذه الأيام التي صرنا فيها سواسية هدفاً للاعداء والمستعمرين وصارت بحوث الفوارق المذهبية من أقوى الأسلحة للمستعمر على هلاكنا وابتدائها

الإسلامية التي باهتت عليا على العموم ولم يشذ عن ذلك سوى الشام فإنه لبس
عليها لأمر وأغشى بصرها (دم القميص) الذي جاء به معاوية ونشره على
منبر دمشق حتى اجتمع حوله سبعون ألف شيخ يبكون على عثمان (١)

وينحرقون غيظا من علي بسبب ما لفق له معاوية وابن العاص من التهم
للفضوحة حتى ظهر الانقسام - وقتئذ - جليا بين المسلمين . وصار المسلمون
فرقتين عثمانية وعلوية ، ثم لما صارت واقعة (صفين) وانتهت بالتحكيم المزيف
وخروج الخوارج ثم اغتيالهم عليا وخذلانهم الحسن بن علي عليهما السلام حتى
هادن معاوية - في عام الأربعين - أطلق أنصار معاوية ومتبعو سنته اسم السنة
والجماعة على أنفسهم (٢) واسم الشيعة على أنصار علي ومواليه . واشتهر كلا
الاسمين في ذلك الوقت بعد أن كانا مهملين :

ولم يزالا مشتهرين إلى اليوم ولكن قد اندمج فيهما أسماء وفرق كثيرة
بمصر عدها في هذه العجالة وهذا المختصر :

ولقد اسرف البعض في اطلاق اسم الشيعة على فرق خرجت عن التشيع
والإسلام معا وقد باد أكثرها وكأنه ما عرف عقائد الشيعة القويمة أو أنه
عرفها ولكنه عد تلك الفرق الضالة في عداد الشيعة لغاية في نفس يعقوب

وان المعاني الحقيقية التي قدمناها للتشيع الحق لا تخول أحداً ان يطلق
اسم الشيعة على غير الاثني عشرية وأكثر الزيدية والاسماعيلية . وبعض
الطححية والواقفية . وبما ان الزيدية اليوم ومثلهم الاسماعيلية لا يعرفون
إلا بهذين الانسابين . وبما ان الطححية والواقفية لا وجود لهم في هذا العصر

(١) ج ١ ص ٢٨٦ من شرح النهج للمعتزلي

(٢) وقيل ان اسم السنة اطلق على اتباع معاوية وموئدي سنته في بدء
الدولة العباسية ولكن الأصح انه إنما اطلق عليهم عام الأربعين لأن الجماعة
حصلت - كما زعموا - يومئذ ولذا سموها هذا العام عام الجماعة

انحصر اسم الشيعة بالشيعة الاوامية الاثني عشرية واختص بهم لذلك لا نقصد غيرهم في بحثنا عن

﴿*﴾ مجمل عقائد الشيعة ﴿*﴾

أبنا أن التشيع لم يكن غير المشايعة لعلّي (ع) والمتابعة له في كل ماصح عنه من الأقوال والأعمال ، ولم يكن أيضاً سوى الموالاتة له ولذريته الطاهرة فالتشيع - بطبيعة الموالاتة والمتابعة والمشايعة - قد تضمن جميع العقائد الدينية الإسلامية التي صدع بها نبي الإسلام الأقدس ﷺ وأودعها في الكتاب الكريم الثقل الأكبر والعتره الطاهرة الثقل الأصغر التي لا انفارقه إلى يوم القيامة لذلك كان من أوليات العقائد الدينية وأهمها عند الشيعة - هو الاعتقاد بأن الله سبحانه وتعالى أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وأنه حي قيوم قديم أبدي قادر مختار عالم حكيم عادل غني سميع بصير مدرك كل شيء ولا يدركه شيء مرشد للخير كاره للشر صادق في وعده ووعيده يرى ولا يرى في الدنيا والآخرة لأنه سبحانه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا مركب من شيء ولا متحد مع شيء وأنه لطيف بعباده رؤوف رحيم ومن لطفه أرسل الأنبياء الهداة ولكمال لطفه عصمهم من كبائر الذنوب وصغائرها وجعل نبينا محمداً ﷺ خاتم الأنبياء (ولكنه رسول الله وخاتم النبيين) وانزل عليه المعجزة العظمى - القرآن الكريم - مصدقاً لما بين يديه فيه تبيان كل شيء ، وهو عند الشيعة غير قديم كقدمه تعالى وعندهم ان الاعتقاد بالتوحيد وبالنبوة والعدل من أصول الدين الحنيف ، ومثلها الإمامة والمعاد . أما الإمامة - وهي واجبة عندهم وعند جمهور المسلمين - فيعتبرها الشيعة منصباً إلهياً كمنصب النبوة إلا أنه دونه في المنزلة والفضل - لأن الإمام نائب عام عن النبي ﷺ في حفظ الشرع الإسلامي وتسيير المسلمين على طريقه القويم ، وفي حفظ وحراسة الأحكام عن الزيادة والنقصان

(والنائب دون المنوب عنه) والإمام موضح للمشكل من الآيات والآحادث
 . . . مفسر للمجمل والمتشابه ومميز للناسخ من المنسوخ ، وهو ليس بمشرع بوحى
 إليه وإنما هو — كما تقدم — نائب عن المشرع الموحى إليه :

والإمامة — عند الشيعة — لا تكون إلا بنص وتعيين والمعيّن لا بد أن
 يكون معصوماً كالنبي ﷺ وان يكون أفضل الأمة — بعد النبي —
 وأنشجعها وأزهدّها وأتقّاها ليتمكن من حفظ الشرع وإقامة الأحكام الدقيقة
 على طبق ما شرعها الشارع الأعظم لا تأخذه في الله لومة لائم ولا تصده عن
 تنفيذها قرابة قريب ، أو صداقة صديق أو أمانة ذاتية :

ولما كانوا يعتقدون بوجوب النص على الإمام — بحكم العقل والنقل —
 قالوا ان النبي ﷺ قد نص عليه وعينه ولم يهمل أمره . ولما كان اعتقادهم
 بوجوب عصمة المعيّن وكونه أفضل الأمة وأقضاها قالوا ان الذي عينه رسول
 الله ﷺ ونصبه إماماً ونائباً عنه هو علي بن أبي طالب (ع) لأن العصمة
 لم توجد في غيره ولا ادعيت لأحد غيره ولأن الأفضلية قد ثبتت له باعتراف
 جل المسلمين وبإجماع من يعتمد به منهم وبالأخبار الصحيحة المتواترة عن نبي
 الهدى ﷺ وقد قدمنا لك نبذة منها في جملة الأخبار الناصة على
 إمامته عليه السلام

وبالنص والعصمة والافضلية ثبتت إمامة الحسن بن علي (١) وإمامة أخيه
 الحسين (٢) وإمامة زين العابدين علي بن الحسين (٣) وإمامة محمد بن علي

- (١) ولد الحسن (ع) في المدينة سنة ٣ هـ وتوفي فيها مسموماً سنة ٥٠ هـ
 وقيل سنة ٤٩ هـ ودفن بالبقيع (٢) ولد الحسين (ع) بالمدينة سنة ٤ هـ
 وشهد في طف كربلا ١٠ المحرم سنة ٦١ هـ ودفن فيها بعد ثلاثة أيام من
 استشهاده (٣) ولد علي بن الحسين (ع) بالمدينة سنة ٣٨ هـ وتوفي ودفن
 فيها سنة ٩٥ هـ بالبقيع

«الباقر» (١) وإمامة جعفر بن محمد «الصادق» (٢) وإمامة موسى بن جعفر «الكاظم» (٣) وإمامة علي بن موسى «الرضا» (٤) وإمامة محمد بن علي «الجواد» (٥) وإمامة علي بن محمد «المهدي» (٦) وإمامة الحسن بن علي «العسكري» (٧) وإمامة محمد بن الحسن «المهدي» وهو الإمام الثاني عشر (٨) هذه هي الإمامة . وأما المعاد - فيعتقد به الشيعة كما يعتقد به سائر المسلمين . ولكنهم يخالفونهم بالكيفية ، فهو عند الشيعة : إعادة الخلائق - بعد موتهم - أحياء بأجسادهم وأرواحهم ، وقد وافقهم بعض السنة وخالفهم الباقون في ذلك :

علمت - من مجمل ما ذكر - أن أصول الدين عند الشيعة خمسة :
 - التوحيد - العدل - النبوة - الإمامة - المعاد - لكن الإمامة -
 - وإن اعتبروها من أصول الدين - هي بأصول المذهب أشبه ، لأن منكر
 الإمامة عديم لا يخرج - بذلك - عن ملة الإسلام وإنما يخرج عن المذهب
 فحسب بعكس بقية الأصول :

ويؤمن الشيعة بجميع ما في القرآن العزيز والسنة الشريفة القطعية من الجنة
 والنار ، ونعيم البرزخ وعذابه ، والميزان ، والصراط ، والأعراف ، والكتاب
 الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، وإن الناس يحزبون بأعمالهم

-
- (١) ولد عليه السلام بالمدينة سنة ٥٧ وتوفي فيها سنة ١١٤ ودفن بالقيم
 - (٢) ولد عليه السلام بالمدينة سنة ٨٣ وتوفي فيها سنة ١٤٨ ودفن بالقيم
 - (٣) ولد عليه السلام بالابواء سنة ١٢٨ وتوفي بمسوبا سنة ١٨٣ ودفن بالكاظمية
 - (٤) ولد عليه السلام بالمدينة سنة ١٤٨ وتوفي بمسوبا بطوس إيران سنة ٢٠٣ ودفن هناك
 - (٥) ولد عليه السلام بالمدينة سنة ١٩٥ وتوفي سنة ٢٢٠ ودفن بالكاظمية شمال جده
 - (٦) ولد عليه السلام بالمدينة سنة ٢١٢ وتوفي بمسوبا بامراس سنة ٢٥٤ ودفن بدارم فيها
 - (٧) ولد عليه السلام سنة ٢٣٢ بالمدينة وتوفي ودفن عند أبيه سنة ٢٦٠
 - (٨) ولد عليه السلام سنة ٢٥٥ بامراس وقاب غيت المصري سنة ٣١٠ وأكبرى

إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر — ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره — إلى غير ذلك مما ثبت في الكتاب والسنة من أن الله سبحانه لم يجبر مخلوقاً على طاعة ولا على معصية ، وكيف يجبر على الطاعات وهو غني عنها ؟ بل كيف يمدح عباده ويثيبهم عليها وهي ليست منهم ولم تكن باختيارهم على ما زعم ؟ !

ثم كيف يعاقب العصاة وقد اجبرهم على المعاصي وأرادها منهم كما زعم الزاعمون ؟ وهو القائل في كتابه الكريم « وما الله يره ظملاً للعباد — وماربك بظلام للعبيد — قل الحق من ربك فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم مرادها » أم كيف يرضي الكفروياً بالفحشاء وهو القائل « أن الله لا يأمر بالفحشاء ولا يرضي لعباده الكفر » ؟ ؟ !

حاشا وكلا أن يكون إلّنا ينهي عن الفحشاء ثم يرهها

وكما لا جبر عند الله تعالى كذلك لا تفويض بل الأمر بين بين

وما ينسب إلى بعض منتحلي التشيع (من أن الله فوض الأمور إلى الأئمة من أهل البيت) تبرا منه الشيعة ولا نقول به لأنهم لا يرون أنهم لهم عباد الله المخلصين الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون

وعند الشيعة أن كل من قال أو يقول بالتفويض أو يجعل لأي مخلوق

صفة من صفات الخالق الخاصة به فهو خارج عن ملة الإسلام (١)

وهناك أمور كثيرة يعتقد الشيعة وجوبها ويفعلونها منذ تكونوا إلى اليوم اليك أهمها وهي خمسة : الصوم ، والصلاة ، والحج ، والزكاة ، والجهاد في سبيل الله ، وهي المعبر عنها — عندهم — بفروع الدين . أما « الصوم » فهو عندهم أربعة أقسام : واجب ، ومستحب ، وحرام ، ومكروه ، ولا يجب

(١) ملخص، عن كتاب «شرح التجرید» للعلامة الحلي المتوفى سنة ٧٢٨ ومختصر تاريخ الشيعة - وأصل الشيعة وأصولها - وإنقاذ البشر - للشيخ المرتضى التوسلي سنة ١٣٦

الصوم المفروض في شهر رمضان حتى يشاهد هلاله أو يثبت بشهادة عدلين أو بالشياع ، كما لا يجوز الإفطار — عندم — حتى يرى هلال شوال أو يثبت بالشهادة أو بالشياع .

فمن الخطأ القادح ما في دائرة المعارف الانكليزية « من ان الشيعة يوجبون الصوم بالعدد ويجوزون الإفطار بالعدد ولا يشترطون رؤية الهلال »
وأما « الصلاة » فقسمان : واجب ، ومستحب وبعبارة عنه بالنوازل ، وقد تعرض الحرمه والكراهة على الصلاة من حيث المكان واللباس .

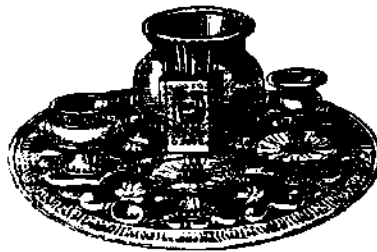
و « الحج » قسمان أيضاً واجب ومستحب وقد يحرم إذا ظن المرء تلف نفسه أو عرضه أو ماله في الطريق أو غيره ولا يجوز الحج إلى غير مكة المكرمة ولا غنى لهم عن بيت الله الحرام كما افترى عليهم الرحالة المصري (ص ٢٠٠) من جولته في ربوع الشرق الأدنى : ولا يتم حجهم إلى مكة إلا بتأدية المناسك على الوجه الكامل في بيت الله الحرام ، وفي المواقيت ومعرفته والمشعر و « الزكاة » قسمان : واجب في ثلاثة أنواع (١) الأنعام الثلاثة (٢) والغلات الأربع الخنطة والشعير والتمر والزبيب (٣) والنقدين من الذهب والفضة — ومستحب — في غير هذه الأنواع

و « الجهاد » واجب في سبيل الله وحماية بيضة الإسلام : وجهاد النفس الأماره من اعظم الجهاد وأعودها تقمًا للفرد والمجتمع البشري وهو داخل ضمن الجهاد في سبيل الله بلا ريب . لأن من جاهد نفسه ووطنها على فعل الخيرات والابتعاد عن الشرور والمعاصي كان عمله أنفع من سل الحسام في حرب المشركين : وهل أشرك المشركون إلا من إهمال هذا الجهاد للنفس وتغليب الهوى على العقل ؟

وبلي هذه الفروع في الأهمية فرض الخمس (١) « واعلموا ان ما غنمتم

(١) قال الامام الشافعي ص ٦٩ من كتابه « الأم » فأما آل محمد الذين جعل لهم

من شيء قال الله تحمه وللرسول ولذي القربى التح «والأمر باللحروف والنهي
عن التكبر» ولتكن متك أمة يدعون إلى الخير ويأمرون باللحروف ويهيئون
عن التكبر أو تلك هم اللطعون «ولها كذا النذرهما من الأحكام شروط كثيرة
ومجرب دقيقة مبسوطة في الكتب الاجتهادية لقصد الشيعة وهي مطبوعت متشرة
في بلادهم وغيرها فليطلبها من يريد الاطلاع والكتابة عنهم يعلم وانصاف



الشمس عوضا عن المصنعة فلا يطرون من المصنعات الفروضات شيئا .. ولا يجل لهم
الضنفا .. والى متهم حتهم في الشمس فيجل لهم ما حرم عليهم من المصنعة وأبأن
البن حبر من موانعه على تحريم المصنعة على آل محمد (ص) فقال هو من تطهيرهم
تحريم مصنعة القرض بل والفضل - على قول مالك - عليهم لأنها الواسخ الناس مع كونهما
تنبى من ذلك الآخذ وعن الآخر منه .. وموقفوا عنها تحريم الشمس اللبني عن عز الآخذ
وقد الآخر منه وفي تغير المبري «عن مجاهد : قد علم الله ان في نبي طسم القرآن
فيجل لهم الشمس مكان المصنعة»

الفصل الثاني

﴿ الطوائف الشيعية من الشيعة وكيف سميت ﴾ (*)

١ تمهيد ٢ السياقية والخوارج ٣ دلائل الخوارج وتغلغل الشيعة

٤ الكيسانية ٥ الرئيسية ٦ كيف ظهر الزنادقة والفتنة

في عهد الصالح ٧ الاسماعيليه ٨ النطحية

٩ الرواقية ١٠ الطلعية ١١ الصيرية

١٢ حل الشيعة بذلك ١٣ ملهي

الاسيليق في تشييد تلك الطوائف

﴿ تمهيد ﴾

كان الشيعة في بدء نشأتهم طائفة واحدة يعتقدون - جيكا - أن الإمامية ليست من الأمور التي تعرض إلى نظر الأمة واختيارها (١) بل لا بد فيها من النص على الإمام الذي يكون خليفة النبي ﷺ ووصيه ونائبه عليها عنه في تنفيذ الأحكام وإدارة شؤون المسلمين - ولا يجوزون أعمال مثل هذا اللصب الخطير - لأن ذلك مما يوجب الفرج واللجج والفوضى بين الأمة التي تريد أن تعين صاحب هذا اللصب الخطير بالاختيار لو حسب أهوائها المختلفة وأنظارها المتباينة -

وخلصا رسول الله ﷺ - وهو الذي علم قلوب آياله وتباين أمته في

(*) نشر مختصرا في الجبلد ٢٨ في مجلة المرقان النمر ١

(١) قلني انه لولا الاعتقاد بتعيين امر الإمامية إلى اختيار الأمة لما سبق الهالجرون والانصار إلى « الحقيقة » ولولا اختلاف الامراء والأنظار لما حصل ذلك التقسامم العظيم يمتد حتى وطئ صدر زعيم الانظار وهو مريض - ولما حصل ذلك الفرج الذي لو لم يتداركه علي بتأخيه وتمصحه وابو بكر يحترسه وتحمي معرفته الغني على الامام في مهده ونال العل الرقة ما يرضون والواثقة قلوبهم ما يبتغون والمناظر دين اللين والوكرة الكافرون -

الآراء — ان بدعها فوضى تسارع كل قبيلة إلى تنصيب زعيمها ذلك المنصب العظيم أشرف منصب في الإسلام ، حاشاء من أن بهمل هذا الأمر الخطير وهو الذي كان إذا غاب عن المدينة أباماً قليلة لا بدعها بغير نائب عنه من خيرة أصحابه ؟ أو بهمل أمر الوصية وتعيين الوصي وهو الذي كان بأمر المسلمين وهم أحياء أصحاء لا يعلمون قرب آجالهم — أن يوصوا ويعينوا وصياً . لهذا وغيره قال الشيعة بوجوب النص على الإمام وتعيينه وقالوا — كما تقدم في الفصل الأول — ان النبي ﷺ عين أمير المؤمنين (ع) إماماً ووصياً وخليفة واستدلوا على قولهم بأخبار إخوانهم من أهل السنة ودونوها في كتبهم الخاصة بالإمامة وفي غيرها وقد اثبتنا لك — قبل — طرقاً منها . واليك هذا الخبر الصحيح الصريح

« عن زيد بن أرقم قال قال رسول الله ﷺ ألا أدلكم على ما إن تساءلتم عنه لم يهلكوا ان وليكم الله وان امامكم علي بن ابي طالب فناصحوه وصدقوه فان جبريل أخبرني بذلك (١) استمر الشيعة على هذا القول في الإمامة ولم تعرض لهم فيه أي شبهة ولم تشبه أي شائبة إلى أيام ظهور السبائية وخروج الخوارج (*)»

ظهرت بدعة السبائية في الغلو على عهد أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) عندما « سرّ يقوم وهم يأكلون في شهر رمضان نهائراً فقال لهم — أسفر أقم أم سرفي ؟ قالوا لا ولا واحدة منها قال فمن أهل الكتاب أقم فتعصمكم الذمة والجزية ؟ قالوا لا قال فما بال الأكل نهائراً في رمضان ؟ فقالوا له أنت أنت يومتون إلى ربوبيته . فاستتابهم واستأنى وتوعدهم فأقاموا على قولهم ، فحفر لهم حفراً دخن عليهم فيها طمعاً في رجوعهم ، فأبوا فحرقهم وقال — ألا تروني قد حفرت حفراً

إني إذا رأيت شيئاً منكراً أوقدت ناري ودعوت قنبراً فلم يبرح عليه السلام من مكانه حتى صاروا حمماً ثم استترت هذه المقالة سنة أو نحوها ثم ظهر عبد الله بن سبأ وكان يهودياً ينسب بالاسلام بعد وفاة أمير المؤمنين (ع) فأظهرها واتبعه قوم فسموا السبائية ، وقالوا إن علياً لم يميت وقالوا في رسول الله ﷺ أغلظ قول (١)

فأنت ترى أن (السبائية) بعيدون — بأقوالهم هذه وغيرها — عن التشيع الحق كل البعد . فمن الظلم والخطأ الفاحش أن ينسبوا إلى الشيعة وأن يقال « وفي التشيع ظهرت اليهودية الخ » وسترى لذلك مزيد بيان في فصل الغلاة وبعد انسلاخ هذه الفئة عن الشيعة والاسلام — انسلخ عنهما في «صفين» فئة أخرى سميت « الخوارج » (٢) لأنها كانت في جند علي (ع) فخرجت

(١) ج ٢ ص ٣٠٩ من شرح النهج (٢) لقد توسع الشهرستاني (ج ١ ص ٦٥ من ملله) في اطلاق اسم الخوارج حيث قال يطلق على كل من خرج على الامام الحق الذي انتفت عليه الجماعة سواء كان خروجه في أيام الصحابة على الراشدين او كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان ثم قال — وإن أول من خرج على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه جماعة ممن كان معه في حرب صفين واشدهم خروجاً عليه ومروقاً من الدين الاثنت بن قيس ومسمود بن فدكي التميمي وزيد بن حصين الطائي . وبعد ان ذكر تفرق الخوارج إلى ٢٧ فرقة قال — وكبائر فرق الخوارج ستة — الارزاقية والتجدات ، والصفرية ، والمجاردة ، والأباضية ، والثمالية ، والباقون فروعهم . ويجمعهم القول بالثبوت من عثمان وعلي ويقدمون ذلك على كل طاعة ، ولا يصححون المناكحات إلا على ذلك وأول فرق الخوارج هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين عليه السلام حين جرى أمر الحكمين واجتمعوا بمروراء في ناحية الكوفة ورئيسهم عبدالله بن الكوا ، وعناب بن الأعور ، وعبد الله الراسبي ، وعزوة بن جبير وحر قوص بن وهب المعروف بهذا التسمية ، وهم المارقون الذين قال فيهم (ص) سيخرج من ضنثي هذا الرجل (ذي الخويصرة) قوم يمرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية — ويسمون المحكمة — والحروية لتحكيمهم أولاً ثم عدولهم وخروجهم لمروراء انتهى ملخص كلامه ويؤخذ بعدم انطباق رأيه على المعروف من المحصار اسم

عن طاعته وخالفته في استمرار الجهاد حينما لجأ معاوية إلى مكيدة رفع المعاصف
وحيثما دُفِرَ النصر على لواء الأشر قاتل الجيش العلوي وكاد - لو أمهلوه
عدوة فرس - أن يأخذ بقلب الجيش السفلياني .

وعلى الرغم من نصحه عليه السلام لهذه الفئة الخارجة وبيان توجه الخدعة
المقصودة من رفع المعاصف وتحذيره إياهم من هذه المكيدة المديرة بقوله «أيها
الناس إني أحق من أجلب إلى كتاب الله ، ولكن (القوم) ليسوا بأصحاب
دين ولا قرآن ، إني أعرف بهم منكم صحبتهم صفاراً ورجالاً فكانوا شرمصار
وشر رجال ، وبحكم انها كلة حتى يراد بها باطل ، أعروني سواعدكم وجماعكم
ساعة واحدة فقد بلغ الحق مقطعه ولم يبق إلا أن يقطع دابر الذين ظلموا (١) »
على الرغم من ذلك كله قد أصرت على خلافتها وقادت بالوادعة كما أصر السبائية
على خلافتهم وفيها يقول الشهرستاني « ومن الفريقين ابتدأت البدعة والفسالة
وصدق فيهم قول النبي ﷺ بهلك فيك اثنان محب غال ومبغض قال (٢) »
ومن غرائب أمر هذه الفئة انها مثلاً أصرت على علي (ع) بقبول التحكيم
أولاً وشهرت السيف فوق رأسه الشريف ، وألجأته إلى إرجاع قائده الأشر (٣)

الخوارج بقوة ذي الخصومة والتابعهم والافقلى رأيه يشبه ان يكون الول الخوارج
هم الصحابة والمصريون الذين ألجوا على عثمان وقتلوه ثم طلحة والزبير ومن ساعدهما على
حرب علي يوم الجمل بعد خدعها اليه

(١) ج ١ ص ١٥٦ من شرح النهج (٢) ج ١ ص ١١١ من ماله ونحوه

(٣) قال حسن السدوسي ج ٢ ص ٦٠ من البيان والتبيين على الفاشية هو «مالك بن
الخلول الأشر النخعي . كان من شجعان العرب وابطال الإسلام وفرسان الدنيا وكان
شاعراً مجيداً وخليلاً يلياً وقائداً مديراً وكان من قواد الجيوش مع علي بن ابي طالب
وشهد معه وقاته في الجمل ومعين وكان يلي الجزيرة له وهو الذي كثف جيوش
ساوية عن الماء في معين وتخل من قواده وصناديد اجناده سبة في يوم واحد وقد يارز
عبد الله بن الزبير يوم الجمل وصرفه مع شيخوخته وفيه ثلاثة أيام لم يطم فيها شيئاً
ومع شباب ابن الزبير وقتاه وقوته وكان عبد الشميص الظلوني ومالكاً وفي ذلك

من ملاحه الحرب ، واضطرته إلى إظهار قبول التحكيم — أمرت على اتكاف التحكيم أخيراً أشد إصرار « وتأت من كل جهة ومن كل ناحية لا حكم إلا لله يا علي ، لا ترضى بأن يحكم الرجال في دين الله (١) »

ثم خرجت بعد مدة عليه « بالهروان » واعتلت على المحابي الجليل عبد الله ابن خباب بن الارت لأنه أنى على علي « قتلوه وقتلوا أم ولده وشقوا عماقي بطنها من حمل فأخبر علي بما صنعوا فقال الله أكبر (٢) ثم حمل عليهم وكانوا أربعة آلاف قتلهم أجمع ولم يبق منهم سوى ثمانية أو تسعة فانهزم اثنان منهم إلى عمان ، واثنان إلى كرملن واثنان إلى سجستان ، واثنان إلى الجزيرة ، وواحد إلى تل مورون باليمن ، وظهرت يدع الخوارج في هذه اللواضع منهم وبقيت إلى اليوم (٣) »

وكان من جملة الخوارج المقتولين في الهروان ذو النديبة الذي قال عنه رسول الله ﷺ بعد أن حكم يروقهم من الدين — « وأبشهم رجل أسود

يقول الاشتراكية أم اللومتين ماحية الجمل

أعاشس لولا أنني كنت طاوياً ثلاثاً لأفقت ابن الختلك هالكاً

عدالة يتأدي والرجال تيمزه بأصف صوت القتلوني ومالكاً

ولما انتهى امر متين والملكين ولأه علي صر واعطاء دستوراً للحكم هومن البالغ ما وضع في الساليب الحكم . وكان مألوفة لما يله توالته على صر القطار وخاف إن تمكن منها حال بيته وبين طامسه فيها فأخذاه من يقيه السم في طريقها فكان ما كان ومات رحمه الله « سنة ٣٨ هـ » مسوماً بالظلم قيل دخوله صر وقال ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٨٥ من شرح النهج « الله أم قامت عن الاشتراكي الوان انساناً يقسم أن الله تعالى ما خلق في العرب ولا في الجيم أشجع منه إلا الساذق عليه السلام لما خشيته عليه الآثم والله در القائل عن الاشتراكي ما القول في رجل هزمت حياته أهل الشام وهزم سوته أهل العراق وبين ما قاله فيه أمير اللومتين « ج » كان الاشتراكي كما كنت الرسول الله (ص) »

(١) ج ١ ص ١٦٣ من شرح النهج (٢) ج ١ ص ٣٠٥ من تاريخ الخطيب البغدادي

(٣) ج ١ ص ٦٧ من ملل الشهورستاني

في إحدى بدبه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردراً (١)»
ولنبعث الآن عما حدث بعد ذلك من

❖ دسائس الخوارج وتحاذل الشيعة وما نالهم من البلاء ❖

كان المترقب بعد خذلان الخوارج وانتصار امير المؤمنين (ع) ذلك الانتصار الباهر في النهروان - ان تقوى شوكة الشيعة ويزداد اتحادهم وبشد نشاطهم وتطمح آمالهم الى الكرة - ثانياً - على «صفيين» ولكن الأمر كان على عكس ما ترقب من جراء الدسائس الخبيثة التي كان يلقاها فيما بينهم فلول الخوارج الذين اظهروا الطاعة وكتموا العصيان ، وافراد من عثمانية البصرة والكوفة المتسترين في عثمانيتهم .

فالخوارج - وهم حديثو عهد بقتلى النهروان لم تزل مصارعهم نصب أعينهم - كانوا يشبطون الناس كرهاً بعلي وانقاماً منه - حتى انه لما خطب بالنخيلة « قام اليه رجل منهم فقال ما أحوج امير المؤمنين اليوم الى أصحاب النهروان ، ثم تكلم الناس من كل ناحية ولفظوا (٢) »

وخطب يوماً فقال « اذا نظر احدكم الى امرأة تعجبه فليمس أهله فانما هي امرأة كأمراة فقال رجل من الخوارج : قاتله الله كفوراً ما أفقهه ، فوثب القوم ليقتلوه فقال (ع) : روهداً إنما هو سبباً بسبب أو عفو عن ذنب (٣) »

(١) ج ١ ص ٣٩٣ من صحيح مسلم وذكر نحو ذلك ابن أبي الحديد (ج ١ ص ٢٠٢) من شرحه وروى هناك عن مسند احمد بن حنبل عن مسروق « قال قلت لعائشة أأنتك بصاحب هذا القبر ما الذي سمعت منه (ص) في الخوارج فقالت نعم سمعته يقول إنهم شر الخليق والخليقة يقتلهم خير الخليق والخليقة واقربهم عند الله وسبلة » وروى الخطيب البغدادي أيضاً ج ١ صفحة ١٦٠ من تاريخ بغداد « عن عائشة قالت : سمعت النبي (ص) يقول تفرق فرقة محفون رؤوسهم محفون شواربهم يقرأون القرآن لا يتجاوز تراقيهم يقتلهم احبهم إلي واحبهم إلى الله تعالى »

(٢) ج ١ ص ١٤٦ من شرح النهج (٣) مجلد ٤ ص ٤٧٠ من الشرح

والعثمانية - كانوا يفعلون كذلك حباً بمعاوية وحذراً من انتصار علي عليه ، «وكان بعض العثمانية - وهم في جند علي (ع) - يتجسسون الاخبار لمعاوية وكان أبو يردة بن عوف الازدي يكتتب معاوية من الكوفة ، فلما ظهر معاوية اقطعه قطيعة بالفلوجة وكان كريماً عليه (١)»

وقد اختلفت اساليب التثبيط فتارة يقولون «نقدت نبأنا وكت سيوفنا (٢)» وأخرى «يقولون إذا أمرهم بالسير الى أهل الشام في ايام الحر هذه حمارة القيظ امهلنا حتى ينسلخ عنا الحر ، واذا أمرهم بالسير في الشتاء قالوا هذه صبرة القر أمهلنا حتى ينسلخ عنا البرد (٣)» وبطبيعة الحال كانت هذه الالفاظ المخشبة تؤثر على البسطاء والكسالى من الشيعة فتدفعهم الى النداء مع القوم «نقدت نبأنا وكت سيوفنا يا امير المؤمنين»

ولقد حاول عليه السلام مراراً أن يحفزهم إلى الجهاد ويقنعهم بضرر تأخيرهم على دينهم ودنياهم فما استطاع - وهو إمام البلغاء وخطيب الاسلام المصقع غير مدافع - ولما سأم عتابهم عدل الى تقريبهم والتأفف منهم بمثل قوله «يا اشباه الرجال ولا رجال قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قبحاً وشحنتم

(١) مجلد ١ ص ١٨٥ و ٢٥٧ من الشرح (٢) قال الدينوري ص ٢١٣ من اخباره الطوال «لما اراد علي الانصراف من النهر وان قام في اصحابه فقال : اجماع الناس ان الله قد نصركم على المارقين فتوجهوا من فوركم هذا الى القاسطين فقام اليه رجال فيهم الاشعث بن قيس فقالوا يا امير المؤمنين نقدت نبأنا وكت سيوفنا» وقال الخطيب البغدادي «ان الغائل نقدت نبأنا الخ هو الاشعث بن قيس فركن الناس الى قوله - انظر مجلد ١ صفحة ١٩٨ من تاريخ بغداد وانظر مجلد ١ صفحة ٩٠ من تهذيب الكمال للبربر ومجلد ٢ صفحة ٦٣ من شرح النهج تر أن الاشعث هذا من اشد الخوارج واكبرهم كيدا وكان له يد طولى في اغتيال علي (ع)» (٣) مجلد ١ صفحة ١٢ من تهذيب الكمال و صفحة ٢١٥ من الاخبار الطوال

صدري غيظاً ، وأنتقم علي رأبي بالمحيان والظنلان (١) »

« أتدركم لقد شمت عابكم ، أوتيتهم بالهبة الدنيا من الآخرة
مرفأ ، وبالقيل من العز خلفاً ، إذا دعوتكم إلى جهاد عدوكم دأوت أعينكم
كأنكم من الموت في غمرة (٢) »

« لو دعت أن معلوبة ملارتي بكم صرف الدينار بالدرهم ، فأخذتني
عشرة منكم وأعطاني رجلاً منهم (٣) »

ولا ريب أنه عليه السلام لم يقصد بذلك جميع جنده لأنه كان يعلم ما فيه
من خلص الأماط وخيار الشيعة ، ويستند بطلائعهم وإخلاصهم ، وأنهم
لا يخلفونه

لو الرم — وحدهم — بالجهاد ، وإنما القعود من كان في جنده من
التخليط واليسطاء الذين خدعوا بدماس الخوارج وكلماتهم اللبقة
ما اكنى الخوارج بالشيظ ولا شقى غليلهم فجاجهم فيه ، بل راحوا
يتآمرون سرّاً على اغتيال أمير المؤمنين (ع) ، وبعد بركة من الزمن اقتلبوا
عبد الرحمن بن ملجم الرازي - فأغتيال بطل الإسلام

وقالع الباب الذي عن رده عجزت أ كف أربعون وأربع
وقيل وقائمه (ع) « يومى بالإحاطة إلى والده الحسن بن رسول الله ﷺ
وسليله وشعبه في خلقه وهديه ، قبايبت الشيعة كلها ، وتوقف الناس ممن كان
يرى رأى العثمانية ولم يظهروا أنفسهم بذلك وهربوا إلى معلوبة (٤) »

ومنذ أن يوبع الحسن (ع) خرج إلى حرب معلوبة ، ولكن الخوارج
الذين كانوا مستترين في جيشه أرادوا أن يخلوا به الترواية التي مثلوها مع

(١) جلد ١٠٠٠ صفحة ١٢١ من شرح النج ومفحة ٢١٥ من الاختيار الغوال

(٢) جلد ١٠٠٠ صفحة ١٢٢ من الترح (٣) جلد ١٠٠٠ صفحة ١٢٣ من الشرح

(٤) جز ١١٠٠ صفحة ١١٦ من الاثني لابي الترح

إليه من التضييق والاعتقال ، أما التضييق فقد تم لهم يومئذ حتى تفرق (من جراء الدساتس) جند الحسن وشده بعضهم على قسطلاطه قانتيهوه .

وأما الاعتقال فلم يتم لهم بل سلم عليه السلام من كيدهم « وتكل من طعنه في فخذه يظلم سابط بعد أن قال له أشركت يا حسن كما أشرك أبوك (١) » وبعد هذه الواقعة اضطر الحسن إلى مصادعة معاوية على شروط قبلها لمعاوية ولكنه لم يقف بها بل قال « كل شيء أعطيت الحسن بن علي تحت قلعي هاتين لا شيء (٢) »

وبعد المصادعة سار الحسن إلى المدينة فأقام فيها ما يقرب من تسع سنين - وأخيراً كان موته فيها مسموماً بيد جعدة بنت الأشعث بن قيس كبير الخوارج ، ويحرق من معاوية حتى جمل لها على سمه مائة ألف درهم ووزاج إبهته يزيد !!

ولما علم عليه السلام يبدؤوا أحله نص على إمامة أخيه الحسين (ع) قيايه جميع الشيعة سرّاً خشية من السطّان - وعلى الرغم من تكتمهم في هذه البيعة وفي الحب واللؤلا - قد نالوا أنواع الظلم وصوف العذاب - « وكان أشد الناس بلاءً حينئذ أهل الكوفة الكثرة من بها من الشيعة فاستعمل عليهم زياد بن سمية (٣) »

وظلم إليه البصرة فكان يبيع الشيعة - وهو بهم عارف لأنه كان منهم أيام علي (ع) - فكلهم تحت كل حجر ومدر « وأخفهم وشردهم » وقطع الأيدي والأرجل وسمل العميون ، وحلبهم على جندوع النخيل فلم يبق منهم بها

(١) من ٢٨٩ من الاختيار الطوال وص ١٠٠ من كتاب تليس إبليس لابن الجوزي

(٢) حطالة مقحة ١٥ من شرح التبع ومقحة ٤٨ من مقاتل الطالبين

(٣) وزياد هذا هو الذي قال الحسن (ع) « إن الحب الناس الذين لا آكله اللحم

أنت ته - حطالة مقحة ٢ من

معروف . و كتب معاوية الى جميع الآفاق ألا يجيزوا لأحد من شيعة علي
واهل بيته شهادة (١) »

« و كتب ايضا الى عماله في جميع البلدان : أنظروا الى من أقامت عليه
البينة انه يحب عليا واهل بيته فامحوه من الدبوان واسقطوا عطاؤه ورزقه ،
وكتب نسخة اخرى - ومن اتهمتموه بموالاة القوم فنكلوا به واهدموا
داره (٢) »

ولقد استخلف زياد على البصرة ، سمرة بن جندب فحذى حذوه في
سفك الدماء (٣) ولما هلك زياد سنة ٥٣ هـ تنفس الشيعة قليلا ، وتراجعوا نحو
الكوفة ، ولما مات معاوية سنة ٦٠ هـ وقام ابنه يزيد تظاهرت الشيعة ونادت
باسم الحسين بن علي (ع) وكتبه أهل الكوفة « انه ليس علينا إمام فاقبل لعل
الله ان يجمعنا بك على الهدى والحق (٤) » وما قدم عليهم وحل بقربهم حتى
خذه أكثرهم وحاربوه وقتلوه

« قتلوه بعد علم منهم انه خامس أصحاب الكسا »
وكان قتله بأمر يزيد بن معاوية - كما سنثبت - وبأمر سمرة بن مرجانة عبيد
الله بن زياد وقيادة بقايا العثمانية والخوارج كعمر بن سعد والخصين بن نمير
وسمرة بن جندب (٥) ومحمد بن الأشعث وأخيه قيس الخارجيين

(١) مجلد ٣ صفحة ١٥ من شرح النهج (٢) مجلد ٣ صفحة ١٦ من شرح النهج
(٣) مجلد ١ صفحة ١٨٥ من تاريخ أبي الفداء (٤) مجلد ٤ صفحة ٨ من تاريخ
ابن الاثير (٥) وسمرة هذا هو الذي بذل له معاوية مائة ألف درهم حتى يروى ان
هذه الآية نزلت في علي وهي - ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله
على ما في قلبه وهو ألد الخصام ، وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث
والنسل ، وأن الآية الثانية وهي - ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله -
نزلت في ابن ملجم فلم يقبل سمرة بذلك فبذل له معاوية مائتين ألف درهم فلم يقبل
فبذل له اربائة ألف درهم فقبل سمرة وروى الآيتين . ولا غرو فهو الذي خالف
رسول (ص) لما امره بفلق نخلة كانت لسمرة في دار رجل من الانصار وهو الذي كان

وقد ندم (١) كثير من أهل الكوفة الذين تخاذلوا عن نصره الحسين «ورأوا أن لا يفضل عارهم والاثم عليهم إلا قتل من قتل الحسين» فاجتمعوا بالكوفة إلى خمسة من رؤساء الشيعة أجملهم سليمان بن صرد الخزاعي وكانت له صحبة مع رسول الله ﷺ فخرجوا (سنة ٦٥ هـ) فقتلوا (٢) ثم قام من بعدهم المختار بن عبيد الثقفي وجرى على يده (سنة ٦٦) القصاص الألهي من قاتلي سبط رسوله وريحائه.

على شرطة عبيد الله بن زياد يحرض الناس على الخروج لقتال الحسين بن رسول الله (ص) انظر مجلد ١ صفحة ٣٦١ وصفحة ٣٦٣ من شرح النهج للحمزلي (١) ممن ندم على تخاذله عن نصره الحسين عبيد الله بن الحر الجعفي وثار على ابن زياد وظهر ندمه بقوله

فيا لك حسرة ما دمت حيا	تردد بين حلقي والتراقي
حين يطلب بذل نصري	على اهل مداوة والشقاق
فما انسى غداة يقول حزنا	اتركني وترمسع لانطلاق
فلوافق التلغف قاب حي	لهم القلب مني بانفلاق

ويقول ايضا من جملة ابيات

فياندمي ان لا اكون نصرته ألا كل نفس - لاتسدد - نادمه

انظر صفحة ٢٥٨ من الاخبار الطوال ومجلد ٢ صفحة ١١٢ من ابن الاثير

(٢) مجلد ٢ ص ٦٣ من تاريخ ابن الاثير - وقال الخطيب البغدادي مجلد ١ ص ٢٠٠ من تاريخ بغداد «وسليمان بن صرد الخزاعي أمير التوابين ويكنى أبا المطرف صاحب النبي (ص) وكان اسمه يسارا فسماه الرسول سليمان» وكان له سن عالية وشرف في قومه . ونزل الكوفة حين نزلها المسلمون وشهد مع علي صفين وكان فيمن كتب إلى الحسين بن علي عليهما السلام يسأله قدوم الكوفة فلما قدما ترك القتال معه فلما قتل الحسين ندم هو والمسيب بن نجبة الغزاري وجميع من خذله ولم يقاتل معه . ثم قالوا - ما لنا توبة مما فعلنا إلا ان نقتل انفسنا في الطلب بدمه فمكروا بالنخيلة . استهل شهر ربيع الآخر سنة ٦٥ هـ وولوا أمرهم سليمان بن صرد الخزاعي وخرجوا إلى الشام في الطلب بدر الحسين فأسموا التوابين وكانوا أربعة آلاف رجل فقتل سليمان في هذه الوقعة بين الوردية بالجزيرة رماه يزيد بن الحصين بن غير بسهم فقتله وحمل رأسه إلى مروان بن الحكم .

حجج الكيسانية وخروجهم عن التشيع

علمت ان المختار قد نهض في الكوفة وأخذ يثار الحسين وقتل قاتليه
سوى عبد الله بن زياد فان الذي قتله ابراهيم بن الاشتر النخعي قتلته سنة ٦٧ هـ
وفي هذه السنة قُتل المختار قتله مصعب بن الزبير بن العوام.

ولكن بقي علينا ان نعلم هل كان نهوض المختار يدافع ديني أو دنيوي؟
فذلك كما لا نستطيع الجزم به في هذه المجالة - لأن الأخبار قد اختلفت كثيراً
في أمر المختار فبعضها يدل على تشيعه لابي بن الحسين (ع) وحسن عقيدته
وتدبته وبعض آخر يدل على دعوته لمحمد بن الحنفية المتوفى سنة ٨١ هـ وأنه
ابتدع عقائد فاسدة نيراً منه محمد لا جليها ولعله ومع ذلك فلا يسعنا الا ان
لكبر اقتصاصه من قاتلي الحسين (ع) فإنه يرضي الله سبحانه ورسوله والؤمنين
ولا يضرنا أن كانت يته خالصة في ذلك لله تعالى أم كانت لئيل الرئاسة كما يقال
وقد اتبعه فئة من الناس تطورت عقائدهم بعده تطوراً شائكاً فرددوا فيها
عن الشيعة وخرجوا بها عن التشيع الحق - كما ستري - وإطلاق عليهم اسم
«الكيسانية» نسبة إلى كيسان مولى محمد بن الحنفية (رض) وقيل لأن
المختار كان لقبه كيساناً وقد يكونوا سموا بذلك - وهو الأقرب - لأن
رئيس شرطة المختار كان اسمه كيساناً «وكان يرفق أيضاً بأي عمرة وكان
جباراً مغرماً بتخريب الدور يهزم الدار بالحطة وكان عند الناس رمز الإقطاع
فيقولون لمن اقترب - قد جاوره ابو عمرة - (١)»

وعلى كل فقد ظهر مذهب الكيسانية - على الأرجح - بعد شهادة
الحسين البطل يست متين وقولهم بإمامة محمد بن الحنفية كان في ذلك الوقت
أيضاً لا بعد وفاة علي (ع) بلا فصل كما يظهر من قول الشهرستاني «ومن قال
ان الإمامة تثبت بالنص اختلفوا بعد علي عليه السلام فمتهم من قال انما نص

على ابنه محمد بن الحنفية وهؤلاء هم الكيسانية (١) »

وقد خالفه ابن خلدون فقال « ومنهم من ساقها بعد علي وابنيه السبطين على اختلافهم في ذلك إلى أخيها محمد بن الحنفية ثم إلى ولده أبي هاشم وهم الكيسانية (٢) »

ويقول الشهرستاني « واختلف بعد أبي هاشم (٣) شيعته خمس فرق منها فرقة قالت إن أبا هاشم أوصى إلى عبد الله بن عمرو بن حرب الكندي وإن الإمامة خرجت من بني هاشم إلى عبد الله هذا وتحولت روح أبي هاشم إليه والرجل ما كان يرجع إلى علم وديانة فاطمعة بعض القوم على خيائته وكذبه فأعرضوا عنه وقالوا بإمامة عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب . ولما هلك عبد الله بنجراسان (٤) افرقت اصحابه فتنهم من قال إنه حي بعد لم يموت ومنهم من قال مات وتحولت روحه إلى إسحاق بن زيد بن الحارث الانصاري ، وهم الحارثية الذين يبيحون المحرمات ويعيشون عيش

(١) ج ١ ص ١٣ من ماله (٢) ص ١٣٩ من مقدمته (٣) كان اسمه عبد الله بن محمد « توفي سنة ٩٩ هـ من سم سقيه بعد عودته من الشام . وضع عليه سليمان بن عبد الملك من سقاء فلما أحس أبو هاشم بذلك عاد إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وهو بالحبيجة فعرفه حاله ، وأعلمه أن الخلافة صائرة إلى ولده ، وأعلمه كيف يصنع ثم مات عنده - ج ٥ ص ١٧ من ابن الأثير « (٤) « خرج عبد الله هذا بالكوفة سنة ١٣٧ هـ فأرسل إليه مروان الحمار من يقاتله فأنزله عبد الله فاصدا إلى خراسان طعما بأبي مسلم الحراساني ، فلما علم أبو مسلم به أمر بن الهيثم بالقبض عليه فقبضه وقتله - ج ١ ص ٨٠ من تاريخ دول الإسلام لتقريبوش الصرفي) ولكن أبا الفرج يقول جز ١١ ص ٢٠ من الاغانى - خرج عبد الله هذا في أيام يزيد بن الوليد فاجتمع إليه أهل الكوفة ثم تفرقوا عنه ، ففر إلى إصبهان ، ولما أقام بها كتب يدعو إلى نفسه لا إلى الرضا من آل محمد (ص) ففصدته بنو هاشم جميعاً منهم السفاح والمنصور فلم يزل مقيماً فيها حتى ولي مروان الحمار فوجه إليه عامر بن صبارة فخرج عبد الله وأخوته قاصدين إلى خراسان وقد ظهر أبو مسلم بها ، فأخذته أبو مسلم وحبيه ثم أمضى تدبيره في قتله ، وقال آخرون أنه دس إليه سمًا فحات منه ووجه برأسه إلى ابن صبارة فحمله إلى مروان »

من لا تكليف عليه (١)»

ويقول ابن خلدون « ان فرقة من الكيسانية زعمت أن أبا هاشم لما مات أوصى إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وأوصى محمد إلى ابنه إبراهيم وانتقلت في واده واحداً بعد واحد إلى آخرهم . وهذا مذهب الهاشمية القائمين بدولة بني العباس وكان منهم أبو مسلم الخراساني وسليمان بن كثير وأبو سلمة وغيرهم من شيعة بني العباس (٢)»

فأنت ترى ان الكيسانية (٣) قد خالفوا الشيعة في أصول الإمامة ، لأنهم أخرجوها من بني علي إلى بني العباس ، وإلى ابن الكندي ، وابن الحارث ، كما خالفهم بتلك المقالات الخاطئة المنافية للتشيع الإسلامي النزيه ، كالقول بإباحة المحرمات التي قال بها الحارثية من الكيسانية وكالقول بالتناسخ وتحول الارواح من شخص إلى آخر ، وقد انصف ابن خلدون حيث جعل الكيسانية القائمين بدولة بني العباس من شيعة العباسية لا من الشيعة العلوية القائمين بإمامة زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام ذاك الامام العظيم الذي لم يعترف الكيسانية بإمامته « وهو الذي خلف أباه علماً وزهادة

(١) ج ١ ص ٨٥ من ماله وقد اطلق ابن أبي الحديد على الحارثية اسم الاسحاقية وذكر لهم مقالات فاسدة زيادة على ما ذكره الشهرستاني انظر ج ٢ ص ٣٠٥ من الشرح للنهج (٢) ص ١٢٥ من مقدمته وما ذكرناه في ترجمة أبي هاشم يؤيد زعم هذه الفرقة وهي موافقة لمذهب « الرأزية » تماماً ولكن البنانية يخالفون الجميع لأنهم نقلوا الإمامة رأساً من أبي هاشم إلى زعيمهم بنان بن سحمان (٣) لقد كان السيد الحميري الشاعر الكبير كيسانياً في بدء أمره ولكنه تاب أخيراً وعدل عن القول بإمامة ابن الحنفية والاعتقاد بأنه حي لم يمت وأنه في جبل رضوى ، وكتب قبل موته إلى الصادق يلح به بتوبته ويسأله الدعاء فدعا له الصادق وترحم عليه . انظر جزء ٧ ص ٢٣ من الأغاني لأبي الفرج وص ٣٠٠ من ارشاد المفيد وص ١٣١ و ١٦٠ من منهج المقال الذي ذكر له فيها قصيدة أولها

ولما رأيت الناس في الدين قد غرّوا
تجفرت بإسم الله والله أكبر

وعبادة (١) « وفضائله ومناقبه أكثر من أن تحصر وقال الزهري عنه ما رأيت قرشياً أفضل منه (٢) »

« توفي زين العابدين وعمره سبع وخمسون سنة ٦ وقيل سمى الوليد بن عبد الملك عن إحدى عشر ذكراً وأربع أنثى ، وارثه منهم عبادة ٦ وعالماً وزهادة أبو جعفر محمد الباقر ٦ سمي بذلك من بقر الأرض أى شقها وأثار محباتها ومكانتها ٦ فلذلك هو أظهر من مخبات كنوز المعارف ٦ وحقائق الاحكام والحكم واللطائف ٦ ما لا ينفى إلا على منطمس البصيرة ، أو فاسد الطوبى والسريرة ٦ ومن ثم قيل فيه هو باقر العالم وجامعه ، وشاهر علمه ورافعه ٠٠ صفا قلبه ٦ وزكا علمه ٦ وظهرت نفسه وشرف خلقه ، وعمرت أوقاته بطاعة الله ، وله من الرسوم في مقامات العارفين ما تكل عنه ألسنة الواصفين ، ولله كلمات مأثورة في السلوك والمعارف لا تتحملها هذه العجالة (٣) » وروى ابن قتيبة « ان النبي ﷺ قال لجابر بن عبد الله : يا جابر انك ستعمر بعدي حتى يولد لي مولود اسمه كما سمي ببقر العلم بقرأ فاذا لقيته فاقرأه مني السلام (٤) » توفي الباقر بالمدينة سنة ١١٤ هـ أيام هشام بن عبد الملك ولكن ابن حجر يقول « انه توفي سنة ١١٧ هـ عن ثمان وخمسين سنة مسموماً كما يه (٥) » وهو عاوي من جهة أبيه وأمه خلف ستة اولاد أفضلهم واكملهم جعفر الصادق ومن ثم كان خليفة ووصيه (٥) « وفي عهد الصادق (ع) كان ظهور — الزيدية وأئمتهم وفرقهم —

وذلك سنة ١٢١ هـ وقيل سنة ١٢٢ هـ حيث نهض يومئذ زيد بن علي ابن الحسين عليهما السلام في الكوفة واتبعه جماعة من اهلها ونهضوا معه ٦ ثم رفضه بعضهم وخذله كما خذلوا جده الحسين ٦ فقبل — وقتل — لهؤلاء

(١) ص ١٢٣ من الصواعق (٢) ج ١ ص ٣٢١ من وفيات الايمان

(٣) ص ١٢٣ من الصواعق (٤) مجلد ١ صفحة ٢١٢ من عيون الاخبار

(٥) صفحة ١٢٣ من الصواعق

« الرافضة » وللذين ثبتوا مع زيد « الزيدية » (١) وغلب اسم الزيدية على هذه الفرقة ولم يزل كذلك الى اليوم .

وكان للزيدية أئمة كثيرون من بني الحسن والحسين عليهما السلام لانهم قالوا بإمامة كل من خرج بالسيف داعياً لإمامته من الفاطميين فاضلاً كان أو مفضولاً . ولكن « أكثرهم قد عدل بعد ذلك عن القول بإمامة المفضل (٢) » وهو لاهم الجارودية كما ستري قولهم ، وترى انهم يقولون بالنص على علي (ع) ولكنه بالوصف فقول ابن خلدون عن جميع الزيدية « باهم ساقوا الإمامة على مذهبهم وأنها باختيار اهل الحل والعقد لا بالنص (٣) » بعيد عن الواقع .

وعلى كل حال فان الزيدية « قالوا بإمامة علي ثم ابنه الحسن ثم أخيه الحسين ثم ابنه زين العابدين ، ثم ابنه زيد بن علي وهو صاحب هذا المذهب وخرج بالكوفة داعياً الى الإمامة فقتل وصلب بالكنايسة ، وقال الزيدية بإمامة ابنه يحيى من بعده فمضى الى خراسان وقتل بالجوزجان (٤) بعد أن أوصى الى محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسن السبط ، فخرج بالحجاز فقتل (٥) وعهد الى أخيه ابراهيم فقام بالبصرة ومعه عيسى بن زيد ، فوجه

(١) رأيت ان الرافضة والزيدية فرقان متفايران ولكن ابن عبدربه الأندلسي زعم ان الزيدية هم من الرافضة وزعم ان زيدا قتل بخراسان لا بالكوفة مسع ان المقتول بخراسان هو يحيى بن زيد . قال الأندلسي « ج ١ ص ٣٥٢ من عقده الفريد - ومن الرافضة الزيدية وهم أصحاب زيد المقتول بخراسان »

(٢) انظر صفحة ٨٩ مجلد ١ من مال الشريستاني (٣) صفحة ١٤١ من مقدمته (٤) نهض يحيى سنة ١٣٥ هـ ضد الوليد بن يزيد بن عبد الملك وقتل بجوزجان قتله أميره (٥) نهض محمد هذا بالحجاز ضد المنصور العباسي واستولى على المدينة وتبعه أهلها فأرسل اليه المنصور جيشاً على رأسه ابن أخيه عيسى وجرى بينهم وبين محمد قتال عظيم قتل فيه محمد وجماعة من اصحابه وأهل بيته في شهر رمضان سنة ١٤٥ هـ وكان سبباً اسمر شجاعاً كثير الصوم والصلاة وكان يلقب بالفس الزكية

اليهم المنصور عساكره فقتل ابراهيم (١) وعيسى ، وكان جعفر الصادق أخبرهم بذلك كله ، وهي معدودة في كراماته :

وذهب آخرون من الزيدية الى أن الإمام بعد يحيى هو أخوه عيسى ونقلوا الإمامة في عقبه وقال آخرون منهم ان الإمام بعد محمد بن عبد الله هو أخوه إدريس الذي فر الى المغرب ومات هناك ، وقام بأمره ابنه إدريس واختط مدينة فاس ، وكان عقبه ملوك المغرب ، وكان منهم الداعي الذي ملك طبرستان ، وأخوه محمد ، ثم قام بهذه الدعوة في الديلم الناصر الأطروش منهم وأسلموا على يده (٢) »

وكان لهم أئمة غير هؤلاء بطول المقام بتعدادهم وشرح مواقفهم (٣) وإمامهم في الحال هو الإمام يحيى بن حميد الدين من العلماء العظام والادباء المحافظين على الاسلوب العربي القديم ولد سنة ١٢٨٦ هـ وتولى الإمامة سنة ١٣٢٢ هـ أي سنة وفاة والده وأول عمل بأمره ان استرجع صنعاء عاصمة

(١) قدم ابراهيم هذا البصرة ودعا الناس الى اخيه محمد قبل ان يباينه قتله بالمدينة فباينه جماعة منهم واجابه جماعة كثيرة من اهل العلم حتى احصى ديوانه اربعة آلاف ولما استقرت البصرة لابراهيم ارسل جماعة فاستولوا على الاهواز ثم ارسل هارون المجلي في سبعة عشر الفا الى واسط فملكها ثم سار ابراهيم من البصرة - وقد احصى ديوانه مائة الف - حتى نزل باخرافه فنجارب هو وعيسى بن موسى العباسي فهزمه ابراهيم ثم وقعت الهزيمة على اصحابه وبقي يقاتل وحده حتى قتل في ذي القعدة سنة ١٢٥٥ بتأخيص هو وما قبله من مجلد ٢ صفحة ٣ و٤ من تاريخ ابي الفداء

(٢) انظر ص ١٤١ من مقدمة ابن خلدون وانظر مقاتل الطالبيين لأبي الفرج تراجم كثير - غير هؤلاء - من ائمة الزيدية وخصوصا الناصر الأطروش فإنه كان عالما جليلا وفارسا مدربا وشاعرا بليغا وقد استدل البجائية صاحب « شهداء الفضيلة » على ان الناصر هذا مات شهيدا سنة ٣٠٤ هـ بأمر من اعمال طبرستان وهو ابن ٢٩ سنة وقبره هناك عليه قبة معروفة ، ومال الى أنه اثني عشريا لا زيديا وفي ذلك نظر (٣) ذكر صاحب مجلة (العرفان جزء ٣ مجلد ٢٥ - ان عدد ائمة اليمن لعمد

الامام يحيى الحالي نحو مائة وعشرة ائمة ولم يذكر اسماءهم روما للاختصار

اليمن من الانزاع واستقل باليمن فور الحرب العامة وجعلها دولة مستقلة قوية
 الايمان عزيزة الجانب متحدة لم تؤثر فيها وساوس الاجانب ولا دسائسهم
 الخبيثة ، ولم يضرها الجهل بالمدينة الحديثة الامر الذي يدل على ان الاتحاد
 هو الركن الاول لعز الأمم واستقلالها ، وبدونه لم يتم النجاح : وهي اليوم
 جادة في نبيل العلوم بنشاط ومشورة بحاجتها الماسة الى اساليب المدنية الحاضرة
 وبأنها لا تستطيع الحياة ما لم يجتمع لديها القوتان قوة الاتحاد ، وقوة العلم
 والسلاح الحديث .

هو . لا . بعض أئمة الزيدية المشهورين ، وأما فرقهم فستأكثرها عدداً
 « الجارودية » أصحاب أبي الجارود واسمه زباد بن المنذر الحمدي الكوفي
 وكان اعمى . من اصحاب الباقر ومن يروي عن الصادق ولكنه تغير لما نهض
 زيد بن علي (رض) وقال بإمامة زيد لينزع فئمة الزيدية ويمسي رئيساً دينياً
 . تتبع القول ومنه اخذ الجارودية القول « بان النبي ﷺ نص على علي عليه
 السلام بالوصف ، والامام بعده علي ، والناس قصروا حيث لم يتعرفوا الوصف
 ولم يطلبوا الموصوف . واختلف الجارودية في التوقف والسوق ، فساق بعضهم
 الإمامة من علي الى الحسن ثم الى الحسين ثم الى علي بن الحسين ثم الى زين العابدين
 ثم الى ابنه زيد ثم الى محمد بن عبد الله الحسني ، وكان ابو حنيفة (رح) على
 يمينه ومن جملة شيعته ، حتى رفع أمره الى المنصور فحبسه حبس الأبد حتى
 مات في الحبس (سنة ١٥٠ هـ عن سبعين سنة من العمر) . وقيل انه إنما
 بايع محمد الامام في ايام المنصور ، ولما قتل محمد بقي ابو حنيفة على تلك البيعة
 معتقداً . الا اهل البيت ، فرفع حاله الى المنصور فتم عليه ما تم (١)

(١) انظر ج ١ ص ٨٩ من ملل الشريفة و انظر ايضا ص ٢٤٧ من مقال الطالبين
 لأنني للفرج لفرى ان ابا حنيفة كتب الى ابراهيم اخي محمد الامام يشير عليه ان
 بفلسد الكوفة . را لأن فيها من شيعتكم من بيت المنصور فيقتاونه . فظفر المنصور
 بكتابه وبعث اليه فأشخصه وسفاه شربة فمات منها ، ودفن ببغداد - ثم قال وروي

الثانية « السليمانية » أصحاب سليمان بن جرير « كان يقول ان الإمامة شورى . وبصح أن تنعقد بعقد رجلين من خيار المسلمين ، وانها تصح في المفضل مع وجود الافضل (١) الثالثة « الصالحية » أصحاب الحسن بن صالح بن حي الكوفي الحمداي ، الرابعة « البترية » أصحاب كثير النوا الأثر « والصالحية والبترية على مذهب واحد ، وقولهم في الإمامة كقول السليمانية إلا انهم توقعوا في عثمان وأما علي فقالوا هو افضل الناس بعد رسول الله ﷺ واولاهم بالإمامة لكنه سلم الاسر طائعا وترك حقه راغبا (?) فنحن راضون بما رضي . وهم الذين جوزوا إمامة المفضل وتأخير الافضل اذا كان راضيا بذلك وقالوا من شهر سيفه من اولاد الحسن والحسين وكان عالما زاهدا شجاعا فهو الامام ، وشرط بعضهم صباحة الوجه (?) . ولهم خبط عظيم في إمامين وجد فيهما هذه الشرائط ، وقالوا لو كنا في قطرهن انفرد كل واحد منهما بقطره الخ (٢) »

الخامسة « النعمانية » أصحاب نعيم بن اليان والسادسة « اليعقوبية » أصحاب يعقوب بن داود وهاتان اقل الزيدية عدداً : فالزيدية — كما رأيت — يوافقون السنة والجماعة في كثير من الامور بالاخص السليمانية ، والصالحية والبترية الذين جعلوا الإمامة شورى باختيار الناس وجوزوا تقديم المفضل على الافضل إلا انهم يخالفونهم في بعض الشروط

ان المنصور دعا ابا حنيفة إلى الطعام فأكل منه ثم استسقى فمسي في شربة عمل مجدوحة وكانت مسومة فمات من غد ودفن بمقابر الخيزران ببغداد « ويؤيد ذلك ما ذكره الخطيب البغدادي مجلد ١٣ صفحة ٣٩٨ من تاريخ بغداد « من فتوى ابي حنيفة بالخروج مع ابراهيم هذا الحرب المنصور ، وذكر أيضا بعد ذلك ان هذه الفتوى سببت سم المنصور لأنني حنيفة « لا امتناعه عن تولي القضاء كما زعمه اشياعه

(١) مجلد ١ صفحة ٩٥ من الملل للشهرستاني

(٢) مجلد ١ صفحة ٩١ من ملل الشهرستاني

فالزبدية اشترطوا في الامام ان يكون فاطمياً وأن يخرج بالسيف داعياً للإمامته ، وجمهور السنة يجوزون أن يكون الامام غير فاطمي وغير قرشي أيضاً ، وغير خارج بالسيف بل وغير زاهدٍ أو غير عادل عند من قال بالإمامة أمثال يزبد ؟

وبلزم الزبدية ان لا يكون علي بن الحسين إماماً لهم في أيامه كلها ، لأنه لم يخرج بالسيف ولا تعرض للخروج ويلزم أيضاً أن لا يكون ما نقله الشهرستاني وابن خلدون عنهم — من القول بالإمامة زهن العابدين — قريباً من الصواب .

وعلى أي حال فجمهور الزبدية من طوائف الشيعة الذين ثبتوا على ولاء البيت العلوي والتمسك بهم وعدم الغلو بأحد منهم : فهم في ذلك كالشيعة الاثني عشرية من غير فارق .

واولا الخروج بالسيف الذي هو شرط اساسي لإمامتهم . لكانوا مثلهم من حيث الوجهة السياسية . لأن الزبدية قد عملوا بهذا الشرط فخرجوا كثيراً — كما تقدم — يجاهدون مع أئمتهم في أيام شيخوخة الدولة الاموية وفورة شبابها ، وفي بدء الدولة العباسية ، فقتلوا وشردوا ، وحبسوا في الحجاز والعراق وخراسان . على عكس الإمامية الذين رأوا في ذلك الوقت العصيب أن يعملوا « بالتقية » لتحفظ دماؤهم وأعراضهم واموالهم . فارتاحوا بهذا العمل الطبيعي في جل البشر ، وتسنى لهم في تلك الفترات دراسة جميع العلوم الاسلامية وأخذها عن امامهم الصادق عليه السلام وخصوصاً في أيام السفاح العباسي الذي كان ملتئماً بتمكين أسس الدولة وتشبيد بنائها . وفي جل أيام منصور أيضاً .

ولا يختص الشيعة بالأخذ عن امامهم الصادق بل « نقل عنه الناس من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر صيته في جميع البلدان » وروى عنه

الأكابر كيجي بن سعيد ، وابن جريح ، ومالك ، والسفيانيين ، وأبي حنيفة وشعبة ، وإيوب السخنياني ، وأم فروة (١) »

« وكان من سادات أهل البيت ، ولقب بالصادق لصدقه في مقالته ، وفضله أشهر من أن يذكر ، وله كلام في صنعة الكيمياء والزجر ، وكان تلميذه أبو موسى جابر بن حيان قد ألف كتاباً يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق وهي خمسمائة رسالة (٢) »

« وهو ذو علم غزير في الدين ، وأدب كامل في الحكمة ، وزهد بالغ في الدنيا ، وورع تام عن الشهوات ، وقد أقام بالمدينة مدة يفيد الشيعة المنتهين إليه ويفيض على الموالين له إصرار العلوم (٣) » وروى المفيد « أن أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه من الثقات على اختلافهم في الآراء فكانوا أربعة آلاف رجل (٤) » ولنبحث الآن

— كيف ظهر الزنادقة والغلاة في عهد الصادق ؟ —

علمت مما تقدم — أن الصادق (ع) قد عاصر الدولتين الأموية والعباسية . ولكنه عاصر الأولى في شيخوختها ، والثانية في طفولتها ، ومعلوم لديك كيف يكون حال الدولة في أيام الشيخوخة والطفولة من الارتباك والضعف المولدين للفوضى وعدم الهيبة ، ومن اشتغال رؤسائها في جمع أمورها وقوتها وبسط هيبتها ؟ وعلمت كيف كان الصادق متجهاً بكله نحو بث العلوم وتدريبها لا يستطيع المباشرة لغير ذلك من شؤون المسلمين .

فبالطبع تحكم بأن ظهور الزنادقة (٥) والغلاة نتيجة محتومة لتلك الظروف القاسية التي تسنى فيها لنفر من الزنادقة الظهور والإيعراض جهاراً على أصول

(١) صفحة ١٢٣ - من الصواعق (٢) مجلد ١ صفحة ١٠٥ من وفيات الأعيان

لابن خلكان (٣) مجلد ١ صفحة ٩٥ من ملل الشهورستاني (٤) صفحة ٢٨٩

من إرشاده (٥) الزنادقة لا صلة لهم بالطوائف الشيعية وإنما ذكرناهم بمناسبة ظهورهم في عهد الإمام الصادق

لإسلام في المسجد الحرام ، وإذا لم يكن للصادق يومئذ قوة السلطان التي تمكنه من دفع الزنادقة عن دخول المسجد الحرام ، فكان لديه قوة العلم التي دفع بها شبهاتهم واعتراضاتهم الكثيرة على أحكام الحج وغيره يوم «اجتمع نفر من الزنادقة في الموسم بالمسجد وأبو عبد الله الصادق (ع) فيه إذ ذاك يفتي الناس ويفسر لهم القرآن ، ويجيب على المسائل بالحجج والبيّنات . فقال الزنادقة لابن أبي العوجاء : هل لك في تغليب هذا الجالس عند هؤلاء المحيطين به . فقد ترى فتنة الناس فيه ؟ فقال ابن أبي العوجاء نعم ثم تقدم ففرق الناس وسأل الصادق عدة مسائل والصادق يجيبه عنها مسألة مسألة حتى أبلس ابن أبي العوجاء ولم يدر ما يقول ، فانصرف إلى أصحابه فقالوا له : لقد فضحتنا بجهرتك وانقطاعك وما رأينا أحقر منك اليوم في مجلسه ، فقال لهم إلى تقولون هذا ، إنه ابن من حلق رؤوس من ترون وأوماً بيده إلى أهل الموسم (١) »
والأسباب والظروف التي ساعدت الزنادقة على الظهور هي بنفسها التي ساعدت الغلاة على ظهورهم في عهد الصادق وأبيه الباقر عليها السلام وجرأتهم على التجاهر بالغلو والقول بربوبية المخلوقين .

وكما بذل الصادق جهده في وعظهم وإرشادهم وكما قال لهم « ما أنا إلا عبد مملوك لا أقدر على نفع شيء ولا ضرر شيء » (٢) « ازدادوا غلوا وإصراراً على شبهاتهم الواهية وبدعهم الضالة الأمر الذي بدّل على ابن الشبهات لو تمكنت من النفس وتغلبت على العقل يعسر جداً زوالها بالبرهان والحجة . لأن رباها يتفانون في سبيلها وبكائرون في كل ما يقوم ضدها من الأدلة الملموسة . ومن يبلغ به العناد والضلال إلى هذا الحد فلا تقمعه إلا قوة السلطان والصادق قد أعوزه الأمويون ثم العباسيون إلى هذه القوة ، ولو حصلت لديه يومئذ لأفنى غلاة عصره كما أفنى السبائية جده علي (ع) يوم اجتمع لديه

القوتان قوة العلم وقوة السلطان العادل :

وكما أعوز الصادق إلى هذه القوة أعوز إليها أبوه الباقر من قبل . ولذلك ظهر الغلاة في عهدهما بكثرة هائلة وتجاهروا بالغلو في الكوفة وغيرها من بلاد العراق وخراسان . ففي أيام الباقر ظهر « المنصورية » اتباع أبي منصور العجلي الكوفي وظهر « المغيرة » أصحاب المغيرة بن سعيد سنة ١١٩ هـ بالكوفة في عهد هشام بن عبد الملك « وكان خالد بن عبد الله القسري يومئذ على العراق . فلما بلغه خروج المغيرة - وكان على المنبر - حصر ودهش وقال أطمعوني ماء فقال ابن نوفل بهجوه :

تقول لما أصابك أطمعوني شرابا ثم يلت على السرير (١)

و « البنائية » أصحاب بنان بن سيمان النهدي : وفي أيام الصادق ظهر « الخطابية » أصحاب أبي الخطاب محمد بن مقلص الاسدي الأجدع و « العلياية » أصحاب العليا بن ذراع الاسدي أو الدوسي و « الراوندية » وهم من أهل خراسان « كانوا على مذهب أبي مسلم الخراساني . يقولون بالناسخ وإن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو أبو جعفر المنصور فلما ظهر وفي سنة ١٤١ وأنوا إلى قصر المنصور قالوا هذا قصر ربنا (٢) »

و « الرزامية » اتباع رزام بن سابق « وهؤلاء ظهروا بخراسان أيام أبي مسلم وادعوا حلول روح الآله فيه ولهذا أبدوه على بني أمية (٣) » وقد تبرأ الصادق (ع) من جميع الغلاة وقال لشيئته « لا تقاعدوهم ولا توارثوهم ولا تشاربوهم ، ولا تصافحوهم ، ولا تناكحوهم ، ولا توارثوهم . وقال عليه السلام لأبي بصير يا أبا محمد ابرأ من يزعم أنا أرباب وابرأ ممن يزعم

(١) مجلد ٢ صفحة ٢١٠ من البيان والتميين (٢) مجلد ٢ صفحة ٣ من

تاريخ أبي الفداء ومجلد ٩ صفحة ١٧٣ من الطبري (٣) مجلد ١ صفحة ٨٦ من

أنا الأنبياء (١) »

وبقي الصادق على ذلك إلى أن توفي حتف أنفه سنة ١٤٨ هـ أيام المنصور ولكن ابن حجر يقول « انه توفي مسموماً أيضاً على ما حكى عن ستة ذكور وبنت منهم موسى الكاظم وهو وارثه علماً ومعرفة وكمالاً وفضلاً ، سمي الكاظم لكثرة تجارزه وحلمه ، وكان أعبد أهل زمانه وأعلمهم وأسخاهم ، وكان معروفاً عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند الله (٢) » وكان شيخ الخنابلة أبو علي الخلال يقول « ما أهنئي أمراً فقصدت قبر موسى بن جعفر فتوسلت به إلا سهل الله تعالى لي ما أحب (٣) » والكاظم عليه السلام هو الإمام السابع للشيعة الذين اعتقدوا بإمامته والنص عليها من أييه الصادق ولم يخالف في ذلك غير :

الاسماعيلية

الذين قالوا بإمامة اسماعيل دون أخيه موسى بن جعفر عليهما السلام « وكان اسماعيل أكبر اخوته ، وكان أبوه شديد المحبة له والاشفاق عليه . فمات في حياة أبيه بالعريض وحمل على رقاب الناس إلى أبيه بالمدينة ، فحزن عليه حزناً عظيماً وتقدم سريرته بغير حياء وأمر بوضع سريرته على الأرض مساراً كثيرة (٤) » وأسجاء أبوه بردائه وادخل عليه وجوه الشيعة يشاهدونه ليعلموا موته وتزول الشبهة في أمره (٥) »

ومع ذلك كله لم تزل هذه الشبهة بل « اقام على حياته شردمة لم تكن من خاصة أبيه ولا من الرواة عنه ، فلما مات الصادق (ع) انتقل فربق منهم إلى القول بإمامة موسى الكاظم بعد أبيه . وافترق الباكون فربقين . فربق منهم رجعوا عن حياة اسماعيل وقالوا بإمامة ابنه محمد بن اسماعيل لظنهم ان الإمامة

(١) صفحة ٣٢٤ من منهج المقال (٢) صفحة ١٢٤ من الصواعق المحرقة

(٣) مجلد ١ صفحة ١٢٠ من تاريخ بغداد للخطيب (٤) صفحة ٣٠٤ من

إرشاد المفيد (٥) مجلد ٢ صفحة ١٧٦ من شرح المعتزلي

كانت لأبيه والابن احق بها من الآخر . وفريق ثبتوا على حياة اسماعيل .
وهذان الفريقان يسميان الاسماعيلية والمعروف منهم اليوم من يزعم ان الإمامة
بعد اسماعيل في ولده وولد ولده إلى آخر الزمان (١) « ويسعى الذين قالوا
بإمامة محمد بن اسماعيل العمارية ، والذين انكروا موت اسماعيل المبارك (٢) »
وكثر الاسماعيلية بعد ذلك كثرة هائلة ، وانتشروا في الأقطار واسسوا
دولة قوية في القيروان من بلاد المغرب ثم في القاهرة من بلاد مصر . وكان
اول خليفة لهم في القيروان المهدي الفاطمي نصبه ابو عبد الله الشيعي المختب
سنة ٢٩٦ هـ واسمه ابي عبد الله الحسين بن احمد . وقد جازاه المهدي فقتله سنة
٢٩٨ هـ كما جازى المنصور ابا مسلم الخراساني . واول خليفة لهم في القاهرة
المعز الفاطمي ادخله اليها قائده جوهر (٣) سنة ٣٦٢ هـ وكان آخر خلفائهم في
مصر العاضد لدين الله (٤) ازاله عن الخلافة صلاح الدين الايوبي في سنة
٥٦٧ هـ وأذاته وبقية الفاطميين ألوان العذاب وصنوف الإيقام :

وقد تطورت عقائد الاسماعيلية — في ايام الحاكم بأمر الله الفاطمي —
تطوراً مدهشاً ودخلها من عقائد الغلاة الشي الكثير . ولهذا رمى الفاطميون

(١) صفحة ٣٠٤ من الارشاد (٢) مجلد ١ صفحة ١٣ من ملل الشهرستاني

(٣) قال ابن خلكان (مجلد ١ صفحة ٤٤٧ من وفياته) « كان ابو الحسن

جوهري بن عبد الله شجاعاً مدرباً في الحرب ، فتح مصر سنة ٣٥٨ هـ واختط موضع
القاهرة وأمر بالزيادة عقيب الخطبة اللهم صل على محمد المصطفى وعلي المرتضى
وفاطمة البتول والحسين سبطي الرسول الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم
تطهيراً وشرع سنة ٣٥٩ هـ في عمارة الجامع الأزهر وفرغ منه سنة ٣٦١ هـ وقبل سنة ٣٦٠
وخطب يوم دخوله مصر ودعا لمولاه المعز الفاطمي واقار بها حتى وصل اليه مولاه .
فأبقاه نافذ الأمر عالي المنزلة رفيع الدرجة متولياً للأموار إلى سنة ٣٦٤ هـ فعزله . وكان
جوهري محسناً إلى الناس إلى ان توفي رحمه الله بصبر سنة ٣٨١ هـ ولم يبق شاعر إلا رثاه
وذكر مآثره (٤) ولد العاضد سنة ٥٤٦ هـ وقتله صلاح الدين سنة ٥٦٧ هـ بعد ان
استغنى فقهاً ، مصر في ذلك

بالغلو جزافاً وجلهم يريثون من الغلو إن لم تقل كلهم كما سنوضحه في بحث الغلاة ان شاء الله :

والاسماعيلية في عصرنا اقل عدداً من الشيعة والزيدية . وليس لهم دولة . ولكن احوالهم الاجتماعية والسياسية حسنة جداً وخصوصاً الموجودين في الهند ويقال لهم البهرة . وهو لاء يحجون البيت الحرام ويزورون جل المشاهد المكرمة لأهل البيت . يزكون ويصومون شهر رمضان ولهم جمعيات كثيرة في الهند واوقاف فيها وفي العراق . ينفقون من ريعها الأموال الطائلة في سبيل الخيرات . وامرهم عجيب في الاقتصاد والاتحاد تجاه غيرهم وقل ما تجد منهم فقيراً وانك لتحار في تمييز الرئيس من المرؤوس لأن لباسهم غالباً من نوع واحد ولون واحد . ويرغبون في لون البياض حتى في الشتاء . وجلهم او كلهم يلبسون العمامة . وهرسلون شعر الذقن ارسالا مفرطاً . واما نساءهم فهن في اشد حجاب وامامهم او سلطانهم الحالي مولانا سيف الدين عالم في المذهب الاسماعيلي بجيد العربية وينظم فيها الشعر واكثر نظمهم مديح في اهل البيت وقد زر المشاهد المقدسة في العراق واهدى لخدامها هدايا ثمينة وعمل ضربجاً جديداً لقبر السبط الشهيد في كربلا (ع) تجلي فيه الفن بأجلى مظاهره وقد راعني ما رأيته عليه من الخط البديع بالذهب الخالص . وسمعت انه شرع في عمل ضربج ثاني لقبر « الوصي » في النجف الأشرف : واما الاسماعيلية للعره فون « بالآغاخانية » نسبة إلى زعيمهم الحالي آغاخان . فهم من الغلاة الباطنية للبعيد عن التشيع والاسلام . وكما انكر الاسماعيلية امامة الكاظم (ع) انكرها

✽ الفطحية ✽

حيث قالوا بإمامة عبدالله بن جعفر الصادق دون أخويه موسى وإسماعيل « وكان عبد الله اكبر اخوته بعد اسماعيل . ولم تكن منزلته عند ابيه

كتمنزة غيره من ولده في الأكرام . وكان متبها بالخلاف على أبيه في الاعتقاد ويقال انه كان يخاطب الحشوية ويذهب مذاهب المرجئة . وادعى بعد أبيه الإمامة واحتج بأنه أكبر اخوته فاتبعه جماعة من اصحاب أبيه (ع) ثم رجع أكثرهم بعد ذلك إلى القول بإمامة أخيه موسى الكاظم (ع) لما تبينوا من ضعف دعواه وقوة امر الكاظم وبراهين إمامته . واقام قر يسير منهم على امرهم ودانوا بإمامة عبد الله . وهم الطائفة الملقبة بالقطعية لقولهم بإمامة عبد الله وكان افطح الرجاين . ويقال انهم لقبوا بذلك لأن داعيهم إلى إمامة عبد الله كان رجلا يقال له عبد الله بن افطح (١) »

ويقول الشهرستاني « ن عبد الله هذا كان أكبر اخوانه وما عاش بعد أبيه إلا سبعين يوماً ومات ولم يعقب ولداً ذكراً (٢) » ثم ان الذين قالوا بإمامة الكاظم انقسموا بعده قسمين قسم قطع عونه وقسم انكروه ووقف عليه وهم الواقفية *

ويطلق هذا الاسم على كل من انكر موت أحد من الأئمة ووقف عليه ولم يسق الإمامة إلى غيره ، وقد أطلقه ابن خلدون « على كل من يقف من الغلاة على واحد من الأئمة لا يتجاوزها إلى غيره » وعلى هذا التوسع يكون السبائية — وهم اول الغلاة — أول الواقفية ، لأنهم أول « من زعم ان علياً حي لم يقتل » وبعدهم الكريية من الكيسانية « وهم أتباع أبي كرب قالوا بأن محمد بن الحنفية (رض) حي لم يميت وأنه في جبل رضوى بين أسد ونمر (٣) »

ثم « الناوسية أتباع رجل يقال له ناوس . قالت ان الصادق حي بعد ولن يموت حتى يظهر فيظفر أمره وهو القائم المهدي (٤) » ويقال ان جماعة

(١) صفحة ٣٠٤ من ارشاد المفيد (٢) مجلد ١ صفحة ٩٥ من مال

(٣) مجلد ٤ صفحة ١٧٩ من خطط المفريزي (٤) مجلد ١ صفحة ٩٥ من مال الشهرستاني

وقفوا على الحسن العسكري « وقالوا انه لم يميت ولا يجوز أن يموت . ولا ولد له ظاهراً ، لأن الارض لا تخلو من إمام (١) » وان جماعة اخرى قالوا بإمامة محمد بن علي الهادي وانه لم يميت (٢) وهناك من توقفوا في موت الباقر (ع) وموت إسماعيل بن جعفر ، ومحمد بن اسماعيل وعبد الله بن معاوية بن جعفر بن ابي طالب .

ولكن أسم الواقفية قد غلب — عند الشيعة الاثني عشرية — على الذين توقفوا في موت الامام موسى بن جعفر عليهما السلام « وقالوا انه لم يميت وسيخرج بعد الغيبة ويقال لهم الواقفية (٣) » وكان منهم « محمد بن بشير من اهل الكوفة من موالي بني اسد . وله اصحاب قالوا ان موسى بن جعفر لم يميت ولم يحبس ، وأنه غاب واستتر وهو القائم المهدي . وأنه في وقت غيبته استخلف على الأمة محمد بن بشير وجعله وصيه ، واعطاه خاتمه وعلمه جميع ما تحتاج اليه رعيته ، وفوض اليه جميع امراء وأقامه مقام نفسه . ولما قتل محمد بن بشير قالوا بإمامة ابنه فهو إمام — عندهم — مفترض الطاعة الى وقت خروج موسى بن جعفر (ع) . وزعموا ان الفرض عليهم من الله إقامة الصلوات الخمس وصوم شهر رمضان ، وانكروا الحج والزكاة وسائر الفرائض ، وقالوا بإباحة المحرمات والفروج والغلمان ، وقالوا بالتناسخ . ومذاهبهم في التفويض مذاهب الغلاة . وكان محمد بن بشير يظهر للواقفة انه ممن وقف على موسى ولكنه كان يقول فيه بالرؤية وبدعي نفسه انه نبي (٤) »

(١) مجاد ١ ص ٩٨ من المثل (٢) ولكن الشيخ الطوسي قد روى (ص ١٣٠) من كتاب الغيبة له ، ان محمداً هذا قد مات في حياة ابيه الهادي فراجع (٣) ص ٩٦ من المثل . وروى الشيخ الطوسي — ص ٤٦ — من غيبته « ان أول من اظهر الاعتقاد بالوقف عثمان بن عيسى الرواسي ، وعلي بن ابي حمزة البطائي وزيد بن مروان الفندي واستمالوا قوماً فبذلوا لهم شيئاً مما اختانوه من الاموال »

٤١ بتلخيص من ص ٢٨٦ من منهج المثل

وكان من الفطحية والواقفية رواة كثيرون يروون عن الباقر والصادق والكاظم عليهم السلام فمن الفطحية أمثال عمار الساباطي ، وابن بكير ، وعلي ابن أسباط ، وهونس بن يعقوب ، وبعض آل فضال .

ومن الواقفية أمثال الحسن بن أبي سعيد المكاربي وأبيه هاشم كانا من وجوه الواقفة ، والحسن بن محمد بن مماعة الكندي الصيرفي الكوفي المتوفي سنة ٢٦٣ هـ كان من شيوخ الواقفة بتعصب للوقف ويحامي عنه ، وحيد بن زباد من اهل نينوى توفي سنة ٣١٠ هـ وكان الشيعة الاثني عشرية — ولن يزالوا — لا يعتمدون على رواية الفطحي والواقفي إلا اذا وثقوا بصدقه وأمانته في النقل . أمثال الساباطي وابن أسباط وبعض آل فضال وغيرهم ممن وثقهم الاُمام بعد الكاظم وأذن للشيعة ان يعملوا بما رواه هؤلاء ابام استقامتهم واعتدالهم :

والسر في عدم اعتماد الشيعة على رواية كل الفطحية والواقفية — ان إمام الفطحية كان — كما تقدم — متهاً بالخلاف على أبيه والذهاب مذهب المرجئة وأتباعه على طريقته بطبيعته القول بامامته . ولأن لهم ولكثير من الواقفية مقالات فاسدة مخالفة للدين الخفيف خرجوا بها عن التشيع الحق وصاروا من سنخ الغلاة وخصوصاً البشيرية من الواقفية وأما

❦ القطعية ❦

فهم الذين قطعوا بموت الائمة من اهل البيت واحداً بعد واحد إلى الامام الثاني عشر المنتظر . وأطلق هذا الاسم عليهم حينما قطعوا بموت الاُمام موسى ابن جعفر (ع) وانه مُسم في حبس السندي بن شاهك ببغداد بأمر الرشيد العباسي : وكان السبب في حبسه وسمه — علي رواية بن حجر — « انه لما حج الرشيد مُسعي به اليه وقيل له ان الاموال تحمل اليه من كل جانب حتى اشترى صبعة بثلاثين الف دينار . فقبض عليه وأقذه لأميته بالبصرة عيسى بن جعفر عيسى فحبسه سنة ثم كتب له الرشيد في دمه فاستغنى واخبر انه إن لم يرسل

بشليمه وإلا خلى سبيله . فبلغ الرشيد كتابه فكتب للسندي بن شاهك
بتسلمه وأمره فيه بأمر فجعل له سماً في طعامه . وقيل في رطب فتوعلك ومات
بعد ثلاثة أيام . وذكر أيضاً سبباً ثانياً وهو أنه لما اجتمعا أمام الوجه الشريف
على صاحبه افضل السلام قال الرشيد السلام عليك يا ابن عم . فقال موسى
الكاظم السلام عليك يا ابت فلم يحتملها الرشيد وكانت سبباً لأمساكه وحمله
معه إلى بغداد وحبسه فلم يخرج من الحبس إلا ميتاً مقيداً (١) »

وروى المفيد المتوفي (سنة ٤١٣ هـ) ومثله أبو الفرج المتوفي (سنة
٣٥٦ هـ) هذين السببين وأبانا أيضاً من هو الذي سمي بالإمام عليه السلام ؟
فقالا « حمل يحيى بن خالد بن برمك علي بن اسماعيل على السعاية به .
الكاظم واعطاه مالا كثيراً ، ثم رغبه في قصد الرشيد وتبليغه القول .
فقبل علي بن اسماعيل . ولما أحس الكاظم بعزم ابن أخيه على قصد الرشيد
استدعاه إليه وقال له يا ابن أخ إلى أين ؟ قال إلى بغداد قال وما تصنع ؟ قال
علي دين وانا ملق فقال له موسى الكاظم (ع) انا أقضي دينك فلم يلتفت وعمل
على الخروج وقال لا بد لي من ذلك . فقال له عمه انظر يا ابن أخي واتق الله
تعالى ولا تؤتم أولادي . وأمر له بثلاثمائة دينار وأربعة آلاف درهم . فلما
قام من بين يديه قال لمن حضره والله ليسعين في دمي . فقالوا له جعلنا فداك
فأنت تعلم هذا منه وتعطيه وتصله ، قال لهم نعم حدثني أبي عن آبائه عن
رسول الله ﷺ أن الرحم اذا قطعت فوصلت ثم قطعت قطعها الله . واني
أردت أن أصله بعد قطعه لي حتى اذا قطعني قطعه الله ، فخرج علي بن اسماعيل
حتى أتى يحيى البرمكي فعرفه خبر موسى بن جعفر وقال له — إن الأموال
تحمل إليه من المشرق والمغرب ، وأنه اشترى ضيعة سماها اليسير فرفع يحيى
الظهر إلى الرشيد وزاد فيه ، فسمع قول علي بن اسماعيل وأمر له بمائة ألف

درهم حوَّله بها على بعض العمال . ومضت رسل علي لقبض المال وأقام هو
 ينتظره فدخل الى الخلاء ، يوماً فزخر زخرةً خرجت منها حشوته كلها ، فسقط
 وجهه في ردها فلم يقدرها ، وجائه المال وهو يلزق فقال ما اصنع به وانا
 في الموت (١) »

وهناك ما يصلح ان يكون سبباً ثالثاً لحبس الامام (ع) ذلك قوله « لما
 سأله الرشيد ، أنت الذي تبايعك الناس سرّاً ؟ انا امام القلوب وانت امام
 الجسوم (٢) » فان مثل هذه الصراحة (التي لم يسمعها الرشيد قبل ذلك
 من الامام) كفرت لأن بوغر صدر الرشيد ويحمله على حبسه . وهذه
 الاسباب قد سببت بمجموعها قتل الامام وكان كل منها سبباً في حبسه .
 ولذا تعدد الحبس ، فأول حبس له كان في البصرة (كما علمت) الثاني في
 بغداد عند الفضل بن الربيع . الثالث عند الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي
 وكان يُوسع على الامام (ع) فلما بلغ الرشيد ذلك وهو بالرقعة « كتب ينكر
 على الفضل إكرامه لموسى الكاظم (ع) وأمر بعزله ولعنه ، وضربه مائة سوط
 وارسل من تسلم منه الامام وسلمه الى السندي بن شاهك فلما بلغ يحيى البرمكي
 خبر ابنه الفضل ركب الى الرشيد واسترضاه وقال له انا أكفيك ما تريد
 فسر منه الرشيد وأقبل على الناس فقال — ان الفضل بن يحيى قد عصاني في
 شيء وقد تاب فتولوه (؟) ثم خرج يحيى على البريد حتى وافى بغداد فدعا السندي
 فأمره في الكاظم موسى بأمر فجعل له سحماً في الطعام أو في رطب فأكل منه
 فلبث ثلاثاً ثم مات فأدخل السندي عليه الفقهاء ووجوه أهل بغداد فيهم الهيثم
 بن عدي وأشهدهم على انه مات حتف أنفه فشهدوا وأخرجوه الى الجسر ببغداد
 ونودي عليه هذا موسى بن جعفر قد مات فانظروا اليه (٣) »

(١) بتلخيص من صفحة ٣١٩ من إرشاد المفيد و صفحة ٣٣٥ من مقالات الطالبيين

(٢) صفحة ١٢٥ من الصواعق (٣) صفحة ٣٢٣ من إرشاد المفيد

فأنت ترى هنا أن السندي قد تسلم الإمام من الفضل بن يحيى لامن عيسى العباسي كما يظهر من ابن حجر . ومن الجائز أن يكون تسلمه من الاثنين ولكن السم وقع بعد تسلمه من الفضل وأمر أبيه يحيى بذلك . وعلى كل فهما (أي ابن حجر والمفيد) متفقان على أن الذي باشر قتل الإمام هو السندي وأنه قتله بالسم وقد وافقهما أبو الفرج الإصهاني على المباشرة لكنه خالفهما في كيفية القتل حيث يقول « دعا يحيى بن خالد البرمكي بالسندي وأمره فيه بأمر فلف الكاظم في بساط وأقعد الفراشون النصاري على وجهه (١) »

وقولها من أنه قتله بالسم هو المتواتر عند أكثر المؤرخين والثابت عند الشيعة « وكانت أولاده حين وفاته ٣٧ ذكراً وأنثى منهم (علي الرضا) وهو أنبهم ذكراً وأجلهم قدراً ومن ثم أحله المؤمنون محلّ مهجته وأنكحه ابنته ، وأشر كنه في مملكته وفوض إليه أمر خلافته . فانه كتب سنة ٢٠١ هـ بأن علياً الرضا ولي عهده وأشهد عليه جمعا كثيرين (٢) »

وكان الكاظم قد نص على إمامة ولده الرضا عليها السلام واعتقد بها جميع الشيعة سوى من وقف على أبيه . ولما نظاهر المؤمنون بأكرام الإمام الرضا ومنازل العلويين — عكس أسلافه — وصرح بكثير من عقائد الشيعة ظهر الشيعة في عصره وتجاهروا بعقائدهم الدينية ما ساعدتهم الظروف ، ونالوا بعض حريتهم المذهبية حتى عقدوا المآتم لذكري سيد الشهداء (ع) وأنشد شعراءهم القصائد المشجبة في رثائه ورثاء بقية الأئمة عليهم السلام ولقد أجازهم الإمام على ذلك جوائز سنوية (٣) ولم يجزم على قصائد التهينة

(١) صفحة ٣٣٥ من مقاتل الطالبين (٢) صفحة ١٢٥ من الصواعق

(٣) كانت الجائزة التي أخذها دعلج بن علي الخزاعي من أسنى الجوائز حدث عنها دعلج نفسه فقال « دخلت على الإمام علي بن موسى الرضا فقال انشدني مما أحدثت فأنشده :

بولابة العهد له من المأمون بل قال لأحد شيعته « لا تشغل قلبك بهذا الامر ولا تستبشر به فإنه شيء لا يتم (١) »

ولقد كان الأمر كما قال عليه السلام لأن عهد المأمون له « قد صعب على بني العباس . وكان أشدهم تحرقاً منصور و ابراهيم ابنا المهدي . فأظهروا الخلاف (بعد شهرين) وبايع أهل بغداد ابراهيم بالخلافة في المحرم سنة ٢٠٢ هـ بعد أن خلعوا المأمون (٢) »

فكان ذلك دافعا قويا للمأمون على الوقية بالإمام الرضا وسمه والتخلص من عهده ليصفي له الامر ويرضي عنه بنو آية وأهل بغداد الذين خلعوه . ولذلك « كتب إلى أهل بغداد يعلمهم بموت الرضا ويقول لهم إنما نقمتهم علي بسببه وقد مات . فخلع أهل بغداد في هذه السنة اعني سنة ٣٠٣ هـ ابراهيم بن المهدي

حتى انتهت إلى قولي فيها

إذا وتروا مدوا إلى واربهم أ كفا عن الاوتار منقضات
قال فبني حتى اغني عليه فأوما الخادم إلى أن اسكت فسكت . فمكث ساعة ثم قال اعد فأعدت فأصابه مثل الذي اصابه في المرة الأولى فأوما إلى الخادم ايضا فسكت ثم مكث ساعة اخرى ثم قال اعد فأعدت إلى آخرها فقال احسنت ثلاث مرات . ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم مما ضرب باسمه وأمر لي من في منزله بحلي كثير اخرجه إلى الخادم . فقدمت العراق فبعت كل درهم بعشرة اشترأها مني الشيعة فكان اول مال اعتقده ثم ان دعيلأ استوهب من الرضا رضي الله عنه ثوبا قد لبسه ليجعله في أكفانه . فخام عليه جبة كانت عليه . فأعطاه بها أهل قم ثلاثين الف درهم فلم يقبل فخرجوا عليه في طريقه فأخذوها غصبا وقالوا إن شئت أن تأخذ المال وإلا فأنت اعلم . فقال والله لا اعطيكم إياها طوعاً ولا تنفكم غصبا واشكوكم إلى الرضا فصالحوه على ان اعطوه ثلاثين الف درهم وفردكم من بطانتها ف رضي بذلك -
انظر صفحة ٢٧٣ من معاهد التنصيص وجزء ٧ صفحة ٢٩ من الاغانى

(١) صفحة ٣٣٣ من إرشاد المفيد (٢) مجلد ٢ ص ٢٣ من أبي الفداء . ومجلد ٦

ص ١١١ من ابن الاثير

ودعو للمأمون بالخلافة (١)»

وسم المأمون للرضا قد ذكره نفر من المؤرخين واستبعدوا وقوعه من مثل المأمون (٢) ولكن هذا الاستبعاد — المستند إلى احترام شخصية المأمون ونظره كخليفة ديني نزيه — لا يراضيه الباحث الخبير بما وقع من المأمون في سبيل خلافته من قتل أخيه الأمين وغيره بصورة فظيعة . وليس ابن العديم البعيد بأعز من الأخ القريب . وليست العوامل الدافعة على قتل الأمين بأكثر من العوامل الدافعة على قتل الإمام الرضا بل قد تكون هذه أكثر وأقوى لأن العباسيين — وكان عددهم يومئذ ثلاثة وثلاثين ألفاً ما بين ذكر وانشى قد خلعوا المأمون — كما علمت — من الخلافة وحرقوا عليه الأرم بسبب عهده إلى الإمام عليه السلام . وما هدأت ثائرتهم وانطفئ بركان غيظهم وجنحوا إلى السلم حتى « كتب لهم بعلمهم بموت الرضا الذي كان السبب في نقضهم عليه وخلعهم له »

وعلى كل فإن المأمون المحنك لم يقنع بنجاحه في إرضاء أهل بغداد بل عمد إلى التبري من دم الإمام الرضا (ع) ليأمن من سخط العلويين الذين كرهوا — من قبل — خلافته وترصوا به الدوائر وثاروا عليه بدعون إلى الرضا من آل محمد عليهم السلام ولذلك « دخل على الرضا وهو يجود بنفسه . فبكى وقال اعزز علي يا أخي أني أعيش ليومك وأغاظ علي من ذلك واشد ، ان الناس يقولون إني سقيتك سمًا (٣) »

وكان من التأثيرين عليه « محمد بن جعفر الصادق . خرج بالسيف سنة ١٩٩ . وقيل سنة ٢٠٠ هـ بمكة وقيل بالمدينة ، فبايعه أهل الحجاز واتبعه الزيدية الجارودية وقام معه جماعة من الطالبيين . وكان سبب خروجه ان رجلاً كتب

(١) ج ٢ ص ٢٤ من أبي الفداء (٢) منهم ابن الأثير (الفاصل ج ٦ ص ١١٩)

من تاريخه « وقيل ان المأمون . . . في غيب وهو بعيد » (٣) ص ٣٧٤ . من مقاتل الطالبيين

كتاباً يسب فيه فاطمة بنت رسول الله ﷺ وجميع أهل البيت (ع) فجاءه
الطالبيون وقرأوا عليه الكتاب فلم يرد عليهم بل دخل بيته ثم خرج متقلداً
سيفه لابسا درعه وهو يتمثل بهذا البيت

لم أكن من جناتها علم الله وانني لحر بها اليوم صال
ثم خرج إلى جند المأمون الذي كان بإمرة عيسى الجلودى فقاتلهم اشد
قتال ولما نفذ الزاد والماء من عنده جعل اصحابه يتفرقون . فلما رأى ذلك
طلب الأمان له ولمن معه من الطالبين . فأمنه الجلودى وارسله إلى المأمون
بخراسان ولما وصلها اكرمه وادنى مجلسه وتحمّل منه ما لا يتحمّله السلطان من
رعيته . وكان محمد يركب إلى المأمون في موكب فخيم من بني عمه . ولم يمكث
إلا بسيراً حتى توفي عنده سنة ٢٠٣ هـ بخراسان وقيل بخرجان . فركب
المأمون ليشهد جنازته فلقبهم قد خرجوا به فلما نظر إلى السربر ترجل ومشى
حتى دخل بين عمودي السربر فلم يزل بينها حتى وضعه على لحده ثم صلى عليه
ودخل قبره وبقي حتى دفن فقال له عبد الله بن الحسن قد تعبت بأمر المؤمنين
فلو ركبت . فقال المأمون — إن هذه رحم قطعت من مائتي سنة —

وكان عابداً فاضلاً شجاعاً بصوم يوماً ويفطر يوماً (١) وكان محمد هذا
حيّاً أبام توفي الإمام الرضا «أنفذ اليه المأمون وإلى جماعة من آل أبي طالب
فلما حضروا نعاها — بعد ان كتم امر موته ثلاثة ايام — اليهم وبكى واظهر
حزناً شديداً وتوجعا ثم امر بغسله وتكفينه وخرج مع جنازته حتى دفنه في
دار حميد بن قحطبة في قرية يقال لها سنا باز من ارض طوس وفيها قبر
هارون الرشيد وقبر أبي الحسن الرضا (ع) صار بين يديه في قبلته (٢) وعلى
قبره اليوم بناء فخيم بديع غلبة الابداع وفيه آثار ثمينة بتدر وجودها وله

(١) بتلخيص وتصريف من ج ٢ ص ١١٣ من تاريخ الخطيب البغدادي وص ٣٥٣

من مقاتل الطالبين وص ٣٠٥ من ارشاد المفيد (٢) ص ٣٧٢ من المقاتل وص ٣٣٩ من الارشاد

أوفاف كثيرة في إيران :

« وتوفي الرضا رضي الله عنه عن خمسة ذكور وبنت أجلهم (محمد الجواد) لكنه لم تطل حياته . وقد احسن اليه المأمون وبالح في إكرامه لما ظهر له من فضله وعلمه ، وكال عظمتهم وظهور برهانه مع صغر سنه ، وعزم المأمون على تزويجه بإبنته أم الفضل وصمم على ذلك ، فمنعه العباسيون خوفاً من أن يعهد اليه كما عهد إلى أبيه ، فلما ذكر لهم أنه إنما اختاره لتمييزه على كافة أهل الفضل علماً ومعرفة وحلماً مع صغر سنه ، نازعوه في انصاف محمد بذلك ، ثم تواعدوا على أن يرسلوا اليه من يختبره . فأرسلوا يحيى بن اكثم ووعدوه بشي كثير إن قطع لهم محمداً ، فحضر والخليفة ومعهم ابن اكثم وخواص الدولة ، فأمر المأمون بفرش حسن لمحمد فجلس عليه ثم سأله يحيى عدة مسائل أجابه عنها محمد أحسن جواب وأوضحه ، فقال له الخليفة أحسنت يا أبا جعفر فإن شئت أن تسأل يحيى ولو مسألة واحدة . فسأله محمد فقال يحيى لا ادري فأجاب عنه محمد الجواد : فعند ذلك قال المأمون للعباسيين قد عرفتم ما كنتم تنكرون . ثم توجه في ذلك المجلس بنته أم الفضل ثم توجه بها إلى المدينة ثم قدم بها بطلب من المعتصم في ٢٨ محرم سنة ٢٢٠ هـ وتوفي فيها آخر ذي القعدة ودفن في مقابر قریش في ظهر جده الكاظم وعمره خمس وعشرون سنة ويقال أنه سم ايضاً (١) »

فأنت ترى ان الله سبحانه قد قيض المأمون لمحمد الجواد حتى شهرة بذلك وظهره للعلماء وقربه وقدمه على كافة الناس حتى العباسيين . فكان ذلك دافعاً قوياً لاظهار سواد الشيعة اعتقادهم بإمامة الجواد (ع) :

ولو لذلك لا نكرها كثير منهم وانحصر الاعتراف بها في الخواص الذين سمعوا النص من أبيه عليه وثبت لهم الدليل القاطع على أن صغر السن لا يمنع

من الإمامة لمن حاز جميع الفضائل المؤهلة لها وتميز على جميع الخلق خلقاً وحلماً واتقى .
وشرفاً باسمقاً ومجداً مؤثلاً .

ومع ذلك كله فإن قوماً من شيعة أبيه قد شكروا — على ما قيل — في
إمامته إذ مات أبوه وهو صغير عمره ثمان سنوات وتمكنت هذه الشبهة من بعضهم
ورجع البعض الآخر إلى إمامته عليه السلام .

وليست هذه الشبهة (شبهة صغر السن) وليدة عصر هؤلاء الشاكين
وإنما هي قديمة جداً حيث تولدت قبل عصرهم بسنين وتشبث بها كثير من الناس .
وقبل وفاة الجواد نص على إمامة ولده علي الهادي عليهما السلام . وعبر عنه
ابن حجر (بعلي العسكري) حيث يقول «وتوفي الجواد عن ذكرين وبنيتين
أجلهم علي العسكري ، سمي بذلك لأنه لما وجه المتوكل لأشخاص من المدينة
إلى سامراء واسكنه بها وكانت تسمى بالعسكر فعرف بالعسكري . وكان
وارث أبيه عالماً وسخاءً توفي رضي الله عنه بسر من رأى في جمادى الآخرة
ودفن بداره وكان المتوكل أشخصه إليها سنة ٢٤٣ هـ فأقام بها إلى أن قضى عن
أربعة ذكور واثني أجلهم أبو محمد الحسن الخالص وجعل ابن خلكان هذا
هو العسكري (١)»

وعلى كل فقد نص الهادي — حين وفاته أيام المعتز — على إمامة ولده
الحسن العسكري عليهما السلام . واعتقد بها أكثر الشيعة عدا قوم «قالوا
بإمامة أخيه جعفر بن علي وكان لهم رئيس يقال له فلان الطاحن كن من أهل
الكلام قوى أسباب جعفر بن علي وأمال الناس إليه ، وأعانه فارس بن حاتم

(١) ص ١٢٧ من الصواعق وما جمعه ابن خلكان هو المعروف المشهور عند الشيعة
فإذا قيل العسكري ينصرف الذهن إلى الحسن دون أبيه علي وقد يطلق العسكري على
علي الهادي ولكنه بقله وكلا الإطلاقيين جائز لأن كلا منهما قد سكن سر من رأى
المسماة بالعسكر يومئذ

ابن ماهويه (١) وقوا امر جمعفو بعد موت أخيه الحسن واحتجوا بأن الحسن مات بلا خلاف فبطلت إمامته (٢) »

ظهور النصيرية وحال الشيعة

.. وفي أيام الحسن العسكري (ع) ظهر « النصيرية أتباع محمد بن نصير الفهري أو الحميري . وكثروا بعد وفاة الحسن ثم قتلوا ولم يزلوا كذلك الى يومنا هذا . وجلهم في جبال اللاذقية لا نعرف من عقائدهم شيئاً على التحقيق وإنما يشاع عنهم الهم يغالون في علي أمير المؤمنين (ع) أي بقولون يربو بيته على عكس ما هو معروف من مقالة ابن نصير الزعيم الاول للنصيرية . وعلى كل فقد نبرأ الحسن العسكري من مقالات ابن نصير واتباعه على تلك المقالات الفاسدة . وسرى برائته منهم في مبحث الغلاة انشاء الله تعالى :

ولقد ضعف امر الشيعة في أيام الحسن العسكري وأبيه الهادي عليهما السلام وسائت احوالهم للمادية والاجتماعية والسياسية ايضاً . من جراء تلك النكبات الشديدة التي أنزلها عليهم الحكام والسلطين وخصوصاً المتوكل العباس الذي روع الامام الهادي وهدم قبر الشهيد الحسين بن علي عليهم السلام ومنع من زيارته اشد منع :

وكما مني الهادي واشياعه بالمتوكل ومن تلاه . مني أبنة العسكري بالمعز والمعتمد . وفي أيام المعتمد توفي الحسن العسكري « ويقال انه سسم ايضاً ، ولم يخاف غير ولده — ابي القاسم محمد الحجة — وعمره عند وفاة

(١) فارس هذا غال ملعون قد فسد مذهبه وتبرأ منه . وقتله بعض اصحاب ابي محمد الحسن العسكري (ع) لا يلتفت إلى حديثه ولم يكتب كلها تخليط . وروي ان العسكري تبرأ منه وكتب هذا فارس بن حاتم بن ماهويه لعنه الله يعمل من قبلي فتانا داعياً إلى البدعة ودمه هدر لكل من قتله فعن هذا الذي يريحي منه وأنا ضامن له على الله الجنة — انظر صفحة ٢٥٧ من منهج المقال

(٢) مجلد ١ صفحة ٩٧ من مال الشهرستاني

أبيه خمس سنين لكن آتاه الله فيها الحكمة . وسمى المنظر لانه ستر بالمدينة وغاب (١) »

وهو الامام الثاني عشر للشيعة الاثني عشرية لأن أباه نص (٢) على إمامته بحضور الخلف من شيعته ولكنه امرهم بالكتمان خوفاً عليه وعليهم :

يقول المفيد « وكان الحسن العسكري (ع) قد اخفى مولده وستر أمره لصعوبة الوقت وشدة طلب السلطان له واجتهاده في البحث عن أمره . وقد سعى عمه جعفر بن علي في حبس جوارى أبيه واعتقال حلائله وشنع على أصحابه بانتظارهم ولده وقطعهم بوجوده والقول بإمامته ، واغرى بهم القوم حتى اخافهم وشردهم . وحاز جعفر تركة أبي محمد واجتهد في القيام عند الشيعة مقامه فلم يقبل احد منهم ذلك ، فصار الى سلطان الوقت يلمس منه مرتبة أخيه وبذل له مالاً جليلاً ، وتقرب بكل ما يظن انه يقربه فلم ينفذ ، بل قال له الوالي (الذي طلب منه المرتبة وبذل له المال) يا احمق السلطان جرد سيفه في الذين زعموا ان أباك وأخاك أئمة يريدهم عن ذلك فلم يثمباً له ، فإن كنت عند شيعة ابيك وأخيك إماماً فلا حاجة لك الى سلطان يرتبك مراتبهم وإن لم تكن بهذه المنزلة لم تنلها بنا ثم حجبه عنه حتى مات الوالي . والسلطان يطلب اثر ولد الحسن الى اليوم وهو لا يجد الى ذلك سبيلاً ، وشيعته مقيمون

(١) صفحة ١٢٧ من الصواعق

(٢) قال المفيد في الارشاد (صفحة ٣٧٣) - وقد سبق النص عليه في ملة الإسلام من نبي الهدى (ص) ثم من ائمة المؤمنين علي (ع) ونص عليه الأئمة واحداً بعد واحد إلى أبيه الحسن ونص ابوه عليه عند ثقافته وخاصة شيعته « وذكر ابن حجر في الصواعق (صفحة ١٠٠) ما أخرجه مسلم وابوداود والنسائي وابن ماجه والبيهقي وآخرون - من ان النبي (ص) قال المهدي من عترتي من ولد فاطمة : واخرج احمد وابوداود والترمذي وابن ماجه انه (ص) قال - لو لم يبق من الدهر الا يوم ابعث الله فيه رجلاً من عترتي ، وفي رواية لا تذهب الدنيا ولا تنقضي حتى يملك رجل من اهل بيتي يواطى اسمه اسمي »

على انه مات وخلف ولدا يقوم مقامه في الإمامة (١) «

واسم (الولد) محمد ولقبه المهدي والمنظر والحجة والقائم وصاحب الزمان ، وكنيته أبو القاسم ، ولد سنة ٢٥٥ وقيل سنة ٢٥٦ هـ وله غيبتان صغرى وكبرى وكان بدء الكبرى سنة ٣٢٩ وهي السنة التي انقطعت فيها السفارة بينه وبين شيعته ، وكان عمدة سفراته (٢) أربعة — ١ — عثمان بن سعيد العمري الأسدي وكان قبل ذلك وكيلاً لأبي محمد الحسن العسكري عليهما السلام — ٢ — ومحمد بن عثمان بن سعيد المعروف بالخـمـلاني وكانت وفاته سنة ٣٠٤ هـ — ٣ — والحسين بن روح النوبختي توفي سنة ٣٢٦ هـ — ٤ — وعلي بن محمد السحري أو السيمري توفي سنة ٣٢٩ هـ وقبل وفاته بأيام أخرج توفيقاً إلى الناس بنذر بانقطاع السفارة ووقوع الغيبة الكبرى إلى ان يأذن الله سبحانه بالظهور . موقفاً باسم محمد المهدي (ع) وكل ذلك مذكور تفصيلاً في كتاب منهج المقال وغيبة الشيخ الطوسي ولقد شاهد هؤلاء السفراء وكثير من علماء الشيعة يومئذ إمامهم محمد المهدي قبل غيبته الكبرى وسألوه عن الاحكام التي اشكلت عليهم (٣)

وبالرغم من ثبوت ولادته والنص على امامته ورؤيته وسواله « قيل ان الشيعة اختلفوا في امره واقتروا بعد موت ابيه احدى عشرة فرقة (٤) » من جملتها الفرقة التي قالت ان الحسن قد مات وخلف ولداً يقوم مقامه في الإمامة

(١) بتلخيص من صفحة ٣٦٦ و ٣٦٨ من ارشاد المفيد

(٢) لقد ادعى السفارة له عليه السلام جماعة من الخلاة اولهم ابو محمد المعروف الشريفي واسمه الحسن وابن نصير النعميري واحمد بن هلال الكرخي وابوطاهر محمد ابن علي بن بلال والحسين الحلاج وهو من السنة ، ومحمد بن ابي الفراقر الشافعي الذي قتل سنة ٣٢٣ وظهرت توقيعات من الحججة بلعن هؤلاء والبراءة منهم — انظر صفحة ٣٥٧ و ٣٧٩ من غيبة الشيخ الطوسي «

(٣) انظر صفحة ٣٨٠ من ارشاد المفيد وغيبة الطوسي تر اسماء الذين أدركوه

وشاهدوه وسألوه (٤) مجلد ١ صفحة ٩٨ من ملل الشهرستاني

وهو ثاني عشر الأئمة الميامين عليهم السلام . وتسمى هذه الفرقة بالاثني عشرية لخصرها الامامة في اثني عشر اماماً كلهم من اشرف بيت في قريش ، عملاً بقوله صلى الله عليه وآله وسلم « لا ينقضي هذا الامر حتى يمضي فيهم اثنا عشرة خليفة كلهم من قريش (١) » وعن ابن مسعود انه قال صلى الله عليه وآله وسلم اثنا عشر كسرة نقباء بني اسرائيل (٢) « وعن جابر بن سمرة انه قال صلى الله عليه وآله وسلم يكون بعدي اثنا عشر اميراً كلهم من قريش (٣) »

وكانت الاكثربة الساحقة — ولم تزل — في جانب الاثني عشرية من بين طوائف الشيعة الثلاث . وكان لهم عدة دول كالدولة الحمدانية في سوريا التي ظهرت سنة ٢٩٣ هـ وانقرضت سنة ٣٦٨ هـ والدولة البويهية في العراق وقسم في إيران ظهرت سنة ٣٣٤ هـ وقرضت سنة ٤٣٧ هـ والدولة المزبدية في الحلة ونواحيها ، ظهرت سنة ٤٠٣ هـ وقرضت سنة ٥٥٨ هـ والدولة الصفوية في بلاد ايران ظهرت سنة ٩٠٥ هـ وقرضت سنة ١١٤٩ هـ ثم الدولة الافشارية التي اسسها نادر شاه افشار سنة ١١٤٩ هـ وانقرضت سنة ١١٧٧ هـ ثم الدولة الزندية ظهرت سنة ١١٧٧ هـ وانقرضت سنة ١٢٠٢ هـ ثم الدولة القاجارية وكان ابتداءها سنة ١٢٠٢ وانتهائها سنة ١٣٤٤ هـ على يد رضا شاه بهلوي . ولم تزل دولة البهلوي باقية الى يومنا هذا . وهي وان كانت شيعية اثني عشرية — إلا انها أخذت تتدرج في الابتعاد عن شعائر الشيعة والاسلام . وفي التقرب من الافرنج وتقليد هم التقليد الأعمى على طبق ما فعله (اتانورك) الذي اسس هذه السنة الهوجاء للبهلوي ولأمان الله خان ملك الافغان المخلوع من الشعب .

ولو اقتصر هؤلاء الملوك العظام على اخذ المحاسن الافرنجية ونبت ذلك

(١) مجلد ٣ صفحة ٧٩ من صحيح مسلم (٢) صفحة ١٢ من الصواعق

(٣) صفحة ١١٦ من الصواعق

المساوي التي بأبوابها العقل ويبتعد عنها ذو الشرف العالي ، والتي لم يزل عقلاء الافرنج يشنون من نتائجها المردية وآثارها الهدامة للاخلاق الفاضلة والمجتمع الانساني .

كما كان لللائس عشيرة عدة دول — كان لهم عدة وزراء في الدولتين العباسية والفاطمية وغيرهما ، نذكر منهم — مؤيد الدين محمد بن عبد الكريم القمي من ذرية المقداد (رض) كان وزيرا للناصر العباسي (١) ثم للظاهر ثم للمستنصر ، وتوفي هذا الوزير الكبير سنة ٦٢٩ هـ . ومؤيد الدين أباطالب محمد بن احمد العلقي (٢) « ولي الوزارة اربع عشرة سنة للمستعصم آخر

(١) يقول الفخري (صفحة ٢٣٤) « كان الناصر العباسي يرى رأي الإمامة ومات سنة ٦٢٢ هـ بعد ان تحالف ٤٧ سنة لأنه تولى الخلافة سنة ٥٧٥ هـ وكانت ولادته سنة ٥٥٢ هـ فيكون عمره ٧٠ سنة وكان يحب اهل البيت ويكرم الشيعة ويبغض بالامام الثاني عشر وله آثار في مقام الامام بسامراء تدل على تشيعه وأما قوله

وافى كتابك يا ابن يوسف معانا بالود يخبر ان اصلك طاهر

غصبا عليا حقبة إذ لم يكن بعد النبي له يثرب ناصر

فاشر فإن غدا عليه حسابهم واصبر فناصرك الامام الناصر

فهو من اوضح الأدلة على تصدقه بالتشيع ، وهذه الأبيات جوابا لأبيات عبي بن صلاح الدين الابوي الذي شكى فيها من عمه أبي بكر وأخيه عثمان الايوبيين أولاد:

مولاي ان ابا بكر وصاحبه عثمان قد غصبا بالسيف حق علي

فخالفاه وحلا عقد بيعته والامر بينهما والنص فيه جلي

فانظر الى حظ هذا الاسم كيف لقي من الأول من الأواخر ما لاقى من الأول

ذكر هذه الابيات وأبيات الناصر جماعة من المؤرخين منهم ابن خلكان (ج ١ ص ٤٦٩ من وفيات الأعيان

(٢) قال عنه الفخري (ص ٢٤٦) « هو أسدي اصله من النيل (قرينة قرب الحلة) وقبل لجده العلقي لأنه حفر النهر المسمى بالعلقي . كان ابن العلقي فاضلا كاملا ليبا كريما وقورا محبا للرئاسة كثير النجمل . وكان يحب اهل الأدب ويقرب اهل العلم صنف له الصفاني اللغوي كتاب العباب وهو كتاب كبير عظيم في لغة العرب . وصنف له عبد الحميد شرح تهج البلاغة فأثابها واحسن جائزتهما ، وكانت خزائنه تشتمل

خلفاء العباسيين ببغداد . ولما دخل هولاء كوكب المغولي ببغداد سنة ٦٥٦ هـ أقر ابن الملقمي علي وزارته وبقي وزيراً الى ان توفي مستهل جمادي الآخر سنة ٦٥٧ هـ عن ثلاث وستين سنة ، ودفن في مشهد الامام موسى جعفر (ع) فأمر السلطان ان يكون ابنه عز الدين ابو الفضل وزيراً بعده (١)»

«وابا علي بن كفيثات ابن الافضل شاهنشاه بن امير الجيوش بدر الجمالي كان وزيراً للحافظ الفاطمي بمصر سنة ٥٢٤ هـ وقام بالامر احسن قيام ، وكان امامياً متشدداً في ذلك ، قد خالف ما عليه الدولة من مذهب الاسماعيلية وأظهر مذهب الإمامية ، وتمسك بالائمة الاثني عشر ، ودعا على المنابر للقائم بآخر الزمان المعروف بالامام المنتظر ، واسقط ذكر اسماعيل بن جعفر الذي ينسب اليه الاسماعيلية ، وقتل ابو علي هذا في ١٦ محرم سنة ٥٢٦ هـ بالقاهرة (٢)»

«وأبا الفارات الملك الصالح فارس المسلمين نصير الدين طلابع بن رزك كن من الشيعة الامامية واستوزره الفائز الفاطمي في ١٩ ربيع الاول ٥٤٩ هـ فباشر البلاد احسن مباشرة ، ثم استوزره العاضد آخر الخلفاء الفاطميين وتزوج العاضد ابنته ، وقتل طلابع هذا يوم الاثنين ١٩ رمضان سنة ٥٥٦ هـ رحمه الله وكانت ولادته سنة ٤٩٥ هـ وقد رثاه الفقيه عمارة اليميني (المقتول بأمر صلاح الدين على التشيع سنة ٥٦٩ هـ) بقصيدة أولها:

على عشرة آلاف مجلد من نقائس الكتب ، وكان محدوحاً مدحه الشراء واتجهه الفضلاء ، وكان خواص المستعصم جميعهم يكرهونه ويحسدونه ، وكان الخليفة يعتقد فيه ويحبه فكثروا عليه فكف يده عن أكثر الأمور ، ونسبه الناس إلى انه خامر وليس ذلك بصحيح » وقد برأه من هذه المخامرة الشائنة على ظريف الاعظمي البغدادى انظر ص ١٢٤ من كتابه « مختصر تاريخ بغداد » تر الادلة العقلية والنقلية على براءة هذا الوزير الجليل

(١) مجلد ٢٠ صفحة ٢٨٨ من (العرفان) (٢) ج ٤ ص ٤٦ و ١٦٠ من خطط

المفريزي وج ١ صفحة ٣٧١ من وفيات الاعيان بتلخيص

أفي أهل ذا النادي عليم أسأله فإني لما بي ذاهب اللب ذاهله
ودفن طلابه بالقاهرة ثم نقله ولده العادل في تابوت سنة ٥٥٧ هـ وركب
خلفه العاضد الى تربته بالقرافة الكبرى ورثاه أيضاً عمارة اليعنسى بقصيدة
طويلة من غرر الشعر ، منها في وصف التابوت :

وكانه تابوت موسى أودعت في جانبه سكينه ووقار
ولعمارة فيه مرث كثيرة غير هذه ، وكان الصالح طلائع قد بني الجامع
الذي على باب زويلة بظاهر القاهرة ، وكان شجاعاً كريماً جواداً فاضلاً محبباً
لاهل الأدب ، جيد الشعر رجل وقته فضلاً وعقلاً وسياسة وتديراً ، وكان
مهيباً في شكله ، عظيماً في سطوته ، محافظاً على الصلوات فرائضها ونوافلها ،
شديداً المغالاة (؟) في التشيع ، صنف كتاباً سماه « الاعتقاد » في الرد على
اهل العناد جمع له الفقهاء وناظرهم عليه وله شعر كثير يشتمل على مجلدين
في كل فن : فنه

يا أمة سلكت ضلالاً بيناً حتى استوى إيمانها وجودها
مانم إلى ان المعاصي لم يكن إلا بتقدير الآله وجودها
لو صح ذا كان الآله بزعمكم منع الشريعة ان تقام حدودها
حاشا وكلا أن يكون إلها ينهي عن الفحشاء ثم يبردها (١) «
هذه هي جل الطوائف التي تشعبت من الشيعة في عهد الائمة النجباء
عليهم السلام وقد علمت — مما تقدم — خروج أكثرها عن التشيع الحق لما
ابتدعه من العقائد الفاسدة والغلو القبيح الذي سبب براءة الائمة من أولئك
المتدعين وأتباعهم . ولقد حدث بعد عهدهم عليهم السلام (أي بعد الغيبة الصغرى
للامام الثاني عشر) عدة طوائف غالية انتحلت حب اهل البيت واضمرت
بفضمهم وعددها بعض المؤلفين من الشيعة جزافاً بدون مستند ولا برهان :

(١) ج ٦ ص ٨١ من خطط المفريزي وج ١ صفحة ٣٥٢ من تاريخ منقريوش الصبري
وج ١ صفحة ٢٣٨ من وفيات الاعيان

منها طائفة « القرامطة » الذين أحدثوا مذهبهم سنة ٢٧٨ هـ وانتحلوا حب أهل البيت كما أخبر عنهم أمير المؤمنين (ع) بقوله « ينتحلون لنا الحب والهووى ويضمرون لنا البغض والقلى . وآفة ذلك قتلهم ورائنا وهجرهم أحدثنا » ذكر ذلك ابن أبي الحديد — ج ٢ ص ٥٠٨ — من شرح النهج ثم قال بعد ذلك : « وصح ما أخبر به عليه السلام لأن القرامطة قتل من آل أبي طالب خلقاً كثيراً وأسمائهم مذكورة (١) في مقاتل الطالبين لأبي الفرج »

وحدث في الغيبة الكبرى — أي في أواخر القرن الرابع — مذهب « الدروز » وهو فرع من مذهب الاسماعيلية الباطنية على ما قيل « ظهر وافي أواخر أيام الحاكم بأمر الله الفاطمي . وقالوا بأنه إله وإن القدرة الإلهية حلت فيه وجأؤوا إلى جبل لبنان (٢) وهم متفرقون بين لبنان وحوارن والجبل الأعلى من أعمال حلب ، ومنهم في زكت رأس بيروت وتيامنة دمشق نسبة إلى وادي التيم (٣) » وإذ اعرفنا جل الطوائف المتشعبة من الشيعة فلنستوضح الآن ماهي الأسباب الموجبة لتشعب تلك الطوائف

ولا غرابة في مثل هذا الاستيضاح عن مثل هذه الأسباب لأنه كطبيعي في كل من علم عقيدة التشيع الأولى الساذجة البعيدة عن الغموض والابهام ، والمرتكزة على دعائم الإسلام الأساسية الواضحة المنطق عليها — عند الشيعة — من نشأتهم إلى ما بنوف عن ربع قرن . ولكنهم أصيبوا — بعد ذلك — بهذا التشعب الفاضح الذي يبعث المرء حثيثاً على استيضاح أسبابه الكثيرة من اجتماعية وسياسية وطبيعية أيضاً

(١) لم اعثر في مقاتل الطالبين على غير قوله ص ٤٣٣ « وقتل القرطبي المعروف بالجناي رجلاً من طباطبا لم يقع إلى نسبه . وقتل جماعة من العلويين يقال لهم بنو الاخضر لم يقع إلى انسابهم » (٢) ص ٢١٦ من تاريخ العلويين النصيرية (٣) ج ١ صفحة ٣٢٨ من اقرب الموارد

ولا اخفي على القارئ الكريم عدم استطاعتي — في هذه العجالة — من ضبط تلك الاسباب المتشعبة الأطراف والمناحي . ولذا أستطيع العذر على اختصارها وذكرها بمجمل ثم مفصلة بعض التفاصيل

أما المحملة فمعلوم — لدى العارفين — ما للبيئة التي حصل فيها تشعب أكثر الفرق — من التأثير العظيم على العقول وطبعها بطابعها الخاص من اعتراض الشبهات ومعرفة التقلب في المذاهب والآراء . ومعلوم لديهم أيضاً ما للقوة القاهرة والسياسة المتلونة من الأثر الفعال في إضعاف العقائد المضادة لأغراض الساسة وأطماعهم الشخصية . أو إلقاء أهل تلك العقائد إلى التكتّم فيها (على الأقل) وعدم إظهارها حتى لا يبنائهم وخاصتهم . فتأخذ حينئذ بالتلاشي تدريجاً ويسهل على بقية العقائد أن تنسرب إلى عقول أولئك الأبناء والخاصة ويجب الالتفات — هنا — إلى أن تلك القوة وهاتيك السياسة قد رافقتا الشيعة في أغلب أدوارهم وعلى الأخص في الدور الأول . فإنه الدور الذي ظهروا فيه بكثرة . وفالهم من البلاء والضغط الشديد على حزبهم المذهبية ما لا يحصى — وقد تقدم شرح بعضه — فالتجأوا إلى زيادة التكتّم بكثير من عقائدهم وخصوصاً عقيدة الإمامة . ولم يكن التكتّم خاصاً بالشيعة دون أئمتهم لأننا نرى جل الأئمة كانوا يتهيبون التصريح بأوامرهم والتدليل عليها حتى أمام الكثير من شيعتهم

وهكذا كانوا في بقية الأدوار وخصوصاً دور المتوكل العباسي الأليم : أضف إلى ذلك ما دخل في الشيعة من الخليط الذي لم يدخل التشيع قلبه تماماً ولم يكن مخلصاً في تشيعه فكان آلة مفرقة بين الشيعة يحركها ذوو السلطان المبالغون في كره التشيع والدائبون على محوه من صحيفة الوجود أو تشويه سمعته الطيبة على الأقل . وأضف إليه أيضاً ما ظهر أحياناً من كرامات الأئمة الميامين التي لم تتحملها عقول البعض من الشيعة فقلوا فيهم وألغوهم وغنم استنكار

الأئمة ذلك

هذه صورة إجمالية لأسباب الشعب . واليكها بنوع من التفصيل :
 أما « السبائية » (وهم أول فرقة نشبت - على الأرجح - وخرجت من
 الشيعة لغلوها في علي (ع)) فالسبب في تشعبهم وغلوهم هو ان زعيمهم عبد
 الله بن سبأ كان دخيلاً في إسلامه وتشيعه متصفاً في حبه لأهل البيت (ع)
 وأقوى دليل على ذلك مخالفته إياهم في ابتداع فكرة الغلو التي كانت السبب
 الوحيد لبراءتهم منه ومن جميع الغلاة . والباعث القوي لأمر المؤمنين على
 افناء قسم منهم بالنار

ومع ذلك فقد ظهرت هذه البدعة الضالة وسرت مريان الوباء إلى نفر من
 أهل العراق « كانوا من ركافة البصائر وضعفها على حال مشهور فلا عجب
 من مثلهم أن تستخفهم المعجزات - التي رأوها من علي (ع) فيعتقدوا في
 صاحبها أن الجوهر الإلهي قد حل فيه . وقد قيل أن جماعة من هؤلاء كانوا
 من نسل النصارى واليهود وقد كانوا سمعوا من آبائهم وسلفهم القول بالحلول في
 انبيائهم فاعتقدوا فيه عليه السلام مثل ذلك . ويجوز أن يكون أصل هذه
 المقالة من قوم ملحدين أرادوا إدخال الإلحاد في دين الإسلام (١) »

وأما « الخوارج » فالسبب في تشعبهم وخروجهم - مكيدة عمرو بن
 العاص يوم صفين برفع المصاحف وتعمية هذه المكيدة على عقولهم البليدة
 الجامدة آناً والمتقلبة آناً آخر ولكن التقلب في الآراء والمذاهب كان متأصلاً
 فيهم يثبتهم من قديم الزمان . أضف إلى ذلك عنادهم العجيب وجهلهم
 الفاضح بالاحكام .

انظر إلى عنادهم يوم حاجهم علي (ع) وأجابوه بقولهم « أنت صادق
 في جميع ما تقول غير أنك كفرت حين حكمت الحكيم (٢) » وانظر إلى جهلهم

لما خرجوا إلى النهر وإن « ووثب رجل منهم على رطبة سقطت من نخلة فوضعها في فيه فصاحوا به أخذتها بغير حذرها فلفظها من فيه تورعاً . وعرض لرجل منهم خنزير فقتله فقالوا هذا فساد في الأرض . ثم لاقوا عبد الله بن خباب وكان صحابياً فسألوه عن علي بعد التحكيم فأثنى خيراً فقرّبوه إلى شاطئ النهر فذبحوه وبقروا أم ولده عما سيفي بطنها وكانت حبلية (٣) »

وأما « الكيسانية » فنشعبهم كان في زمن اضطرب فيه أمر الشيعة أشد اضطراب وكانت أمورهم بل أمور عامة المسلمين في شبه فوضى . لأن الفتن يومئذ أي يوم تشعب الكيسانية قد كثرت كثرة هائلة واختلط الحابل بالنابل . فقام عبد الملك يدعي الخلافة بالشام . وعبد الله بن الزبير يدعيها بالحجاز والمختار يدعيها لابن الحنفية في العراق ويدعي أنه وكيله . فراجت دعواه هذه في أسواق الكوفة وتقبلها نفر غير قليل من بساطتها فسموا الكيسانية من ذاك الحين

والذي ساعد على تقبل دعوى المختار ظهوره بمظهر الآخذين بثأر الشهيد الحسين بن علي عليها السلام ورغبة أهل الكوفة الذين تخاذلوا عن نصرته الحسين قبل ذلك في أخذ الثأر وغسل العار الذي لحقهم من وراء تخاذلهم هذا . وإخلاص أيضاً من نير الاضطهاد الأموي الذي ضيق عليهم بعد ما أمن الأمويون من صولة الحسين وأهل بيته .

وهناك سبب آخر لنجاح المختار في دعوته . هو بعد علي بن حسين عن الكوفة يومئذ (لأنه كان في قبضة ابن الزبير عدو الهاشميين الألد) وعدم استمطاعته أيضاً من الجهر بإمامته في الحجاز وفي العراق ولا الدليل عليها وإبطال غيرها . وهكذا كان حاله بعد قتل ابن الزبير وتولي عبد الملك وهكذا كان

(١) بتلخيص من ج ١ ص ٢٠٦ من شرح النهج وص ٩٩ من كتاب تلبس إبليس

حال بقية الأئمة (ع) ماعدا الإمام الرضا فإنه صرح قليلا بإمامته واستدل عليها حتى رجع نفر من وقف على آية إلى القول بإمامته — كما سيأتي بيانه :
وأما « الزيدية » فكان السبب في تشعبهم ظنهم أن زيد بن علي السجاد كان يدعي الإمامة لنفسه وأنه خرج بالسيف لذلك « والحقيقة انه ظهر بالسيف بأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وطلب بثارات جده الحسين (ع) . واعتقد كثير من الشيعة إمامته وكان سبب اعتقادهم ذلك فيه خروجه يدعو إلى الرضا من آل محمد عليه السلام فظنوه يريد نفسه ولم يكن يريد ما لمعرفته باستحقاق أخيه الباقر (ع) للإمامة من قبله ووصيته عند وفاته إلى أبي عبد الله الصادق (ع) .
ولم يتمكن الصادق — في تلك الظروف القاسية التي ظهر فيها الزيدية — أن يناظرهم غالباً في شيء من أمر الإمامة . لأنه كان يتكلم فيها ويتقي ملوك عصره ويحذر من وشاتهم وجواسيسهم الكثيرة ومع مكتمه الشديد قد « احضره المنصور وقال له — قتلي الله إن لم أقتلك أتلحد في سلطاني ؟ فقال له الصادق (ع) والله ما فعلت ولا أردت . وإن كان بلغك فمن كاذب . فأحضر المنصور ذلك الرجل الذي أخبره وتكلم به أمام الصادق (ع) فطلب الصادق أن يحلفه فأذن له المنصور فحلفه فابرح حتى ضرب برجله ومات (٢) »
وأما « الغلاة » فالسبب في تشعبهم هو عين السبب الذي مر ذكره عند تشعب السبائية . زد على ذلك أن الغلاة ظهروا في أيام الصادق وأبيه الباقر (ع) وقد عرف كيف أعوزهما الامويون والعباسيون إلى القوة التي يتمكنان بها من قمع الغلاة و كبح جماحهم حيث لم تؤثر فيهم تلك الحجج الدامغة ولم تنفعهم

(١) ملخص من ص ٢٨٦ من ارشاد المفيد (٢) ص ٢٩٠ من ارشاد المفيد
وقد أشار إلى هذه الواقعة ابن حجر ص ٢٢٣ من صواعقه فقال « وسعي به عند المنصور لما حج فلما حضر الساعي قال له الصادق اتخلف ؟ قال الساعي نعم فحلفه الصادق فما أنتم حتى مات الساعي مكانه » فقال أمير المؤمنين لجمهور الصادق لا بأس عليك انت المبرأ الساحة المأمون الغائلة »

الذكري البليغة :

وأما « الاسماعيلية » فكان السبب في تشعبهم ظنهم أن الصادق نص على إمامة ولده اسماعيل ثم دخول الشبهة عليهم في موت اسماعيل قبل أبيه وهكذا « الفطحية » ظنوا أن المنصوص عليه عبد الله بن جعفر الافرطح وساعدتهم على الظهور بكثرة حراجة موقف الكاظم وتكتمه في الإمامة يروي لنا المفيد عن هشام بن سالم « قال كنا بالمدينة بعد وفاة أبي عبد الله الصادق (ع) أنا ومؤمن الطاق . والناس مجتمعون على أن عبد الله الافرطح صاحب الأمر بعد أبيه فدخلت عليه أنا وصاحب الطاق فسألناه ثم خرجنا من عنده ضللاً لا لاندري إلى أين نتوجه . فقمعدنا في بعض أزقة المدينة بأكين حيارى . فبينما نحن كذلك إذ رأيت رجلاً شيخاً لا أعرفه يوميء إلي بيده فخفت أن يكون عيناً من عيون المنصور الذين كانوا بالمدينة بنظرون على من اتفق شيعة الصادق (ع) فيضربون عنقه فقلت لصاحبي تنح عني لا تهلك ، إنما الرجل يريدني فتنحى عني غير بعيد فتبعني الشيخ فما زلت أتبعه حتى أوردني على باب أبي الحسن موسى بن جعفر (ع) ثم خلاني ومضى فإذا خادم على الباب يقول لي ادخل فدخلت فإذا أبو الحسن موسى بن جعفر (ع) يقول إلي إلي . . فقلت جعلت فداك مضي أبوك ؟ قال نعم فقلت مضي سيك موت ؟ قال نعم قلت جعلت فداك من لانا بعده ؟ قال إن شاء الله يهديك قلت أنت هو ؟ قال ما أقول ذلك فقلت عليك إمام ؟ قال لا فدخلني — حينئذ — شيء لا يعلمه إلا الله إعظاماً له وهيبة . ثم قلت أسألك عما كان يسأل عنه أبوك قال سل تخبر ولا تدع فإن أذعت فهو الذبح وأشار بيده إلى نحره ، قال فسألته فإذا هو بحر علم فقلت إن شيعتك وشيعة أبيك ضلال أفالقاهم وأدعوهم إليك ؟ قال من أنست منهم رشد افادعهم وخذ عليهم الكتمان فإن أذعوا فهم والذبح (١) »

أضف إلى ذلك أن الصادق (ع) قد عي أمر الوصية في الظاهر حرصاً على دم وصيه الكاظم من أن يسفك بيد المنصور الذي « كتب إلى عامله بالمدينة — إن كان الصادق أوصى إلى رجل بعينه فقدمه واضرب عنقه • فرجع الجواب إليه — انه قد أوصى إلى خمسة أحدهم ابو جعفر المنصور ومحمد بن سليمان وعبد الله وموسى وحيدة فقال المنصور ليس إلى قتل هؤلاء سبيل (١) » وزد على هذا أن الكاظم قضى شطراً كبيراً من أيامه في الحبوس « حبسه موسى الهادي أولاً ثم أطلقه لأنه رأى علياً رضي الله عنه في المنام يقول — فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الأرض ونقطعوا أرحامكم — فأنبئه الهادي وعرف انه المراد فأطلقه ليلاً (٢) »

وحبسه الرشيد اربع مرات وحجب عنه الشيعة فصاروا في حيرة وفوضى سهلت على دعاة الاسماعيلية والقطعية وأنصار السلطان — أمر تفريقهم والقاء الشبهات عليهم في الوقت الذي لا يجدون فيه من يلبأون اليه في رفع الشبهات وغيرها لأن أصحاب الكاظم كانوا يكتفون في تلك الظروف أشد تكتم ولا يجترئون غالباً على الجهر بما علموا من أمر الكاظم حذراً من الوشاة وبطش الحكام الذين كانوا يتقبلون كل قول من أعداء الشيعة وجواسيس العباسية وكان علي بن اسماعيل — وهو ابن أخي الكاظم — من أشد الوشاة ضرراً على عمه • وكذلك يحيى بن خالد البرمكي الفارسي الذي ثولى (كما علمت) سم الكاظم (ع) والذي كان يقول « قد افسدت على الرافضة دينهم لأنهم يزعمون ان الدين لا يقوم إلا بالإمام حي وهم لا يدرون اليوم ان إمامهم حي أو ميت (٣) »

نعم كان أكثر الشيعة وقتئذ لا يعلمون ان الإمام الكاظم حي أو ميت

(١) صفحة ١٢٩ من غيبة الطوسي (٢) صفحة ١٢٥ من الصواعق

(٣) صفحة ٣٦٣ من منهج المقال

لأنه كان محجوباً عنهم في الحبوس المتعددة في أغلب أيامه بل قد عرفت أنه استشهد في الحبس مسموماً غربياً لم يحضره أحد من عشيرته وشيعته . وكان هذا هو السبب في إنكار « الواقفية » موته وقولهم أنه غاب وسيعود ووقفوا على إمامته ولم يعترفوا بإمامة ولده الرضا عليه السلام . وهناك سبب آخر لشعب بعض الواقفية وإنكارهم موت الإمام عليه السلام رواه الشيخ الطوسي والاسترابادي عن هونس « قال مات أبو الحسن موسى الكاظم (ع) وليس من قوائمه أحد إلا وعنده المال الكثير . وكان ذلك سبب وقفهم عليه وجحودهم موته ، وكان عند زياد القندي الانباري سبعون ألف دينار وعند علي بن أبي حمزة ثلاثون ألف دينار . قال هونس فلما رأيت ذلك وتبين علي الحق وعرفت من أمر الرضا ما علمت تكلمت ودعوت الناس إليه فبعثنا إلي وقالوا لم تدعوا إلى الرضا ؟ إن كنت ترهب المال فنحن نغنيك وضمنا لي عشرة آلاف دينار فلم أقبل فغاضباني وأظهرا لي العداوة (٢) » ولكن الإمام الرضا (ع) قد استطاع — بياهر علمه وقوة برهانه وعدم إنكساره غالباً في إمامته حتى في أيام الرشيد (٣) أن يقنع كثيراً من الواقفية ويحملهم على الاعتراف بإمامته والعدول عن الوقف على أبيه (٣) ولما تولى المأمون الأمر وأكرم الرضا وشهر بفضله —

(١) صفحة ٤٦ من كتاب الفيبة وصفحة ٣٦٦ من منهج المقال

(٢) « دخل علي بن أبي حمزة وابن السراج وابن المكارري — وكلهم واقفة — على الإمام الرضا (ع) فقال له ابن أبي حمزة ما فعل أبوك ؟ قال مضى قال إلى من عهد بيده ؟ قال إلي قال فأنت إمام مفترض الطاعة ؟ قال نعم قال ابن السراج وابن المكارري قد أمكنك من نفسه . فقال الرضا (ع) ويلك وبما أمكنته من نفسي أتريد أن آتي إلى بغداد وأقول لهارون الرشيد إني إمام مفترض الطاعة ؟ والله ما ذاك علي ، فقال ابن أبي حمزة لقد أظهرت شيئاً ما كان يظهره أحد من آبائك . قال بلى والله لقد أظهره خبر آبائي لما أمره الله أن ينذر عشيرته الأقرين — صفحة ١١٠ من منهج المقال »

(٣) من هؤلاء الذين عدلوا عن الوقف — عبد الرحمن بن الحجاج ورفاعة بن موسى ويونس بن يعقوب وحميل بن دراج وحماد بن عيسى وغيرهم . وهؤلاء من أصحاب

كثير الشيعة وتظاهروا بالاعتراف له والقطع بموت ابيه الكاظم عليهما السلام .
 وُسَمُوا يومئذ بالقطعية . وهكذا قطعوا بموت الامام الرضا لما مات وقالوا
 بإمامة ولده الجواد ولم يخالف سوى جماعة قيل انهم انكروا إمامته لصغر سنه
 كما تقدم بيانه

وبعد هذا كله يمكنك ان تعرف — من مجموع الأسباب السابقة — السبب
 الذي اوجب تشعب « النصيرية » وتشعب الجماعة الذين قالوا بإمامة « جعفر »
 ابن علي الهادي وانكروا امامة الحسن بن علي العسكري وإمامة محمد بن
 الحسن « المنتظر » عليهم السلام ، لأنك قد علمت — قبل — كيف كان سير
 السلطان في أيام هؤلاء الائمة الميامين ؟ وكيف كان حال الشيعة القائلين بإمامة
 محمد بن القاضى والضعف والنشئت والخوف ايضاً . وعلمت ما فعله جعفر بن علي
 من السعاية على محمد وشيعته ، ومن حبس جوارى الحسن العسكري واعتقال
 حلائله في ذلك الوقت العصيب . اضعف الى ما تقدم ان مقالة الغلاة وشبهاتهم
 لم تزل تماماً بل كانت متمكنة من نفوس فئة غير قليلة تبشها بين الناس
 وتتناقلها من فرد الى آخر حتى ظهرت بصورة كبيرة على يد زعيم النصيرية محمد بن
 نصير الفهري

وعلى الاجمال كان الشيعة في تلك الظروف القاسية (التي اوجبت على
 الامام الثاني عشر (ع) ان يتستر ويعيب عن اعين الحكام) في فوضى واسعة
 النطاق تتناهبهم النكبات وتتقاذفهم الوشائيات والدسائس والسدعايات وكان
 المخلصون للامام عليه السلام اقل قليل

فلا غرابة إذا نجح — يومئذ — جعفر بن علي في دعوته واتبعه جماعة
 فارس بن حاتم بن ماهويه وغيرهم . كما لا غرابة إذا ظهرت مقالة ابن نصير
 أبيه الذين شكوا فيه ثم رجعوا . وكذلك من كان في عصره مثل احمد بن محمد بن ابي
 نصر ، والحسن بن علي الوشا وغيرهم ممن كان قال بالوقف فالتزموا الحجّة وقالوا بإمامته
 وإمامة من بعده من ولده — انظر ص ٥١ من غيبة الطوسي

وتلقاها البسطاء واثقلوا منه ادعاءه أولاً بأنه الباب للإمام الثاني عشر وأمينه
 ووكيله في بث الأحكام وجمع الأموال . وثانياً بأنه رسول نبي ثم إله
 والأسباب التي أوجبت تشعب الغلاة وغيرهم هي بعينها صالحة لأن تكون
 أسباباً لتشعب « القرامطة » وظهورهم بذلك المظهر البغيض . وأسباباً أيضاً
 لتشعب « الدروز » من الاسماعيلية الباطنية لأن الظروف التي ظهر فيها
 القرامطة والدروز شبيهة كل الشبه بالظروف التي ظهر فيها الغلاة وزيادة على
 ذلك كثرة الشبه الفلسفية وانتشارها في أيام ظهور القرامطة انتشاراً هائلاً لم يكن
 مثله في عصر الغلاة السابقين . والله اعلم بوقائع الأمور وأسبابها



الفصل الثالث

﴿ الخلافة والخلفاء أو اختلاف الأمة الاسلامية فيهما ﴾

تمهيد ١ مرض النبي ﷺ ووفاته وبيعة ابي بكر ٢ وفاة ابي بكر وبيعة
عمر ٣ وفاة عمر وبيعة عثمان ومقتله ومن قتله وحرض عليه ٤ بيعة
علي وبيان ان الذين تابعوه جمهور الصحابة ٥ كلمة في دراسة
المصري التاريخية ٦ مقتل علي ومدفنه ٧ بيعة
الحسن ومقتله ومدفنه ٨ مقتل الحسين ٩ هل
يبرأ التاريخ يزبد من دم الحسين ؟ ١٠

﴿ تمهيد ﴾

لقد اختلفت الأمة الاسلامية كغيرها من الأمم في أمور كثيرة وخصوصاً
حينما مرض النبي ﷺ وحينما توفي وبعد ذلك ولكن « اعظم خلاف بين
الأمة خلاف الإمامة إذ ما سل سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل
ما سل على الإمامة في كل زمان (١) »

وكان مثل هذا الخلاف أثراً طبيعياً مترقياً ونتيجة محتومة لكل أمر اعتقد
نفوذ به إلى اختيار الناس المتباينين في الالهواء والانظار والميول
وظني انه اولا هذا الاعتقاد لما تولدت تلك الخلافات الكثيرة أولا وصلت
إلى هذا الحد المتسع فبينما تراهم يشترطون في الخليفة الانتساب إلى قرش لقول
أبي بكر (رض) « الأئمة في قرش (٢) » إذ بآخرين يقولون كما تكون
لقرشي تكون لغيره وحببتهم قول عمر (رض) « لو كان سالم مولى أبي حذيفة
حيأ لوليته (٣) »

(١) ج ١ صفحة ٩ من ملل الشهرستاني (٢) ص ١٣٦ من مقدمة ابن خلدون

(٣) صفحة ١٣٥ من المقدمة

وهؤلاء قد وافقوا الخوارج في عدم شرط الانتساب إلى قریش . وعلى قولهم صحت خلافة الترك العثمانيين

و كذلك ترى بعضهم يحصر عدد الخلفاء بخمسة متمسكا بهذا الخبر العليل « الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا عوضاً (١) » وانتهت الثلاثون بوادعة الحسن لمعاوية . وآخر يعاكسهم محتجاً بهذا الحديث الصحيح المشهور عنه رضي الله عنه « لا ينقض هذا الأمر حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة كلهم من قریش (٢) »

ولكن هؤلاء تحيروا في أمر الذين زادوا على الاثني عشر فراحوا يخرجون من الخلفاء (بعد الراشدين) ويدخلون ما يشاؤون ، ولقد انبه للأمر وعرف مغزى الحديث ومرماه الشيخ سليمان الحنفي النقشبندي فقال « لا يمكن أن يحمل هذا الحديث المشهور من طرق كثيرة على الخلفاء بعده من أصحابه رضي الله عنهم لقاتلهم عن اثني عشر . ولا يمكن أن يحمل على الملوك الاموية لزيادتهم على اثني عشر أيضاً ولا يمكن أن يحمل على الملوك العباسيين لزيادتهم على العدد ايضاً . فلا بد أن يحمل على الأئمة الاثني عشر من أهل بيته وعترته عليهم السلام لأنهم كانوا أعلم أهل زمانهم وأجلهم وأودعهم وأتقاهم وأعلاهم نسباً وأفضلهم حسباً (٣) »

وكما اختلفوا في شرط الانتساب إلى قریش وفي عدد الخلفاء اختلفوا أيضاً في كيفية انتخابهم فقال قوم « يحصل باجتماع أهل الحل والعقد من الصحابة » وقال آخرون « يحصل باختيار خمسة من صلحاء المسلمين لواحد منهم كما جرى في خلافة عثمان . او بانتخاب نفس الخليفة لشخص كما فعل أبو بكر بعمر » وبضد هذا القول قول بعضهم « لا يتم الانتخاب إلا برضا جميع الأمة »

(١) ج ١ صفحة ١٨٣ من إبي الفداء (٢) ج ٢ ص ٢٩ صحيح مسلم

(٣) ص ٣٧٣ من كتابه « ينابيع المودة »

« قريش منه قول آخرين منهم » لا يتم إلا برضا الجميع ولكن في أيام الهدوء والسكينة وأما في أيام الخلاف بين الأمة فلا » ولكن جمهورهم اتفق أولاً على صحة الانتخاب إذا تولاها أهل الحل والعقد من الصحابة . وهناك اختلافوا فيمن يستحق أن يطلق عليه اسم صحابي « فكان سعيد بن المسيب لا يعد الصحابي إلا من أقام مع رسول الله ﷺ سنة وأكثر وغزا معه . وقال بعضهم كل من أدرك الحلم واسلم ورأى النبي ﷺ فهو صحابي ولو أنه صحبه ساعة واحدة . وقال آخرون لا يكون صحابياً إلا من تخصص به الرسول ﷺ وتخصص هو بالرسول أيضاً بأن يثق بالرسول ﷺ بسريرته وبإلزامه في السفر والحضر (١) » ولا يبعد أن يكون هذا القول الأخير أصح الأقوال وأقربها إلى الصواب وهو اللائق بذات الرسول المقدسة التي يجب أن تنزه عن نسبة المنافقين ، والمؤلفة ، والطلاقاء الذين لم يسيروا على هداية إلى صحبته الشريفة بل يجب تنزيه الصحابة أيضاً عن عد مثل هؤلاء في عدادهم وقد يكون أول خلاف حول الإمامة — إن لم يكن الخلاف الذي جرى يوم طلب الدواة — هو الخلاف الذي جرى في « سقيفة بني ساعدة » قبيل وفاته ﷺ بين المهاجرين والأنصار . وكان مرشح المهاجرين أبو بكر ابن أبي قحافة التيمي ومرشح الأنصار سعد بن عباد الخزرجي . وكانت حجة المهاجرين السبق إلى الإسلام وكونهم من شجرة الرسول الطيبة . وحجة الأنصار الإيواء والنصرة ، ولما كانت حجة الأنصار على استحقاق الخلافة وأهمية جداً زبادة على تسرب الحسد إلى قلوب بعضهم — تغلب عليهم المهاجرون واخذوا البيعة لأبي بكر ممن حضر السقيفة عدا سعد بن عباد فإنه لم يبايع « فوطي » عمر صدره وقال اقتلوا سعداً قتل الله سعداً (٢) » وكان هناك فريق ثالث لم يحضر اجتماع السقيفة الفجائي ، أما لعدم اطلاعه

على خبر الاجتماع ، او لشكله في تلك الساعة الرهيبة بموت سيد البشر اياه نصب عينيه مسجى بلا غسل ولا دفن . ^١ ولأن سيد هذا الفريق لم يكن يخطر في باله ان يعذل المسلمون عنه إلى غيره وقد بايعوه يوم غدیر خم بأمر من النبي ﷺ وبما رأى منه وسمع

وعلى كل فقد جاؤوا — من بعد بيعتهم تلك له وبعد وفاة نبيهم بلا فصل — يطلبون منه البيعة لأبي بكر (رض) ولكنه امتنع (ع) اولوا واحتج وفند حجج المهاجرين بقوله « احتجوا بالشجرة واضاعوا الثمرة » وبقوله فان كنت بالشورى ملكت امورهم فكيف بهذا والمشiron غيب وان كنت بالقربى حججت خصيمهم فغيرك اولى بالنبي واقرب (١) « يريد بالمشيرين نفسه وبني هاشم واجلة الصحابة من شيعة الذين كانوا معه في دار النبي ﷺ ولم يستشرهم احد في تلك البيعة المستعجلة التي رآها الخليفة الثاني « فلتة وفي الله شرها وقال من عاد إلى مثلها فاقتلوه » (٢) «

وقد استمر جميع هؤلاء الأصحاب على التشيع لعلي والاعتقاد بخلافته إلى آخر نفس من حياتهم . وان بايعوا أبا بكر (رض) على انه خليفة منتخباً ثم بايعوا عمر ولم يحنقوا عليه بل آزره وناصحوه واخلصوا له يوم صار بعضهم من ولانه على الأمصار . ومن اسرائه الفاتحين ومن جنده الغازي « كان عمار بن ياسر اميراً على الكوفة من قبل عمر وحضر فتح نستر (٣) «

(١) ج ٢ صفحة ١٩٣ من نهج البلاغة (٢) ج ١ صفحة ١٠ من الملل

(٢) صفحة ١٢٩ من الاخبار الطوال للدينوري وقال الخطيب البغدادي (ج ١

ص ١٥٠ من تاريخه) - وعمار بن ياسر تقدم إسلامه وهو معدود من السابقين الاولين من المهاجرين والانصار . ومن عذب في الله بمكة ومر النبي (ص) بعمار وابيه وأمه وم يذرون فقال اصبروا يا آل ياسر فان موعدكم الجنة وشهد مع رسول الله (ص) مشاهد كلها وتزل فيه - إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان - وغير ذلك من الآيات وشهد مع علي بن أبي طالب حروبه حتى قتل بين يديه بصقين (سنة ٣٢ هـ) وصلى عليه علي ودفنه هناك ولم يفسله . ومناقبه مشهورة وسوابقه معروفة استأذن عمار

و «كان عثمان بن حنيف الأوسي الأنصاري عاملاً لعمر بن الخطاب على العراق . وأمره عمر بمسح الفرات فمسحه ، ومات عثمان هذا في خلافة معاوية وهو أخو سهل بن حنيف ، شهد أحداً وما بعدهما من المشاهد مع النبي ﷺ وله رواية عنه ﷺ : وكان أيضاً عاملاً لعلي (ع) على البصرة يوم خروج طلحة والزبير على الإمام ، فكتبنا اليه أن يخلي لهما دار الإمارة ، فاستشار عثمان الأحنف بن قيس فقال — إن هؤلاء جاؤوك للطلب بدم عثمان بن عفان وهم الذين ألبوا عليه الناس وسفكوا دمه فبادرهم قبل أن يهكروا نواصيتك في دار واحدة . فقال ابن حنيف الراي ما رايت ولكن انتظر كتاب أمير المؤمنين (ع) ورأيه . فلما أمره الإمام بالحرب خرج عليهم وحاربهم ، ثم تهاجروا وكتبوا فيما بينهم كتاب صلح ، ثم لم يلبثوا حتى نكثوا به وأخذوه غدرًا وضربوه ضرب الموت وثقفوا حاجبيه واشفار عينيه وكل شعرة في وجهه ورأسه فكان غدرهم به أول غدر في الإسلام ولقد خلوا سبيله بعد أن أرادوا قتله فلحق بعلي (ع) فلما رآه بكى وقال — فارقتك شيعًا وجئتكم امردًا فاسترجع علي عليه السلام (١)»

و «كان حذيفة بن اليمان العبسي أميراً على المدائن استعمله عمر . وكان مضي في سنة ٢٢ هـ إلى نهاوند فصالحه صاحبها على ٨٠٠ درهم في كل سنة . وكان صاحب مرسول الله ﷺ لقربه منه وثقته به وعلو منزلته عنده . وكان من اصحاب علي أمير المؤمنين واحد الاركان الاربعة سكن الكوفة ومات بالمدائن سنة ٣٦ هـ بعد بيعته أمير المؤمنين بأربعين يوماً (٢)»

على النبي (ص) فصرف صوته فقال مرحباً بالطيب الطيب . وقال (ص) لحالد بن الوليد لما كان بينه وبينه شيء — من ابض عمارا ابتضه الله ومن عادى عمارا عاداه الله — وصح عن النبي (ص) انه قال لعمار ثقتك ائمة الباغية وآخر شرابك ضياخ من لبن . (١) بتلخيص من مجلد ١ صفحة ١٧٩ من تاريخ بغداد للخطيب وج ٣ صفحة ٤٩٧ و صفحة ٥٠٠ من شرح النهج (٢) مجلد ٤ صفحة ١٠٠٩ و ١٠١٠ من تاريخ ابن

و « كان البراء بن عازب أمير الجيش الذي فتح قزوين (١) سنة ٢٢ هـ صالحاً وكذا فتح الديلم وفتح زنجان عنوة : وكان البراء قد غزامع رسول الله خمس عشرة غزوة ، ونزل الكوفة بعده ، وكان رسول علي بن أبي طالب إلى الخوارج بالنهر وان يدعوهم إلى الطاعة وترك المشاقة ، والبراء روايات كثيرة عن رسول الله ﷺ . ومات في ولاية مصعب بن الزبير (٢) »

و « كان الأحنف بن قيس أمير الجيش الذي غزا خراسان سنة ٢٢ هـ وافتتح هراة عنوة ومروروز صالحاً : توفي الأحنف سنة ٦٧ هـ وقيل ٦٨ هـ وقيل سنة ٦٩ هـ واسمه الضحاك بن قيس وعرف بالأحنف لأنه كان أحنف الرجل وهو الذي يضرب به المثل في الحلم . وكان سيد قومه موصوفاً بالعقل والدهاء والحلم والذكاء أدرك عهد رسول الله ﷺ ولم يصحبه وكان من كبار التابعين ، شهد مع علي صفين ولم يشهد الجمل ، وقدم على معاوية وعنده وجوه الناس فخطب رجل من أهل الشام في ذلك المجلس ولعن علي بن أبي طالب فأطرق الناس وتكلم الأحنف فقال لمعاوية — ان هذا القائل لو يعلم ان رضاك

عساكر ومجلد ١ صفحة ١٦٠ من تاريخ بغداد و صفحة ٩٤ من منهج المفاخر (١) من الغرابة جدا ما جاء في صفحة ١٤٨ من جولة المصري الرابعة وهو قوله « وقزوين بلد صغيرة ولكنها أجمل من همدان لأنها كانت عاصمة الشاه عباس يستعمر (انظر . . . جامها بقبته الزرقاء . . . وقد اقام الصلاة فيه خالد بن الوليد والحسن بن علي الذي كان يصحبه في الفتح الإسلامي » والحال ان خالدا هذا توفي سنة ٢١ هـ قبل فتح قزوين بسنة نص على ذلك ابو الفداء ج ١ صفحة ١٦٤ من تاريخه ونص ابن الاثير ايضا وابن عساكر واثبتوا ان الذي فتح قزوين هو البراء « وان همدان فتحها حذيفة ابن اليمان وافتتح الري ولم تكونا فتحنا من قبل — انظر مجلد ٤ صفحة ١٠٠ من تاريخ ابن عساكر . وانا لم ندر — على كثرة البحث عن هذه المسألة — إلى اي مصدر استند الرحالة في دعوى وصول خالد إلى قزوين المفتوحة بعد موته ؟ ومن دعوى صحبة الحسن ابن علي لخالد في فتوحه ؟ !

(٢) ج ٣ صفحة ٩ من ابن الاثير وج ١ صفحة ١٧٧ من تاريخ بغداد للخطيب

في لعن المرسلين للعنهم فاتق الله ودع عنك علياً فقد قدم على ربه . وكان والله الميمونة نقيته العظيمة مصيبته . فقال معاوية فأيم الله لتصعدن المنبر وتلعنه طوعاً أو كرها . فقال الأحنف إغفني هو خير لك فألح عليه معاوية ولم يغف فقال والله لا أصفنك في القول . قال وما أنت قائل . قال أقول — إن معاوية أمرني أن لعن علياً . ألا وإن علياً ومعاوية اقتتلا وادعى كل منهما الله . بني عليه . اللهم العن أنت وملائكتك ورسلك وجميع خلقك الباغي منهما والعن الفئة الباغية لعنا كثيراً أقوله ولو كان فيه ذهاب عنقي فقال معاوية إذن نغفك من ذلك ولم يلزمه (١) »

و « كان من عمال عمر على المدائن أيضاً سلمان الفارسي . وكان يلبس الصوف ويركب الحمار وبأكل خبز الشعير وكان ناسكاً زاهداً فلما احتضر بالمدائن قال له سعد بن أبي وقاص اذكر الله عندك فبكى سلمان الخ (٢) » وكان سلمان من حضر فتح المدائن « وعبر دجلة مع سعد بن أبي وقاص فعمات خيولهم وهم يتحدثون (٣) وحضرها أيضاً عدي بن حاتم الطائي (٤) »

(١) ج ٣ ص ١٦ من ابن الأثير وج ١ ص ١٦٦ وص ١٩٥ من أبي الفداء

(٢) ج ١ ص ٢١٧ من مروج الذهب للمسعودي

(٣) ج ٢ ص ١٩٨ من تاريخ ابن الأثير وقال الخطيب البغدادي (ج ١ ص ١٦٣) من تاريخ بغداد « وسلمان من أهل أصفهان ، ويقال من رامهرمز ، ويكنى أبا عبد الله أسلم في السنة الأولى من الهجرة وأول مشهد شهده مع رسول الله (ص) يوم الخندق لأنه كان قبل ذلك مسترقاً لقوم من اليهود قبضوا عليه قادماً إلى النبي (ص) فكاتبهم (ص) وادى كتابته وعتقه ، ولم يزل ملازماً له حتى توفي (ص) ولما غزا المسلمون العرطق خرج معهم وحضر فتح المدائن ، وتزلها حتى توفي بها في خلافة عثمان . وقبره الآن ظاهر معروف بقرب إيوان كسرى وعليه بناء وله خادم لحفظه ، وقد رأيت الموضع وزرته غير مرة وكان من المعمرين قيل أنه أدرك وصي موسى (ع) وأدرك علم الأول والآخر ، وقرأ الكتابين »

(٤) قال الخطيب (ج ١ ص ١٨٩) من تاريخه « وعدي بن حاتم الطائي قدم على رسول الله (ص) فلما رآه النبي تزع وسادة كانت تحته فألقاها له حتى جلس عليها ، سأله عن أشياء فأجابها عنها ثم أسلم وحسن إسلامه . وحضر فتح المدائن وشهد مع

وحضر وقعة القادسية هاشم المرقال (١) وكان على ميسرة جيش المسلمين ، وحضرها معهم مالك الاشتر النخعي . وكان حجر بن عدي الكندي في وقعة جلولاء مع المسلمين . وكان غير هؤلاء من الشيعة في فتوحات عمر (رض) ذكرهم الدهوري وغيره :

ولكن الرحالة محمد ثابت المصري بما كس هذه النصوص التاريخية التي ندل على إخلاص الشيعة لعمر وعدم حقنهم عليه . حيث يقول (ص ١٤٨ من جولته) « الشيعة : لما مات النبي من غير خلف من المذكور ، قام أبو بكر وأوقف المرتدين وحمل لواء الإسلام إلى الجزيرة ، ولما عاد عمر بن الخطاب وأصل دعاية الإسلام بفضل قائديه خالد ومعاوية (?) فحقن عليه قوم واعتقدوا أن الخلافة يجب أن تكون في سلالة الرسول . ولكن كظفروا غيظهم حتى مات عمر (?) ثم جاء عثمان وقتل عاجلاً (?) وقام علي زوج فاطمة بنت النبي وأب أحفاد رسول الله . وكان الخوارج هم الذين حرضوا على قتل عثمان (?) وأبدوا عليه (?) لكنهم خرجوا عليه هو أيضاً لما رضى بمهادنة خصومه ومن ثم سموا الخوارج »

وهذا النعم الجديد في التاريخ . وهذه الغرائب في الأقوال هما اللذان ألزمانا التوسع قليلاً في الكلام عن هذه الحوادث التاريخية التي اهتم المؤرخون الشرقيون في تدوينها وتصفيتها حتى أجمعوا على أكثرها ، وادعوه في مؤلفاتهم ثم جاء من بعدهم كثرة الافرنج فدرسوا من الأقوال والآراء ما يوافق سياستهم

علي الجمل وصفين والنهروان ومات بعد ذلك بالكوفة سنة ٦٧ هـ زمن المختار وهو ابن مائة وعشرين سنة ، وقيل بقرقيا »

(١) ترجمه الخطيب (مجلد ١ صفحة ١٩٦ من تاريخه) فقال « هاشم بن عتبة ابن ابي وقاص المعروف بالمرقال ، وهو أخو نافع بن عتبة وابن أخ سعد بن ابي وقاص أسلم يوم فتح مكة وحضر مع عمه سعد حرب القادسية ، وقتل هاشم المرقال مع علي رضي الله عنه بصفين »

وأغراضهم الشخصية في الشرق الإسلامي تحت ستار «فلسفة التاريخ» حتى عمي الأمر على كثير من الشرقيين وراحوا يتلقون تلك الأقوال الغربية الغربية ويدونونها بغير محاسبة ولا عرض على مصدرها الشرقي الإسلامي العربي . الأمر الذي يدل على عدم الثقة برجالنا ، وعلى عدم الاحتفاظ بثروة الآباء والأجداد : واليك هذه الحوادث على سيرها الطبيعي ، وترتيبها الواقعي ، ومصدرها الوثيق

✽ مرض النبي ووفاته وبيعة أبي بكر ✽

لما مرض رسول الله ﷺ مرض الموت دعا أسامة بن زيد وقال له سر إلى مقتل أبيك فأوطنهم الخيل فقد وليتك على هذا الجيش ثم قال ﷺ «جهزوا جيش أسامة لعن الله من تخلف عنه (١)» وقال لما أشد به وجهه «أتوني بدواة وبيضاء فأكتب لكم كتاباً لا تضلون بعدي أبداً . فتنازعوا فقال قوموا عني ولا ينبغي عند نبي تنازع . فقالوا ان رسول الله ليهجر (٢)»

(١) ذكر ذلك الشهرستاني مجلد ١ صفحة ٩ من ماله وذكره غيره بأسانيد صحيحة معتبرة لم يتعرض عليها معترض : ولأجله يحار السام كثيراً عندما يقرأ هذا الأمر المؤكد بتجهيز جيش أسامة وهذا اللعن القارس لمن يتخلف عنه . ويزداد حيرة حينما يعلم ان فئة من الأصحاب الذين تهتمهم مصلحة الإسلام وجهاد أعدائه وقيل عصيانهم لأوامر النبي (ص) من قبل - قد تخلفوا عن هذا الجيش الإسلامي المجهز للدفاع عن الإسلام . لذلك تراه لا يستطيع إلا أن يعترف بخطأهم ويستغفر الله لهم . أما ان يتقبل تلك الاعتذار الواهية التي اعتذر بها - عن تخلفهم - بعض الكتاب من «ان قلوبهم لا تساعدهم على السير مع الجيش وترك النبي بحالة المرض» فذلك مما لا يستطيعه مادام مؤمناً بوجوب الإمتثال لأوامر النبي (ص) وما دام معتقدا ان النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم واعلم بمصلحة الإسلام منهم . ولبدلنا ذلك الرجل كيف لم تساعد تلك القلوب على فراقه (ص) وقد ساعدتهم على مخالفة أمره وإغضابه ؟ بقولهم (كيف يستعمل هذا الغلام (أسامة) على جلة المهاجرين والأنصار ؟ حتى أخرجوه فأخرجوه عاصبا رأه . قائلا - أيها الناس ما مقالة بلقيثي عن بعضكم في تأميري أسامة . لئن طمنتم في تأميري أسامة فقد طمنتم في تأميري أباه من قبله - بتلخيص من مجلد ١ صفحة ٥٣ من شرح المترلي (٢) مجلد ١ صفحة ١٥١ من تاريخ أبي الفداء

وهروي الشيرستاني عن البخاري « انه قال لما اشتد به مرضه الذي مات فيه — اتوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدي . فقال عمر: ان رسول الله قد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله (١) وكثر اللفظ فقال النبي عليه السلام قوموا لا ينبغي عندي التنازع . قال ابن عباس الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله (٢) » ولقد عظمت هذه الرزية بوفاته (في صفر سنة ١١ هـ وحزيران سنة ٦٣٢ م) وبما جرى بعدها — بلا فصل — من الخلاف العظيم الذي توقعه ﷺ وهو حي وأراد نداركه بذلك الكتاب الذي حيل بينه وبينه ورمي — لما طلب الدواة — بما رمي كان ذلك الخلاف — كما علمت — حول الخلافة وكان في اليوم الذي توفي فيه النبي ﷺ حيث « اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة لتولية سعد بن عبادَةَ والنبي لما يدفن؟! ولما سمع عمر الخبر أقبل إلى منزل النبي ﷺ وأبو بكر فيه وعلي بن أبي طالب دائب في جهاز الرسول ﷺ فأرسل عمر إلى أبي بكر أن اخرج إليّ ، فأرسل إليه أني مشغول فأرسل إليه ثانياً انه قد حدث أمر لا بد لك من حضوره . فخرج إليه فأعلمه عمر الخبر فمضيا مسرعين نحو السقيفة ومعهما أبو عبيدة بن الجراح . فلقاهم رجلان وقالاهم ارجعوا لا يكون ما تريدون . فقالوا لا تفعل وذهبوا إلى السقيفة وترادوا الكلام فيما بينهم وبين الأنصار إلى أن صفق عمر على يد أبي بكر . وقيل سبقه إلى البيعة بشير بن سعد الأنصاري أبو النعمان بن بشير كراهية لابن عمه سعد (٣)

(١) لقد اوضح عمر (رض) ما اريد من طلب الدواة وما اراد من المنع بقوله لابن عباس « لقد اراد رسول الله في مرضه ان يصرح باسم علي فحسنت من ذلك حيلة على الإسلام — انظر مجلد ٣ صفحة ٩٧ من شرح المعترلي

(٢) مجلد ١ صفحة ٩ من ماله

(٣) بتلخيص من الطبري مجلد ٣ صفحة ٢٠٨ ومن ابن الاثير مجلد ٢ صفحة

١٢٥ ومن تاريخ ابن خلدون مجلد ٢ صفحة ٦٤ ومجلد ١ صفحة ٧٤ من شرح النهج للمعترلي

« وأقبل أبو بكر ومعه عمر وأبو عبيدة وجماعة من أصحاب السقيفة لا يميرون بأحد إلا خبطوه وقدموه فمدوا يده فمسحوها على يد أبي بكر يبايعه شاء ذلك أو أبى (١) »

وعندئذ « ائثال الناس على أبي بكر يبايعونه خلا جماعة من بني هاشم ، والزبير بن العوام وعتبة بن أبي لهب ، وخالد بن سعيد بن العاص ، والمقداد وسلمان وأبي ذر وعمار والبراء بن عازب وأبي بن كعب مالوا مع علي بن أبي طالب وقال في ذلك عتبة بن أبي لهب :-

ما كنت أحسب أن الأمر منصرف
عن أول الناس إيماناً وسابقة
وأخر الناس عهداً بالنبى ومن
من فيه ما فيهم لا يمترون به
عن هاشم ثم منها عن أبي حسن
واعلم الناس بالقرآن والسنن
جبريل عون له في الغسل والكفن
وليس في القوم ما فيه من الحسن
وكذلك تخلف عن البيعة لأبي بكر - أبو سفيان من بني أمية . ثم إن
أبا بكر بعث عمر بن الخطاب إلى علي ومن معه ليخرجهم من بيت فاطمة
رضي الله عنها . وقال له إن أبوا عليك فقاتلهم . فأقبل عمر بشي من نار على
أن يضرم عليهم الدار فلقبته فاطمة رضي الله عنها وقالت إلى أين يا ابن الخطاب ؟
أجئت لتحرق دارنا ؟ قال نعم أو تدخلوا فيما دخل فيه الأمة (٢) »

« وأقبل أبو سفيان وهو يقول - إني لأرى عجاجة لا يطفئها إلا دم
يا آل عبد مناف فيم أبو بكر من أموركم . فزجره علي وقال - والله إنك ما اردت
بهذا إلا الفتنة . وانك طالما بغيت للإسلام شراً (٣) »

(١) ج ١ صفحة ٧٤ من شرح النهج (٢) مجلد ١ صفحة ١٥٦ من تاريخ أبي القدام ومجلد
٣ صفحة ٦٣ من العقد الفريد ومجلد ١ صفحة ١٣ من الإمامة والسياسة لابن قتيبة ولكنه
قال - قيل لعمر لما جمع الخطب على باب الدار - إن في الباب فاطمة قال وإن «
(٣) مجلد ٢ صفحة ١٢٣ من تاريخ ابن الأثير . وذكر صاحب الأغاني جزء
٦ صفحة ٩٦ أن أبا سفيان هذا قد قال لما بويغ عثمان « يا بني أمية تلغفوها تلغف الكرة
فوالذي يحلف به أبو سفيان ما من عذاب ولا حساب ولا جنة ولا نار ولا ميث ولا قيامة »

وبروي صاحب العقد الفريد ان النبي ﷺ توفي وابو سفيان غائب فلما بلغه بيعة ابي بكر قال - اني ارى غيرة لا يطفئها الا دم . فلما قدم المدينة جعل يطوف في ازقتها وهو يقول

بني هاشم لا يطمع الناس فيكم ولا سيما تميم بن مرة او عدي
فما الا امر الا فيكم واليكم وليس لها الا ابو حسن علي
فقال عمر لا ابي بكر - ان هذا قد قدم وهو فاعل شرأ ، وقد كان
النبي ﷺ يستألفه على الاسلام . فدع له ما بيده من الصدقة ، ففعل
ابو بكر فرضي ابو سفيان وبابعه (١) »

ولما رأى علي رأس الفتنة قد ذرّ قرنه ورأى ارتداد البعض عن الاسلام وقلة المسلمين وإحاطة العدو بهم - تفاضى عن الطلب بحقه وقال « والله لا سألن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها الا جورٌ علي خاصة (٢) » ثم قام مع ابي بكر (رض) بجاهد المرتدين في الجزيرة ، وبنصح المسلمين بجنده وتبعه على ذلك عمه العباس القائل « والله لولا ان الاسلام قيد الفتك لندكدكت جنادل صخر (٣) »

وكذلك تبعه سائر بني هاشم وجماعة الشيعة من الصحابة أمثال سلمان وعمار والمقداد وابي ذر وغيرهم ممن اعتقدوا قبلئذ « ان الخلافة يجب أن تكون في سلالة الرسول » لكن بعد ابيهم علي عليه السلام فليس اعتقادهم ذلك من يوم خلافة عمر (رض) كما يظهر من كلام الرحالة المتقدم . بل قد عرفت انهم يعتقدونه من يوم « غدير خم » على ان خلافة الثاني كانت محكمة بنص من الأول لم يمارض فيها سوى طلحة وقر قليل . وكلمة طلحة لأبي بكر قبيل وفاته مذكورة في التاريخ مشهورة لا نخب

(١) مجلد ٣ صفحة ٦١ منه (٢) مجلد ٢ صفحة ٦٠ من شرح النجاشي

(٣) مجلد ١ صفحة ٧٣ من الترح

ذكرها لخشونتها : وانما نذكر لك كيف كانت

❖ وفاة ابي بكر وبيعة عمر ❖

وقد اختلف في سبب وفاته فقيل ان اليهود سمته في أرز وقيل في حسو .
« وعن عائشة (رض) انه اغتسل وكان يوماً بارداً فحم خمسة عشر يوماً ثم
توفي لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ١٣ هـ وكانت خلافته سنتين وثلاثة
أشهر وعشر ليال (١) » وقولها هو الأصح لأنها اعلم بحال ابيها
ولا بن الطقطقي قول في سبب وفاته فقد تفرد به (على الظاهر) انظره
ص ٨٧ من كتابه الفخري في الآداب السلطانية .

وعلى كل فقد قضى ايام خلافته في جهاد المرلدين والروم والفرس ايضا
ونشر كلمة الاسلام في الجزيرة . وبقي يمد الجيش الاسلامي الى اليوم الذي
توفي فيه وفي الساعة التي توفي فيها « احضر عثمان بن عفان وقال له اكتب —
هذا ما عهد ابو بكر بن ابي قحافة الى المسلمين اما بعد ثم أغمي عليه فكتب
عثمان — اما بعد فاني قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ولم ألكم خيراً ، ثم
أفاق ابو بكر وامضى كتابه عثمان (٢) »

« ولقد شكوا المهاجرون والأنصار من عمر . . وقال بعضهم أمّرتهم
عام اول وأمّرك العام . وكره اهل الشام خلافته في بدء الأمر (٣) » ولارباب
انهم امسوا — بعد ذلك — يحبونها كثيراً . لأنه قام بأعباء الخلافة .
ووسّع الفتوح الاسلامي وقال الاسلام في عهده عزاً ومنعة . وفضل الاشراف
على غيرهم في قسمة الغنائم فرضي عنه من كان يشكوه . ورضي عنهم وعن
الذين اسخطوه من قبل سوى خالد بن الوليد لأن « أول كتاب كتبه عمر
الى أبي عبيدة بن الجراح بتولية الجند وعزل خالد لأنه كان عليه مآخطا

(١) مجلد ١ صفحة ١٥٨ من تاريخ ابي الفداء (٢) مجلد ٢ صفحة ١٦٣

من ابن الاثير (٣) مجلد ١ صفحة ١٩ من الإمامة والسياسة

في خلافة أبي بكر كلها لوقعته باين نوبة وما كان يعمل في حروبه (١) وأول ما تكلم به عمر عزل خالد وقال لا يلي لي عملاً ابداً (٢) « ولكنه ابقاء في الجيش لشجاعته وبطولته

أما معاوية — الذي عده الرحالة من القواد — فما عرف بالشجاعة ، ولا ظهر له أثر في الحروب ، ولا تولى قيادة الجيوش في أيام الأول والثاني (رض) ولما تولى القيادة في صفين واشتدت الحرب ركب فرسه وفر أو هم بالفرار (٣) وقد عرض النجاشي الشاعر بهذه القصة فقال

ونجسى ابن حرب سابح ذو غلالة أجش هزيم والرماح دواني
و« كان معاوية يقول بعد ذلك لبني أمية — دعوني فوالله ما ذكرت عيونهم — أي بني هاشم — تحت المغافر في صفين إلا لبس على عقلي (٤) » فقول — الرحالة « بفضل قائدیه خالد ومعاوية » من بدیهیات الاخطاء

❖ وفاة عمر وبيعة عثمان ومقتله ومن حرص عليه ومن قتله ❖

قلنا أن بيعة عمر (رض) كانت سنة ١٣ هـ . وأما قتله فكان آخر ذی

(١) كأنه يشير إلى ما ذكره أبو الفداء مجلد ١ صفحة ١٤٥ من تاريخه من

قتل خالد لبني خزيمه بعد أن امنهم لأنهم كانوا قتلوا عمه في ايام الجاهلية فراجع

(٢) مجلد ٣ صفحة ١٦٤ من ابن الاثير وقد ايده المسمودي مجلد ١ صفحة ٤٢٢

من مروج الذهب بقوله — وقد كان في نفس عمر على خالد اشياء من ايام أبي بكر في قصة مالك بن نويرة وغير ذلك « وقصة مالك معروفة مشهورة في التاريخ ذكرها أبو الفداء مجلد ١ صفحة ٥٥٨ من تاريخه مفصلة وذكر قول أبي خنير السعدي

قضى خالد بنياً عليه بعمره وكان له فيها هوًى قبل ذلك

فأضى هواه خالد غير مالك عنان الهوى عنها ولا مثالك

ومن اغرب ما اعتذر به عن خالد قول ابن زيد شبلي « ولعل خالد اوقد قتل زوجها رأى ان يجر كمرها وان يخفف عنها مصيبتها فتزوجها جبراً لها مما اصابها وتطيبها لاطرها » انظر صفحة ١١١ من كتابه تاريخ خالد

(٣) انظر مجلد ١ صفحة ٤٩١ من شرح التهج (٤) مجلد ٢ صفحة ٥٥٥ من

مروج الذهب

الحجة سنة ٢٣ هـ قتله ابو لؤلؤ غلام المغيرة بن شعبة . وكان نصرانياً وقيل مجوسياً — وكانت مدة خلافته عشر سنين ونصف سنة وقد جعلها — من بعده — شورى (١) بين خمسة نفر أو سنة ولكنه قيدهم برأي أحدهم عبدالرحمن ابن عوف صهر عثمان وكيفما كان فقد بوبع عثمان (رض) في ٣ من المحرم سنة ٢٤ هـ وقيل في آخر ذي الحجة سنة ٢٣ هـ وقتل آخر سنة ٣٥ هـ بيد زعماء المصريين يومئذ كما سنبينه ان شاء الله .

وكان محبوباً في السنين الأولى من خلافته التي دامت اثنتي عشرة سنة وهي مدة طويلة لا يقال فيمن قضاها « انه جاء ثم قتل عاجلاً » كما قال معلم الآداب في مصر ورحالة القرن العشرين الذي اخترع في التاريخ « ان الذين حرضوا على قتل عثمان وأيدوا علياً هم الخوارج » مع ان افظ الخوارج لم يسمع ولم يوجد أيضاً إلا بعد مضي سنين على قتل عثمان وبيعة علي ومع ان التاريخ يحدثنا بأن الذين حرضوا على قتل عثمان وخذلوه هم من اكبر الصحابة والتابعين في المدينة المنورة .

يحدثنا ابن الاثير انه « كتب جمع من أهل المدينة من الصحابة إلى من في الآفاق منهم — إن اردتم الجهاد فاهلموا اليه فإن دين محمد ﷺ قد أفسده خليفةكم (٢) »

وبقول الطبري ابن جرير « وكتب أهل المدينة إلى عثمان بدعونه إلى »

(١) الشورى من افضل النظم الانتخابية إذا استعملت بمناتها الحقيقي الواسع وقد أمر بها النبي (ص) (وشاورهم بالأمر) ولكن معاوية يرى « انه لم يشق بين المسلمين ولا فرق اهواءهم إلا الشورى التي جعلها عمر إلى سنة نفر انظر مجلد ٣ صفحة ٧٢ من العقد الفريد » وأرى ان هذه الشورى — وان خلقت طمع طلحة والزبير بالخلافة وسميها لها — خير من تلك السنة التي سنها معاوية في ولاية العهد وحصر الإمرة بمنزله يزيد وحرمان ابناء المهاجرين والأنصار

(٢) مجلد ٣ صفحة ٦٥ من تاريخه

التوبة ويحتجون ويقسمون له بالله لا يسكون عنه أبداً حتى يقتلوه أو يعطيهم ما يلزمه من حق الله (١) « فكتب عثمان إلى معاوية « أما بعد فإن أهل المدينة قد كفروا وأخلفوا الطاعة ونكثوا البيعة فابعث إلي من قبلك من مقاتلة الشاة ، فلما جاء معاوية الكتاب ترصد به وكره (?) إظهار مخالفة أصحاب رسول الله ﷺ وقد علم اجتماعهم (٢) »

ويروي ابن عبد ربه الأندلسي ما بين السر في خذلان الصحابة لعثمان حيث يقول « روي انه سئل سعيد بن المسيب كيف قتل عثمان ؟ ولم خذله أصحاب محمد ﷺ ؟ فقال قتل عثمان مظلوماً ومن خذله كان معذوراً قيل له وكيف ذلك ؟ قال لأن عثمان كان يحب قومه ، وكان كثيراً ما يولي بني أمية ممن لم يكن له في رسول الله ﷺ صحبة وكان يجي من أمرائه ما يكره أصحاب محمد ﷺ فكان يستعقب فيهم فلا يعزلهم (٣) »

وقالت السيدة عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما لروان بن الحكم لما طلب منها إصلاح أمر عثمان مع الصحابة وعدم خروجها من المدينة « ولعلك تظنني اني في شك من صاحبك أما والله لو ددت انه مقطع في غرارة من غرائري واني أطيق حمله فأطرحه في البحر (٤) » وقد كان عبد الرحمن بن عوف - وهو الذي عقد البيعة لعثمان - أول من اجترأ عليه كما بحدثنا الطبري في مقام ذكر المفتتح للجرأة على عثمان بقوله « قدمت إبل من إبل الصدقة على عثمان فوهبها لبعض بني الحكم . فبلغ ذلك عبد الرحمن فأرسل من أخذها له فقسمها في الناس وعثمان في الدار (٥) »

ولما عوتب عبد الرحمن في أمر عثمان « وقيل له هذا كله فعلك قال -

(١) مجلد ٥ صفحة ١١٦ من تاريخه (٢) مجلد ٥ صفحة ١١٥ من تاريخ

الطبري (٣) ج ٣ ص ٢٩ من العقد الفريد (٤) ج ١ ص ٦ من عصر المأمون

(٥) ج ٥ ص ١١٣ من الطبري

لم أكن أظن به هذا ولكن الله علي أن لا أكله أبداً . فمات عبد الرحمن وهو مهاجر لعثمان . ولما دخل عليه عثمان عائداً تحول عنه إلى الحائط ولم يكلمه (١) »

وأما عمرو بن العاص فكان من أشد الناس تحريضاً على عثمان وطعناً به وإن لم يشهد مقتله مع الصحابة (٢) بقول الطبري « كان عمرو بن العاص عاملاً لعثمان على مصر فعزله . فلما قدم المدينة جعل يطعن على عثمان فقال له عثمان يا ابن النابغة أقم جرباً أن جيبك ؟ فخرج عمرو من عنده وهو محتقد عليه بأني عليا مرة والزبير وطلحة مرة يؤلبهم على عثمان ويعترض الحاج فيخبرهم بما أحدث عثمان ، فلما كان الحصار الأول خرج من المدينة إلى أرض له بفلسطين يقال لها السبع فيبينا هو جالس في قصره إذ مر به راكب فناداه عمرو من أين ؟ قال من المدينة ، قال ما فعل الرجل يعني عثمان ؟ قال قتل قال أنا أبو عبد الله إذا حككت قرحة نكأها . إني كنت لأحرض عليه حتى الراعي في غنمه في رأس الجبل . فقال له سلامة بن روح الجذامي إنه كان بينكم وبين العرب باب فكسرتوه قال عمرو إنا أردنا أن نخرج الحق من حافة الباطل (٣) » وعمرو هو القائل لتلك الكلمة الشهيرة « اتق الله يا عثمان فإنك ركبت بنا نهاير (٤) وركبناها معك فتب إلى الله (٥) »

ولم يقصر طلحة في التأييد والتحريض بل قد زاد على ابن العاص بمناجاته لرؤساء المصريين الذين باشرُوا قتل عثمان (رض) « قال عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة دخلت على عثمان فأخذ بيدي

(١) ج ٣ ص ٧٣ من العقد الفريد وج ١ ص ١٦٦ من أبي الفداء

(٢) يقول ابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٣١ من ترح النهاج « سئل أبو سعيد الخدري

هل شهد مقتل عثمان أحد من الصحابة ؟ قال نعم شهد ثمانية »

(٣) ج ٥ ص ١٠٨ من تاريخه

(٤) هي المالك (٥) مجلد ٥ صفحة ١١١ من الطبري

وأسمعني كلام من على بابه فمنهم من يقول ما تنتظرون ؟ ومنهم من يقول —
انظروا عسى أن يراجع . قال فبينما نحن واقفون إذ مرَّ طلحة فقال أين ابن
عديس ؟ فقام إليه فواجه ثم رجع ابن عديس فقال لأصحابه لا تتركوا أحداً
يدخل على عثمان ولا يخرج من عنده فقال لي عثمان هذا ما أمر به طلحة
اللهم اكفني طاعة فإنه حمل علي هولاء القوم وألبهم وإني لأرجو أن يكون
منها — أي الخلافة — صغراً (١) »

ويقول ابن قتيبة « ان طلحة قال للمحاصرين لعثمان — إن عثمان
لا يبالي ما حصرتموه وهو يدخل عليه الطعام والشراب فامنعوه الماء ان يدخل
عليه ولما أتى علي بالماء لعثمان قال طلحة لعلي ما أنت وهذا وكان بينهما
كلام شديد (٢) »

وبروي ابن أبي الحديد « ان طلحة كان مقنعاً — يوم قتل عثمان —
بشوب قد استتر به عن اعين الناس يرمي الدار بالسهم . وان الزبير قال —
ساعتئذ — اقتلوه فقالوا له إن ابنك يحامي عنه بالباب فقال ما اكراه أن
يقتل عثمان ولو بدى بابني الخ (٣) »

وعلى الأجمال « فإن من يتصفح أحوالهم وما كان يبدو على السنتهم من
الكلمات الشديدة المؤلمة في حق عثمان سواء في وجهه وفي غيبته بحكم ان
النفوس انطوت على مكروهه . حتى كانوا يلقبونه نعثلاً (٤) »

وبعد فإننا نجتزئ* بذكر هذه الكلمات بدون محاكمة وبغير تحليل لأننا
لسنا الآن بصدد التخطئة لزيد أو التصويب لعمره ، وليس غرضنا من ذكرها
التشهير بأحد أو القاء التبعة على آخر ، وإنما غرضنا منه الاستدلال على ان

(١) مجلد ٣ صفحة ٦٧ من ابن الأثير ومجلد ٥ صفحة ١٢٢ من الطبري

(٢) مجلد ١ صفحة ٣٥ من الإمامة والسياسة (٣) مجلد ٢ صفحة ٤٠٤ من

شرح النهج (٤) صفحة ٣٩١ من محاضرات الشيخ محمد الخضري المصري

الذين حرضوا على قتل عثمان وخذلوهم من الصحابة وفي مقدمتهم السيدة عائشة (رض)

وأما الذين باثروا قتله فهم المصريون الذين «رجعوا من البويع ويدهم الصحيفة التي أخذوها من غلام عثمان وفيها حث على حبسهم وجلدهم وحلق رؤوسهم ولحاهم وصلب بعضهم». وقيل ان الذي أخذت منه الصحيفة هو ابو الاعور السلمي ولما وصلوا المدينة اجتمعوا حول الدار: واجتمع معهم حكيم ابن جبلة في ركب من البصرة، والاشتر النخعي في أهل الكوفة واعتزل الاشر عنهم فاعتزل حكيم بن جبلة. وكان ابن عديس المصري واصحابه هم الذين يحصرون عثمان فأقاموا على حصاره تسعة واربعين يوماً حتى قتل: وكان عدد المصريين ألفاً على ما قيل وكان رئيسهم ابن حرب الغافقي العسكي وهو الذي تولى القتل وبأشره مع سودان بن حمران وكنانة بن بشر النجيب من المصريين. وقيل ان الخليفة قضى بضربة التجبي لقول الوليد بن عقبة بن أبي معيط في رثاء عثمان من جملة أبيات

ألا ان خير الناس بعد ثلاثة قتيل التجبي الذي جاء من مصر

وقول الفضل بن عباس في جوابه

فلو رأيت الأناصير ظلم ابن أمكم
بزعكم كانوا له حاضري النصر
كفى ذاك عيباً أن بشيروا بقتله
وأن يسلموه للأحابيش من مصر (١)

وقول الفضل هذا يدل على رضا الأناصير بالقتل وهم من الصحابة يومئذ لا من الخوارج وعلى كل فالذي بهمنا أن نعرف كيف كانت

❖ بيعة علي ومن بابه وأبده؟ هل هم الصحابة أم الخوارج؟ ❖

.. عرفت ان المحرضين على عثمان هم من الصحابة بنص التاريخ،

(١) مجلد ٣ صفحة ٦١٦ و٦١٧ و٦١٨ من تاريخ ابن الاثير ومجلد ٥ صفحة

١٢٢ من تاريخ ابن جرير الطبري بتأخير وتصرف

وان الذين بائسوا قتلهم من أهل مصر وهو لاء أجمع ليسوا بخوارج
بالتفاق المسلمين -

أما الدافع «لارحالة» على قوله «وكان الخوارج هم الذين حرضوا على
قتل عثمان وأبدوا علياً» فذلك مما لم يعرفه أنا وأنت أيضاً . إذ يحتمل ان
يكون الخط مباشرة من خلافة علي - أو تقليداً لمن قال قبله من المصريين
«والخوارج وإن تجاهروا ببديئهم السيامي فد اشتركووا في تدبير هذه الجريمة
أو على الأقل حرضوا على ارتكابها : ثم كانوا بعد ذلك عوناً لعلي في
تولي الخلافة (١)»

ويحتمل ان يكون الدافع ستمظامه أمر التحريض وعدم قبوله بأية
مبرر لتحريض أو تلك الصحابة على خليفة المسلمين ثم إلحاقهم على علي بقبول
البيعة بعد قتل الخليفة بتقديمهم طلحة والزبير وهذا الدافع - إن صح -
لا يلام عليه لأنه كعاطفة نفسية تشور في كل مسلم اطلع على تلك الحادثة
انثار بخرية الأئمة . وإنما يلام على جعل جميع المخرضين خوارج وفيهم طلحة
والزبير حوارى الرسول ﷺ وشريكتهما أم المؤمنين : وكذلك على جعل
جميع الذين أهدوا علياً وباعوه خوارج وفيهم (سيدا شباب أهل الجنة) و(حبر
الامة) و(عمار الطيب المطيب) و(ذو الشهادتين) وغيرهم من الأصحاب
على أنف علياً (ع) لم يقبل من أحد أن يبدأ - يومئذ - أليس هو القائل
لما ريد على البيعة «دعوني والتمسوا غيري» ؟ أليس هو الذي أرسل الماء
إلى عثمان يوم شدد عليه الحصار وعارضه طلحة بكلام شديد؟ وأرسل ولده
الحسين وولاه قنبراً للدفاع عن عثمان «حتى جرح الحسن في سبيل عثمان
ونصبغ بالدم وشج رأس قنبر في هذا السبيل (٢)» أليس هو الذي بذل

(١) صفحة ١٥ من كتاب «تاريخ الجمعيات السرية»

(٢) «٣» مجلد ٣ صفحة ٨١ من المقد الفريد ومجلد ١ صفحة ١٧٠ من ابى الفداء

جهده في إصلاح ذات البين حتى اخذ عهداً من عثمان للمتألمين عليه فرجعوا إلى بلادهم معتقدين في ان مطالبهم ستنجز — ومن جماعتها إبعاد مروان عن عثمان . ولكن مروان — لما عز عليه التخلي عن الإمرة — راح بعمل لرد قريبه عثمان عن رأيه وعهده (١) فتم له ذلك ثم زوّر كتاباً على قريبه وضع فيه ما يقتص به من أولئك الذين طلبوا إبعاده عنه . ولكن التزوير قد ظهر وقبض المصريون على حامل الكتاب المزور . وما لبثوا حتى عادوا إلى المدينة وحاصروا الخليفة وقتلوه .

« فاجتمع (وقتئذ) طلحة والزبير والمهاجرون والأ نصار وأتوا علياً باباعونه فأبى (٢) ذلك وقال أكون وزيراً خيراً من أن أكون أميراً ومن اخترتم رضيته فألحوا عليه وقالوا لا نعلم أحق منك ولا نخشاك غيرك حتى غلبوه . في ذلك فخرج إلى المسجد وباعوه وأول من باع طلحة والزبير (٣) »
هذا نص ابن خلدون وهو أقوى دليل على ان الذين أهدوا علياً وباعوه هم الصحابة وغيرهم من المهاجرين والأ نصار لا الخوارج الذين لم يكن لهم

(١) يقول الطبري مجلد ٥ صفحة ١١٢ من تاريخه « كان مروان بن الحكم يدخل على عثمان فلم يزل يفتله في الذروة والغارب حتى قتله عن رأيه وأزاله عما كان يريد »
(٢) وقال عليه السلام « دعوني والتمسوا غيبي فإننا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان لا تقوم له القلوب ، ولا تثبت له العقول ، وإن الأفاق قد أغامت والمحجة قد تشكرت ، واعلموا إن اجبتكم ركبت بكم ما أعلم ، ولم اصغ إلى قول القائل وعنب العاتب » قال المرحوم الشيخ محمد عبده — المحجة الطريق المستقيم ، تشكرت أي تغيرت علانيتها فصارت مجبولة وذلك ان أهل الاطماع كانت قد انتهت في كثير من الناس على عهد عثمان بما نالوا من تفضيلهم بالعطاء ، فلا يسهل عليهم فيما بعد ان يكونوا في مساواة مع غيرهم فلو تنازلوا لهم عدل الإمام افلتوا منه وطلبوا طائش الفتنة طعماً في نيل رغباتهم . وأؤكدك هم أغلب الروساء في القوم ، فإن أقرهم الإمام على ما كانوا عليه من الامتياز في العطاء فقد أتى ظلماً وخالف شرعاً ، فأين المحجة للوصول إلى الحق على امن من الفتن ، وقد كان بعد بيعته ما تفرس به قبلها — انظر مجلد ١ صفحة ١٩٠ من نهج البلاغة الذي عليه شرح الشيخ المذكور (٣) مجلد ٢ صفحة ١٥٠ من تاريخ ابن خلدون

اسم في ذلك الوقت . حتى ان رؤساءهم كانوا يوءمئذ من أطراف الناس لاشخصية لهم ولا عشيرة كبيرة يستعينون بها على قتل خليفة وتنصيب خليفة بغير رضا للمهاجرين والأأنصار أهل الحل والعقد والطول والحول .

نعم « بابع المهاجرون والأأنصار علياً عليه السلام في مسجد المدينة وبأبهم الناس إلا نفرأ بسيراً كان جلهم من ولاة عثمان على الأمصار (١) »

وكان أول من بأبهم طلحة والزبير — كما قال ابن خلدون — وهما اللذان أشارا على الناس ببيعته ورضيا به أولاً يخبرنا ابن قتيبة « ان الزبير قام بعد قتل عثمان — وقال إياها الناس إن الله قد رضي لكم بالشورى وقد تشاورنا فريضنا علياً فبأبعوه . وأما قتل عثمان فإننا نقول فيه امره إلى الله . وقد أحدث احداثاً والله وليه . فقام الناس فأتوا علياً في داره وقالوا مد يدك نبأبعك انت احق بها (٢) »

ويؤيده ابن عبد ربه الأندلسي بما رواه عن حصين عن الاحنف بن قيس « قال قدمنا المدينة نريد الحج فانطلقت فأتيت طلحة والزبير فقلت لهما — إني لا ارى هذا إلا مقتولا فمن تأمراني به كما ترضيانه لي . قالوا تأمرك بعلي بن ابي طالب . قلت تأمراني به وترضيانه لي قالوا نعم . قال ثم انطلقت حتى أتيت مكة فبينما نحن فيها إذ اتانا قتل عثمان فانطلقت إلى عائشة في مكة . فقلت من تأمرني ان ابابع قالت علي بن ابي طالب . قلت اتأمرني به وترضيته لي قالت نعم . فمررت على علي بالمدينة فبأبعته ثم رجعت إلى البصرة فما راعنا إلا قدوم عائشة وطلحة والزبير قد نزلوا جناب الحربية (٣) »

هذه بعض نصوص التاريخ الصحيح تقدمه كدليل فاضح لتلك الأقوال الملفقة والشبه المصطنعة حول مقتل عثمان وبيعة علي . ولولا تلك الأقوال —

(١) مجلد ٥ صفحة ١٥٢ من تاريخ ابن جرير الطبري

(٢) مجلد ١ صفحة ٤١ من الإمامة والسياسة

(٣) مجلد ٣ صفحة ٩٨ من عقد الفريد

والشبه بل لولا وجود من يعتمد عليها وبوقوع على نعمها البغيض في عصرنا هذ
لما نعرضنا لبحث الخلافه وسقنا تلك الشواهد التاريخية التي لا تخلو من
كلمات جارحة :

ولست التبعة في ذلك علينا وإنما هي على من اضطرنا إلى الاستشهاد بذلك
الكلمات على إيضاح أخطائه . وهكذا شأننا في كل الشواهد الماضية والآتية
التي اضطرنا إليها الموضوع أو الاستشهاد فحسب . وهل يوسع أحد من اضطر
إلى التاريخ إلا أن يرويه بالفاظه مما حوته من قساوة المعنى . ومع ذلك فقد
ابتمدنا قدر المستطاع عن كثير من الكلمات الخسنة : وبعد فلننتقل بك إلى

❦ دراسة ثابت المصري التاريخية ❦

لعلك تجد فيها لذة جديدة غير تلك اللذة الأولى . ولعل (على ما اذكر)
للترجي والترجي هو كالتمني لا يدرك كله : فلذلك لا أضمن لك اللذة
الجديدة سيف قول الرحالة « بايع الناس الحسن بن علي وكان معاوية قد بوبع
في الشام فزحف لقتال الحسن ، وتأهب الحسن للقتال في العراق لكن ثار عليه
جنوده فهادن معاوية وتنازل له عن الخلافة وفر » وقتل (?) ثم بايع الجميع
معاوية إلا الخوارج والشيعه وقد اجتمعوا حول الحسين بن علي في مكة فقتله
جنود معاوية (?) سيف كربلاء هو وأفراد أسرته وأتباعه جميعاً إلا ابن واحد
للحسين قد أمكنه الهرب (١) »

روى ثابت هذه الحوادث التاريخية بإيجاز وأظهرها بصور الحقائق الراهنة
وحكم فيها بفرار الحسن بن علي وقتله . وبنصر ابن واحد للحسين من جنود
معاوية بكربلاء ومشى كالظافر الفاتح :

ولكنه أبقانا تساءل إلى أي جهة كان فرار الحسن وفي أي مكان قتل ؟

ومن قتل؟ وفي أي سنة كان قتله؟ ومن هو الذي أمكنه الهرب من أبناء الحسين عليه السلام وهذا ما دعانا للإضافة قليلا في الجواب عن هذه الأسئلة «بالإذن» من الرحالة مجملين مقتل علي وشبيه عليهم السلام وبيان من قتلوه وفي أي مكان قتلوا؟ وفي أي سنة؟ مبتدئين في

﴿مقتل علي ومدفنه وإثبات محله﴾

ولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) في البيت الحرام (١٣ رجب سنة ٣٠ من عام الفيل) وتوفي شهيداً في الكوفة ليلة ٢١ من شهر رمضان سنة ٤٠ هـ ضربه عبد الرحمن بن ملجم المرادي (١) غيلة بالسيف في مسجد الكوفة العظيم وهو بصلي صلاة الصبح ليلة ١٩ من شهر الصيام ٠ وحمل نعشه الشريف ليلاً حمله بنوه وخلص أصحابه إلى الغري ودفنوه هناك بحسب مقامه الآن في مدينة النخف الأشرف وعليه قبة كبيرة عالية شطاة بالمدن الوهاج من الخارج ٤ وفي داخلها نقوش بديعة وآثار ثمينة لا يسع المقام إيراد وصفها :

وقد كثرت الأقاويل والتخرصات حول المكان الذي دفن فيه عليه السلام

(١) ورد في ذم ابن ملجم من الأحاديث الشيء الكثير وإليك ما جاء في (ج ٣ صفحة ١٢٣) من العقد الفريد «قال النبي» (ص) لعلي بن أبي طالب - ألا أخبرك بأشد الناس عذاباً يوم القيامة قال أخبرني يا رسول الله - قال إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة عاقر ناقة ثمود . وخاضب لحية من دم رأسك «وفي ج ١ ص ٨٨ من تهذيب الكامل للهيروld «انه قال (ص) لعلي - أشقى الناس إنسان أهرج أجود الذي نقر الناقة - والذي يخضب هذه ووضع يده على لحية علي» وفي ج ١ ص ١٣٥ من تاريخ المطيب البغدادي لبغداد عن جابر بن سمرة انه (ص) قال لعلي من أشقى الأولين؟ قال عاقر الناقة - قال فمن أشقى الآخرين؟ قال الله ورسوله أعلم . قال هو قاتلك وروى ابن حجر صفحة ٧٦ من صواعقه ما تقدم وروى عن عائشة (رض) أنها قالت رأيت النبي (ص) التزم علياً وقبله وهو يقول بأبي الوحيد الشهيد

كما كثرت حول حمل النعش الشريف (١)

وإنا نستغني عن الإطالة بذكر تلك الأقوال وتنفيدها ، بذكر هذه الكلمة المنصفة لابن أبي الحديد المعتزلي الذي أصاب بها سدرة الصواب حيث يقول « وما بدعيه أصحاب الحديث من الاختلاف في قبره (أي قبر علي) وأنه حمل إلى المدينة ، أو أنه دفن في رحبة الجامع ، أو عند قصر الإمارة ، أو ند البعير الذي حمل عليه فأخذته الاعراب — باطل كله لا حقيقة له ، وأولاده أعرف بقبره ، وأولاد كل الناس أعرف بقبور آبائهم من الأجانب . وهذا القبر هو الذي زاره بنوه لما قدموا العراق منهم جعفر بن محمد الصادق (ع) وغيره من أكابرهم وأعيانهم (٢) »

وقال في مكان آخر « إن عليا عليه السلام لما قتل قصد بنوه أن يخفوا قبره خوفا من بني أمية أن يحدثوا في قبره حدثا ، فأوهموا الناس في موضع قبره تلك الليلة — وهي ليلة دفنه — إبهامات كثيرة . ثم قال : ولم يعلم دفنه في الحقيقة إلا بنوه والخواص المخلصون من أصحابه فأنهم خرجوا به عليه السلام وقت السحر في الليلة الحادية والعشرين من شهر رمضان . فدفنوه على النجف في الموضع المعروف بالفري بوصاة منه عليه السلام وعهد كان عهد به إليه وعمى موضع قبره على الناس واختلقت الأراجيف في صبيحة ذلك اليوم اختلافا شديدا واقتربت في موضع قبره الشريف وتشتبت (٣)

(١) من تلك الأقاويل الملفقة التي لا يعتمد عليها الشيعة ولا يروونها أحد منهم : قول الرحالة المصري « وللقوم قصة يروونها عن نشأة النجف هي أنه لما قتل علي في الكوفة حملت جثته على جمل اطلق في الصحراء فأخذ يسير على غير هدى حتى وصل ربوة تطل على بحر النجف فبرك الجمل وهنا دفن القوم الجثة الطاهرة واخفوها خشية أن يلعنوا أعداؤهم »

(٢) ج ١ صفحة ٥ من شرحه على النهج

(٣) ج ١ ص ٣٦٤ من شرح النهج

— * بيعة الحسن ومقتله ومن قتله * —

وكان علي (ع) قد « اوصى إلى ولده الحسن فبايعت الشيعة كلها ما وتوقف أناس ممن كان يرى رأي العثمانية (١) » وكانت خلافته العامة سنة أشهر واباما وخلافته الخاصة بالشيعة تسع سنين وأشهرًا . وقد تجرع مرارة الصبر على أعمال جنده المضطرب المقسم المشتمل على كثير من اعداء ابيه . وتحمل قوارص العتاب من خاص الاصحاب بعد المواعدة حتى قال بعضهم « السلام عليك يا مذل المؤمنين »

ولقد صبر عليه السلام على اشد من ذلك كله يوم خطب معاوية وقال (كل شيء اعطيته الحسن بن علي تحت قدمي هاتين لا افي به (٢)) وما اعطاه من الشروط « أن لا يشتم علياً عليه السلام فلم يجبه معاوية إلى الكف عن شتم علي . فطاب منه أن لا يشتم علياً وهو يسلمه فأجابه إلى ذلك ثم لم يف له به ايضا (٣) » فالتجأ إلى أن (توجه من الكوفة في عياله وحشمه إلى المدينة المنورة . وخرج اهل الكوفة لوداعه باكين لفراقه (٤)) ولم يزل مقبلاً بالمدينة إلى ان توفي فيها (٥) »

وكان يأخذ الاموال الطائلة وهو في المدينة من معاوية ويفرقها على المعوزين « واقد اعطاه معاوية مرة ثلاثمائة الف . فاستعظم ذلك يزيد بن معاوية — واستكثره فقال له معاوية — يا بني إن الحق حقهم فمن أناك منهم فاحث له (٥) » وبقي في المدينة إلى أن « توفي سنة ٤٩ هـ من سم سقته إياه زوجته جمعدة بنت الاشعث بن قيس ، قيل فعلت ذلك ، بأمر معاوية وقيل بأمر يزيد بن معاوية وعداها أن يتزوج بها إن فعلت ذلك فسقته السم وطالبت يزيد أن يتزوجها فأبى . وكان الحسن قد اوصى أن يدفن عند جده عليه السلام فلما توفي

(١) جزء ١١ ص ١١٦ من الاغانى (٢) ص ٤٨ من مقاتل الطالبين (٣) ج ٣ صفحة ١٦٦ من ابن الاثير (٤) صفحة ٦٧ من تحفة الأنام للشيخ عبدالباسط الفاخوري (٥) ج ٤ صفحة ٥ من شرح النهج

أرادوا دفنه هناك فمنع مروان بن الحكيمة . وكاد أن يقع بين بني أمية وبين بني هاشم فتنة فقاتل عائشة (رض) البيت بيتي ولا آذن أن يدفن فيه فدفن بالبقيع . ولما بلغ معاوية موت الحسن خراً ساجداً فقال بعض الشعراء
 أصبح اليوم ابن هند شامتاً ظاهر النخوة إذ مات الحسن
 ولما منع مروان من دفنه قال له أبو هريرة — ائتمنع الحسن أن يدفن في هذا الموضع وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ، فقال له مروان دعنا منك . لقد ضاع حديث رسول الله ﷺ إذ كان لا يعرفه غيرك (١) »

وقضية السم لا خلاف فيها كما لا خلاف في أن جمعة بنت الأشعث هي المباشرة له ولكن الخلاف قد وقع في الأمر بالسم فردده أبو الفداء بين معاوية وبين ابنه يزيد . ولكن المسمودي يرجح « أن الذي حمل جمعة بنت الأشعث على سم الحسن هو معاوية . دس إليها أنك إن احتلت في قتل الحسن وجهت إليك بمائة ألف درهم وزوجتك يزيد، فكان ذلك الذي بعثها على سمه . فلما مات وفي لها بالمال وأرسل إليها : أنا نخب حياة يزيد ولولا ذلك لوفينا لك بتزويجه (٢) »

وقد أبدى أبو الفرج الاصبهاني بقوله « ودس معاوية إليه وإلى سعد بن أبي وقاص — حين أراد أن يعهد إلى يزيد بعده — سافعتا منه في أيام مقاربة . وكان الذي تولى ذلك من الحسن (ع) زوجته بنت الأشعث (٣) » ومن الجائز أن يكون كل منهما قد أمرها بسمه ووعدا بالجائزة لأن الغاية مشتركة بينهما والنفع عائد إليهما: ويكون أمر الثاني لها كيداً لأمر الأول : فأتت إذا علمت — مما تقدم — أن الحسن (ع) لم يكن « فر يوم

(١) ج ١ صفحة ١٨٣ من أبي الفداء وج ٣ صفحة ٦٦ و ١٢٦ من العقد الفريد

(٢) ج ٢ صفحة ٥٠ من مروج الذهب (٣) صفحة ٣٣ من مقاتل الطالبين

هادن معاوية ولا قتل» يومئذ وإنما قتل في مدينة جده والتاريخ بعد أن أقام فيها ما ينوف عن تسع سنين — تحكم معنا بلا شك — أن قول الرحالة (فر وقتل) من قبيل قول بعضهم (إن علياً قتل في غزاة حنين (١))

وهكذا قوله «ثم بايع الجميع إلا الشيعة وقد اجتمعوا حول الحسين فقتله جنود معاوية في كربلاء» فكأنه تخيل أن نهضة الحسين كانت في أيام معاوية حتى قال «فقتله جنود معاوية» مع أن النهضة الحسينية كانت بعد موت معاوية ومع أن الشيعة بايعوا — على مريض — معاوية ولم يتخلف يومئذ سوى قيس بن سعد بن عباد (٢) ولكنه بايع أخيراً بأمر سيده الحسن بن علي عليها السلام «وكانت بعة قيس لمعاوية والسيوف أو الرمح بينهما لان قيساً كان حلف أن لا يلقي معاوية إلا والسيوف أو الرمح بينهما . فبحثا معاوية على سريره وأكبَّ على قيس حتى مسح يده على يده فما رفع قيس إليه يده (٣)

(١) هذه العبارة من قصة ذكرها المسعودي - ج ٢ صفحة ٧٣ من مروج الذهب إليك إجمالها « قال قال لي رجل من أهل العلم سأني ذات يوم بعض العامة - كم تعجبون في فلان وفلان فقلت له ما تقول انت ؟ قال من تريد ؟ قلت علياً ما تقول فيه ؟ قال أليس هو أبو فاطمة امرأة النبي (ع) بنت عائشة اخت معاوية قلت فما كانت قصة علي قال قتل في غزاة حنين مع النبي »

(٢) كان قيس شجاعاً بطلاً كريماً سخياً . وحمل لواء رسول الله (ص) في بعض غزواته وولاه علي بن أبي طالب إمارة مصر وحضر معه حرب الخوارج بالنهر وان ووقفة صفين . وكان مع الحسن بن علي على مقدمته بالمدائن ؛ باع قيس مالا من معاوية بتسعين ألفاً فأمر منادياً فتأدى في المدينة - من أراد الفرض فليأت مقرل سعد . فأقرض أربعين وأجاز بالباقي وكتب على من أقرضه مكالماً مرضى قل عواده . فقال لزوجته قريية بنت أبي قحافة اخت أبي بكر - لم يقل عوادي ؟ قالت للذي لك عليهم من الدين فأرسل إلى كل رجل بصكه . ثم توفي بالمدينة آخر خلافة معاوية - انظر ج ١ صفحة ١٧٨ من تاريخ بغداد وينص صفحة ٣٦٧ من منهج المقال على أن وفاة قيس كانت سنة ٦٠ هـ (٣) صفحة ٥٠ من مقاتل الطالبين

— ﴿مقتل الحسين وأصحابه﴾ —

وبعد عشرين سنة مضت على بيععة الشيعة لمعاوية وبعد موت معاوية وتولى ابنه يزيد وإرساله إلى عامله بالمدينة أن يضابق الحسين ويجبره على البيعة والطاعة مثل يزيد للعلوم الحال . عند الحسين (ع) وعند غيره أيضاً بعد ذلك كله نهض الحسين .

والي ان يعيش إلا عزيزاً أو تجلى الكفاح وهو صريع
أى ان يبائع يزيد وامتنع أشد الامتناع لما كان يعلمه من أن إمرة
يزيد كانت بغير رضى الأمة وإن أباه مبدعها له بالمال والحداع والقوة والقهر من
غير ما مشورة ولا اختيار فضلاً عما كان يعتقده الحسين من عدم اهلية يزيد
لهذا المنصب الدينى الخطير . وأنه لو تولاه أمثال يزيد لما بقي لشريعة جده
محمد (ص) من هيبة ولا اثر فى النفوس ، ولانمحت قوانينها العادلة من صحيفة
الشرائع الإلهية تدريجاً . ولانغرس في نفوس العامة معنى قول يزيد :

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحى نزل
اذلك كله امتنع الحسين عليه السلام عن البيعة وبذل نفسه الزكية
ليجيبا الدين الخفيف ويستقيم ، ويموت الظلم والاستبداد .

إن كان دين محمد لم يستقيم إلا بقتلى ها سيموف خذني
وفضل بعد ذلك الخروج من المدينة لأمر بطول شرحها فخرج منها إلى
مكة المكرمة خائفاً :

خرج الحسين من المدينة خائفاً كخروج موسى خائفاً يترقب
وأقام في مكة عدة شهور بتدبير الأُمور . وفيها «تقاتلت عليه» في أبادم —
رُسل أهل الكوفة ومعهم من الكتب ما ملأ منه خرجهين (١) « بدعونه «أن
أقدم لعل الله يجمعنا بك على الهدى» فأرسل إليهم ابن عمه مسلم بن عقيل
(رض) . استطاع خنبرهم ويختبر نياتهم ولما وصل مسلم إلى الكوفة «بأبعه من

أهأوا للحسين ثمانية عشر ألفاً وقيل ثمانية وعشرون ألفاً (١) فكتب رجل إلى يزيد بذلك فغضب واستشار سرحون مولى أبيه معاوية فأشار عليه بعزل النعمان بن بشير وتولية عبيد الله بن زياد على الكوفة . وكان يزيد عليه ساخطاً يريد عزله عن البصرة ولكنه . . . رضي عليه وكتب إليه بولاية البصرة والكوفة . وقتل مسلم بن عقيل . فعمل ابن زياد بأمر يزيد وقتل مسلماً وهاني بن عروة لأنه آوى مسلماً في داره . ودافع مسلم عن نفسه دفاع الأبطال المستميتين حتى غدروه بالأمان . وقد أمر بهما أن يُجرا بأرجلهما — بعد القتل في الأسواق وفي ذلك يقول الشاعر :

فإن كنت لاتدرين مالموت فانظري إلى هاني في السوق وابن عقيل
إلى بطل قد هشم السيف وجهه وآخر يهوي من طمار قتيل (٢)
فعل ذلك ابن زياد بعد أن أعطى مسلماً عهد الأمان . وبعد أن علم إباء مسلم عن الفتك به وقتله غيلة يوم احتال أحد الشيعة على ابن زياد وأحضره إلى داره أعزل . . . ومكن مسلماً من قتله . فأبى مسلم وأعتذر بقوله «إنا أهل بيت نكره الغدر»

مع كان كره الغدر وما ينافي الأريحية والشرف من سجاياهم وشيمهم عليهم السلام . ملك أهل الشام الماء في صفين ومنعوا علياً وجنده من الماء وأرادوا قتلهم عطشاً . فلما غلب جند علي (ع) وملكوا الشريعة استأذنوه في منع أهل الشام الماء فقال : «إن في حد السيف لغني عن ذلك . وإني لا أستحل منعهم الماء ثم قاسمهم الشريعة بينه وبينهم شطرين — وكان الأشتر يستأذنه أن يبيت معاوية فيقول إن رسول الله ﷺ نهى أن يبيت المشركون (٣)

(١) ويقول صاحب العقد الفريد — ج ٣ صفحة ١٣٤ بايع مسلم بن عقيل أكثر من ثلاثين ألفاً من أهل الكوفة

(٢) تلخيص ونصرف من ج ٤ صفحة ١٥ و ١٨ من ابن الأثير وج ٦ ص ١٩٢ من الطبري (٣) ج ١ صفحة ٣١٧ من شرح النهج

ولما عدل الخوارج في صفين عن قبول التحكيم وطالبوا الكرة فوراً على معاوية قبل انعقاد مجلس التحكيم واقتراب وقته - أبى عليه السلام موافقتهم والتزم بالعهد حتى قاسى في سبيله ما قاسى من الخوارج وغيرهم . ولو أنه وافقهم ساءتئذ وكر بهم وبأهلده وشيعته على أهل الشام لثم له النصر المبين :

ولكن حاشا علاه ودينه من أن ينتهز هذه الفرص التي منعها الدين . وهو القائل « قد يرى الحوّل القلب وجه الحيلة ودونها مانع من أمر لله ونهيه فيدعها ربي عين بعد القدرة عليها وينتهاز فرصتها من لآخر بركة له في الدين (١) » وخلق بمسلم أن يقتدي بعمه واستأذنه علي بن أبي طالب ويؤثر الدين على الهوى ، والآخرة على الدنيا ، ويفضل الموت على الانتصار بالعذر وعلى هذه السجية كان سيده الحسين بن علي عليهم السلام كنه باستطاعته - لولا الدين - أن يبايع يزيد (٢) وبكون أقرب الناس عنده . وعلى الأقل كان يوسعه أن يجند أهل مكة بشقّ الوسائل ويتحصن بحرم جده (ص) . هما ترتب على ذلك من هتك الحرم المقدس وغيره :

ولكن الوزع الديني المكين ، ذلك الوازع الذي ورثه عن أبيه وجده رحمهم الله . والإباء الهاشمي العظيم ، والاحتفاظ بحرمه الحرم هي التي بعثته على الخروج من مكة إلى الكوفة لإلقاء الحجّة على أهلها الذين « بلغت كتبهم اليه في أبياء قلائل إنني عشر الفا »

(١) ج ١ من النهج (٢) وما يقال من أنه طلب في كربلاء أن يسيره إلى الشام ليبايع يزيد أو يسيره إلى أحد الثغور فذلك بعيد جداً بل غير صحيح بشهادة مولاه عبد الله بن سحمان قال « صحبت حسيناً فخرجت معه من المدينة إلى مكة ومن مكة إلى العراق ولم افارقه حتى قتل . وليس كلمة من مخاطبته الناس بالمدينة وبمكة وفي الطريق وفي العراق وفي المسكر إلى يوم مقتله إلا وقد سمعتها . ألا والله ما اعطاهم ما يتذاكر الناس وما يزعمون من أن يضمّ يده في يد يزيد بن معاوية . ولا أن يسيره إلى ثغر من ثغور المسلمين . ولكنه قال دعوني لأذهب في هذه الأرض العريضة حتى أنظر ما يصير إليه أمر الناس - انظر ج ٦ ص ٢٣٥ من تاريخ الطبري

أضف إلى ذلك ما يترتب على خروجه واستشهاده غريباً عطشاناً مع أهله وصحبه ثم على سبي نسائه وأطفاله ، وسوفهن من بلد إلى بلد ، وقيامهن في مناسبات كثيرة بخطين في الجموع التي تتجمع للتفرج عليهن ، وبظهورن مظلومية سيدهن = بل سيد للسامعين = ويُنددن بفظائع الحكم الأموي المستبد ، وبغرسن في النفوس غرس الإياء الحسيني ومفاداته في سبيل الدين والاخلاق العربية الفاضلة . نعم أضف إليه ما يترتب على هذه الأمور من انتشار الدعوة الحسينية ، وأبعد صيتها في الآفات ، ومن تأثيرها الأثر المطلوب في الحجاز وغيره ولو بعد حين .

ولذلك نرى = في التاريخ = لتابع الثورات على الأمويين وشعاراً كثيراً = الأخذ بثأر الحسين بن علي عليهما السلام = إلى أن انقضت دولتهم في الشام على يد عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس الذي كان يترنم بقوله :
حسبت أمية إن سترضى هاشم عنها وبذهب زبدها وحسينها
وبينما يتأهب الحسين لأداء فرض الحج إذابه بفاجأ = بأن يزيد بن معاوية قد بعث ثلاثين رجلاً لاغتياله ولو في الكعبة الشريفة — فاضطر عليه السلام لسرعة الخروج من مكة فخرج يوم « التروبة » في ٨ ذي الحجة سنة ٦٠ هـ وفي ٩ منه أي يوم عرفة قتل مسلم بن عقيل في الكوفة فوصل خبر مقتله إلى الحسين (ع) في « التعليلية » فترحم عليه وقال لأخيه في العيش بعده . ثم تابع السير (فما بلغ عمره بن سعيد أن حسناً خرج من مكة قال — أطلبوه بين السماء والأرض فمعجب الناس من قوله فطلبوه فلم يدر كوه (١)

ولما علم يزيد بخروج الحسين إلى العراق « كتب إلى عبيد الله بن زياد — قد باغني أن الحسين بن علي قد فصل من مكة متوجهاً إلى ما قبلك فاذك العيون

(١) ج ٣ ص ١٣٦ من العقد الفريد . وعمر بن سعيد هذا هو الذي أوماً إلى قبر

النبي (ص) وقال لما بلغه قتل الحسين (ع) — يا محمد يوم بيوم بدر — انظر ج ١ ص ٣٦١ من شرح النهج

عليه وضع الأرصاد على الطرق . وقم بالأمر افضل القيام . واكتب إلى بالخبر
في كل يوم (١) »

وفي كتاب آخر = سيأتي = قال له « وإلا تقتل أو تعود عبدا كما
تعبد العبيد » فامثل ابن زياد أمر يزيد وارسل الحر الرباحي على الف فارس
ليقطع طريق الحسين (ع) ويضيق عليه ويأتي به اليه . ولكن قلب الحر (٢)
كان حسينا وسيفه يزيديا فحسب ولذلك لما اجتمع بالحسين انتم به وقال له
يا ابن رسول الله ﷺ اسلك من البر سبيلا وسطا لا يؤدي إلى الشام
ولا إلى الكوفة حتى يكون بذلك نجاة الطرفين . فاستحسنه الامام (ع)
فسار والحر يسير خلفه حتى وصل كربلاء يوم الخميس ٢ محرم سنة ٦١ هـ
فتزل بها ونزل معه نجوم الأرض من بني عبد المطلب . واوئك الاصحاب
الذين أعرضوا عن زهرة دنياهم وتجردوا لنيل الكرامة بنصر نبيهم ﷺ
في ذريته :

وما بلغ ابن زياد خبر وصول الحسين إلى كربلاء حتى « جهز اليه » كما في ص ١٢٠ من
الصواعق (عشرين الف مقاتل) وطلب من عمر بن سعد بن ابي وقاص أن يكون
(١) صفحة ٢٤٣ من الاخبار الطوال (٢) ولم يزل هذا الحب كانا في قلب الحر حتى
علم من ابن سعد تصميحه على قتال الحسين هـ قتالا أيسره أن تسقط الرؤوس وتطيح
الأيدي هـ فخرج الحر وهو يرتعد واخذه مثل الافكل . فقال له رجل - إن امرك
لمريب فوالله لو سئلت من اشجع اهل العراق لما عدوتك . فما قالك الحر إلا أن يظهر
حب الحسين (ع) وأشار إلي انه طريق الجنة لو عمل به فصارع الرجل بقوله « ويحك
إني أرى نفسي بين الجنة والنار ، ولا اختار على الجنة شيئا وإن قطعت وحرقت » ثم
مال بجواده نحو الحسين (ع) فلما وصل قال - جعلت فداك يا ابن رسول الله (ص)
انا صاحبك الذي جمع بك في الطريق . وما ظننت أن القوم ينتهون بك إلى ما أرى
فهل ترى لي من توبة ؟ الحسين نعم يتوب الله عليك فانزل : الحر - انا لك فارسا
خير مني راجلا . وآخر امري التزول هـ فترل وسلم على الامام واستأذنه في الحرب
فأذن له فركب وسار نحو المدو فخطب وقال هـ يا أهل الكوفة لأمكم الهبل دعوتكم
ابن بنت نبيكم لتصروه حتى إذا جاءكم اسلحتهم هـ ثم عدوتم عليه تقاتلونه الخ هـ

أمير الجيش المجيز « فتردد عمر وردد قوله

أأترك ملك الري والري منيبي أم أرجع مذموماً بقتل حسين ؟

وفي قتله النار التي ليس دونها حجابٌ وملك الري قرة عيني

ولما اختار ملك الري (معنقداً بالنار والمار أيضاً) ذهب لقتال الحسين .

في كربلاء . وكان أول عمل بأمره فيها أن منع عن الحسين وأهله وأطفاله

وأصحابه الماء . وفي اليوم العاشر من المحرم = وهو يوم الجمعة يومئذ =

احاط عمر بن سعد وجنده بنعيم الحسين ورموها بالسهام والنبال . وكان أولهم

عمر بن سعد ولما رمى قال = اشهدوا لي اني أول رامٍ = ولما رأى الحسين

تساقط السهام والنبال نهض وخطب أصحابه وأمرهم بالجهاد . فقاموا يبارزون

(جند يزيد من أهل الكوفة) وكلما برز اليهم فارس قتلوه حتى صاح عمرو

ابن الحجاج بالجيش ويلكم أتدرون من تقاثلون ؟ هؤلاء فرسان المصرا حملوا

عليهم من كل جانب . ولكن أصحاب الحسين أخذوا . يغوصون في أوساطهم

وبقائلونهم أشد قتال خلقه الله (١) »

وتسابق الهاشميون بعدئذ إلى افتداء سيدهم بأرواحهم واحداً بعد واحد

حتى قتلوا — وما قتلوا حتى

نكسرت الاسياف في رؤوس العدى وأمسى أديم الأرض من دهم دما

» ولما قتل أصحاب الحسين وأهل بيته حمل الناس عليه من كل جانب

واحاطوا به فحمل عليهم ، وكلما حمل على جانب تفرق أمامه حتى ادهش القوم

بشجاعته . وقال بعضهم يومئذ — ما رؤي مكثور قط قد قتل ولده وأهل

بيته وأصحابه اربط جأشاً منه ولا امضى جناحاً ولا أجراً مقدماً . لقد كانت

فلم يحبه أحد إلا برمي النبال فحمل عليهم وقاتلهم أشد قتال حتى انخن بالجراح فصاح

« دعاء السلام عليك يا أبا عبد الله » فجاءه الحسين (ع) وأبته بقوله « انت حر كما

سكنتك حر في الدنيا وسعيد في الآخرة »

الرجال تنكشف عن يمينه وشماله انكشاف المعزى إذا شد بها الذئب (١)»
 «ولولا ما كادوه به من انهم حالوا بينه وبين الماء لم يقدروا عليه إذ هو
 الشجاع القرم لا يزول ولا يتحول (٢)» ودام عليه السلام على هذا الحال من
 الإقدام الجريسي والصبر العظيم على حرارة العطش وحر الحجير ، وحرقة
 الأحشاء من رؤيا الأحية مجزرين كالأضاحي ، ورؤيا النساء والأطفال صرعى
 من الظمأ إلى إن نزل به القضاء المحتوم . وكان ما كان من الأعمال الفظيعة
 التي عملها يزيد وابن زياد وابن سعد وابن الجوشن وغيرهم من أشياعهم تلك
 الأعمال التي لم يجزأ على ارتكاب مثلاً أحد قبلهم وبعدهم . فسودوا بها صحيفة
 التاريخ الإسلامي والعربي أيضاً وصاروا أسوأ قدوة للظالمين إلى آخر الدهر
 * هل يبرأ التاريخ يزيد من دم الحسين ؟ *

لقد مرَّ على التاريخ حقب متطاولة ، وظروف قاسية كان يسير فيها
 — أحياناً — مرغماً على طرق مخططة حسب أغراض الملوك وهوى الحكام
 بدون بقلمه ما يوافق تلك الأغراض وذلك الهوى ، وبتعمى عن كثير من
 الحقائق الثابتة والقضايا الراهنة .

قاسى التاريخ ما قاسى من حَجَرٍ واضطهاد ، وخضع ما خضع للقوى الغاشمة
 ولكنه كان — على الرغم من ذلك كله — يتمرد على تلك القوى ويجهز
 بالحق في كثير من المواقف الحرجة الرهيبة ، ويدونه في صحائفه الخالدة غير
 هباب ولا وجل ولا مراقب سوى الحق والضمير والوجدان .

ولولا هذه الجرأة الضئيلة في التاريخ ، وهاتيك الاعترافات الصادقة
 الصادرة من أهله لما عرفنا من الحقيقة شيئاً ، ولما جزمنا بصدق قضية واحدة
 من قضايا الكثيرة في شتى الوقائع البشرية والحوادث الكونية تلك الحوادث
 التي أحاطها الوضعون بأطار من الإبهام والتشكيك ، والتحريف والتلبس .

ومن القضايا التي أثبتتها التاريخ واعترف بها اعتراضاً جازماً غير مكثرت
بأية قوة تعارضه ، قضية أمر يزيد بن معاوية بقتل السبط الحسين بن علي (ع)
ومروره بسفك ذلك الدم النبوي الزكي . حتى صارت من بديهيات التاريخ ، وصار
اسم يزيد كعلم لقاتل الحسين (ع) وكعلم للظلم والقسوة . واسم الحسين كعلم
للظلمية والعدالة ؛ وكعلم للإباء والنهضة . والله قول المرحوم أحمد شوقي
المصري في مصطفى « أتاترك »

هذا الذي كان الحسين عدالة في المسلمين قد استحال يزيدا
وبالرغم من ثبوت تلك القضية وسطوع براهينها قد جد « اليزيديون »
في أن يسدلوا عليها غشاء قائماً من الابهام والتشكيك . وحاولوا أن يبرأوا
يزيد من دم الحسين الشهيد وان يخرجوا هذه الجريمة الكبرى من صحائف
يزيد السود ويمحوها بدمعة يقال انها سقطت من عينيه حين رأى أطفال الحسين
في حال تقشر منها القلوب المتحجرة وتسيل العيون الجامدة . وتشبثوا بكلمة
زعموا أنه قالها لما وضع الرأس الشريف بين يديه وهي « رحمك الله يا حسين »
ولكنهم تغافلوا عما فعله يزيد في ثأب الحسين بعد تلك الكلمة المزعومة بسلا
فاصل . وتغافلوا عن صراحة التاريخ بضد ما يحاولون وعكس ما يتشبثون
حيث يقول « خرج الحسين من مكة إلى العراق . فكتب يزيد إلى واليه
في العراق عبيد الله بن زياد بقتاله فوجه اليه جيشاً عليه عمر بن سعد فقتله
وجبى برأسه في طست حتى وضع بين يدي ابن زياد لعنه الله ولعن قاتله ويزيد
أيضاً ثم ان ابن زياد بعث برأس الحسين وأهله إلى يزيد فسر بقتلهم أولاً ثم ندم لما
مقته المسلمون على ذلك وأبغضه الناس وحق لهم أن يبغضوه (١) » ويقول أيضاً
« خرج الحسين إلى الكوفة ساخطاً لولاية يزيد بن معاوية . فكتب يزيد
إلى عبيد الله بن زياد وهو واليه في العراق : أنه قد بلغني أن حسيناً سار إلى

الكوفة وقد ابتلى الله به زمانك من بين الأزمان ، وبلدك من بين البلدان ،
وابتليت به من بين العمال ، وعنده تقتل أو تعود عبداً كما تعتبد العبيد (١) »
وقد اعترف ابن زياد بمؤدى قول يزيد وتهديده إياه بالقتل . فقال
لمسافر بن شريح اليشكري « أما قتلى الحسين فإنه أشار إليّ يزيد بقتله أو
قتلي فاخترت قتله (٢) »

ويؤيد ذلك كله ما كتبه الحبر ابن عباس في جواب كتاب كتبه إليه
يزيد بشكره فيه على ترك البيعة لابن الزبير . قال ابن عباس (رض) « وإن
أنس فما أنسى طردك حسيناً من حرم الله وحرم جده رسول الله (ص) وكتابك
إلى ابن سرجانه تأمره بقتله . وإني لأرجو من الله أن يأخذك عاجلاً حيث
قتلت عثرة نبيه (ص) ورضيت بذلك . . . وإن من أعظم الشماتة حملك
بنات رسول الله وأطفاله وحرمه من العراق إلى الشام أسارى مجلوبين مسلوبين
تري الناس قدرتك علينا واثك قهرتنا . وفي ظنك أنك اخذت بشارات أهلك
الفجرة يوم بدر واظهرت الانتقام الذي كنت تخفيه والاضغان التي تكمن
في قلبك كحون النار في الزناد ، وجمعت أنت وأبوك دم عثمان وسيلة على
إظهارها فالويل لك من دبان يوم الدين . والله لئن أصبحت آمناً من جراحة
يدي فما أنت بآمن جراحة لساني ، ولئن ظفرت بنا اليوم لفظفرك بك غدا بين
يدي الحاكم العدل الذي لا يجور في حكمه . قال الواقدي فلما قرأ يزيد
كتابه أخذته العزة وهمّ بقتل ابن عباس فشغله عنه أمر ابن الزبير (٣) »

ولقد أقر معاوية بن يزيد بن معاوية بأن أباه قد نازع الحسين وقتله .
حيث يقول « إن هذه الخلافة حبل الله . وإن جدي معاوية نازع الأمر أهله

(١) المقدم الفريد ج ٣ ص ١٣٧ وابن عساكر ج ٤ ص ٣٣٢ (٢) ابن الأثير
مجلد ٤ ص ٥٥ ويؤيد ما نقلناه عن الدينوري من تحريض يزيد لابن زياد على قتل
الحسين وأمره بالتضييق عليه وإن يكتب إليه عما يعمل مع الحسين في كل يوم ولا
يستغل برأيه ويتصرف على حسب هواه (٣) ص ٣٦٨ من تذكرة الخواص

ومن هو أحق به منه علي بن أبي طالب . وركب بكم ما تعلمون حتى أتته . نبيته
فصار في قبره رهيناً بذنوبه ثم قلد أبا الأمر وكان غير أهل له . ونازع ابن
بنت رسول الله ﷺ

فقص عمره ، وأبتر عقبه ، وصار في قبره رهيناً بذنوبه ثم بكى وقال إن من
أعظم الأمور علينا علمنا بسوء منقلبته . وبؤس مصرعه وقد قتل عترة رسول الله
ﷺ وأباح الخمر وضرب الكعبة (١) »

وإقرار معاوية هذا حجة دامغة لأنه كما قرار المرء على نفسه . فهل يا ترى
تمحو تلك الدمة الربائية من يزيد - وقد تقاطر مثلها من عيون القساة حينما
رأت السبايا الهاشميات - كل ما ذكرناه لك من الأدلة على أمر يزيد بقتل
الحسين الشهيد ، وعلى عده هذا القتل قضاء لديونه .

« قال الزهري . لما جاءت الرؤس إلى الشام كان يزيد جالساً على «جبرون»
فلما نظر إليها أنشد -

لما بدت تلك الحمول وأشرقت تلك الشموس على ربا جبرون
نعب الغراب فقلت صحح أو لا تصح فلقد قضيت من الغريم ديوني (٢)
وإذا كانت تلك الدمة كافية - عند أشياخ يزيد - لتبرأته من دم الحسين
عليه السلام . فما يصنعون بإصنعه يزيد بعد تلك الدمة بلا فاصل في ثأب الحسين ؟
وما يقولون بما قاله يزيد من الشعر الدال بوضوح على التشفي بقتل الحسين (ع)
والأخذ بثارات أشياخ يزيد الذين قتلهم - ببدر - جد الحسين وأبوه عليها
السلام والمفصح عن رأيه في النبوة والوحي الإلهي :

يخبرنا ابن جرير الطبري « أن ابن زياد أمر بنساء الحسين وصبيانته .
وأمر بعلي بن الحسين فغل بغل إلى عنقه ثم سرح بهم إلى يزيد في الشام . ولما
وصلوا جلس يزيد ودعا أشراف الشام فأجلسهم حوله ثم دعا بعلي بن الحسين

وصيان الحسين ونسائه فأدخلوا عليه والناس ينظرون . وجاء برأس الحسين
فوضه بين يديه وأخذ ينكت — بقضيب كان معه — ثنايا الحسين وثره
حتى قام أبو برمزة الأسلمي وقال ليزيد أنتنكت بقضيبك ثغرا الحسين ؟ وقد
رأيت رسول الله ﷺ يرشفه (١) «

ويقول سبط ابن الجوزي « المشهور عن يزيد في جميع الروايات أنه لما حضر
الرأس بين يديه جمع أهل الشام وجعل ينكت عليه بالخيزران ويقول أيتها
ابن الزبيري —

ليت اشياخي يبدروا شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسفل
قد قتلنا القرم من ساداتهم وعدلنا ميل بدر فاعتدل
قال الشعبي وزاد فيها يزيد بيمين ومما

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل
لست من خندف إن لم أنقم من بني أحمد ما كان فعل (٢)

وهذه رباً حاضنة يزيد تشهد عليه بقرع الثنايا ويقول شعر ابن الزبيري
حيث تقول « دنوت من رأس الحسين فنظرت إليه وبه ردغ من حياء، والذي
أذهب نفسه وهو قادر أن يقتله (٣) لقد رأيته بقرع ثناياه بقضيب في يده
ويقول أبياتا من شعر ابن الزبيري (٤) «

أضف إلى ذلك كله انه لما وصل رأس الحسين إلى يزيد حسنت حال ابن
زباد عنده وزاده ووصله وسره ما فعل (٥) « وبالف في رفعته حتى أدخله على
نسائه (٥) « وجلس بعد قتل الحسين على شرابه وعن يمينه ابن زباد فأقبل على
ساقيه وقال

(١) ج ٦ ص ٢٤٦ من تاريخه بتصريف (٢) شرح النهج مجلد ٣ صفحة ٣٨٢
وصفحة ٢٥٦ من التذكرة (٣) خط المرفزي مجلد ٢ صفحة ٢٨٩ (٤) مجلد
صفحة ٣٦ من ابن الأثير (٥) الصواعق صفحة ١٢٢

أسقني شربة تروى مشاشي ثم صل واسق مثلها ابن زياد
صاحب السر والأمانة عندي ولتسديد مغنمي وجهادي (١)
وهل تدري ما فعل عبيد الله بن زياد؟ فانه بعد أن أمر برض صدر الحسين
وظهره بخواف الخيل . وبعد ان هتك في مجلسه ستور المخدرات النبوية . وأراد
قتل العليل علي بن الحسين (٢) عليهما السلام وبعد ان سنَّ لسيد هزبد قرع
الشايا «جهز الرأس الشريف وعلي بن الحسين ومن معه من حرمة بحالة تقشعر منها
ومن ذكرها الأبدان والقلوب . وترتعد مفاصل الإنسان بل فرائص الحيوان
إلى البغيض يزيد بن معاوية مع شمر بن ذي الجوشن (٣) الذي احتز الرأس
الشريف .

هذا هو فعل ابن زباد الذي سر يزيد وأوجب أن يحسن حال ابن زباد
عنده وهزبد في عطائه وصلته ويبالغ في رفعته ويدخله على نسائه . ومع ذلك
كله فيزيد يري — عند تلك الفئة من اليزيديين — من دم الحسين لأجل
تلك الدمة المصطنعة ؟

ولنختم كلمتنا هذه بكلمة تصور لك جميع ما ذكرناه من أعمال يزيد حتى
كأنك في مجلسه ترى إدخال الحوراء زينب ابنة علي (ع) مع السبايا وجاوسهن
في ذلك للجلس الحافل بالمفرجين الشامتين وترى رأس الحسين رجمة النبي
ﷺ بين يدي يزيد بنسكت ثناياه ويشتمل بايات ابن الزبيري ويزيد عليها من
عنده حتى نهضت حفيذة الرسالة زينب وجابهته بجرأة هاشمية . «أظننت يا يزيد
حيث أخذت علينا أقطار الارض وآفاق السماء . فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى
— ان ما هو انا على الله وبك عليه كرامة . وان ذلك لعظم خطر كعنده . فشمخت

(١) مروج الذهب مجلد ٣ صفحة ٧٤ (٢) تقدم ما زعمه الرحالة « من ان عليا
هذا قد امكنه الحرب وهو غريب في التاريخ (٣) تحفة الأنام للفاخوري مفتي بيروت
سابقا صفحة ٨٤

بأنفك . ونظرت في عطفك جذلان فرحاً حتى رأيت الدنيا لك مستوسقة والامور عليك متسقة . فهلا مهلاً — أنسيت قول الله تعالى ؟ — ولا يحسب الذين كفروا أنما نملي لهم خير لا أنفسهم . إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين . أمن العدل يا بن الطلقاء تخديرك حرائرك وإملاكك وسوقك بنات رسول الله سبايا قد هتكت ستورهن وأبديت وجوههن . تخدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد . ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل ويتصفح وجوههن القريب والبعيد . والدني والشريف . ليس معهن من رجالهن ولي ولا من حماتهن حمي ؟ إلى أن قالت ثم نقول غير متأنم ولا مستعصم

لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل منتحباً على ثنايا أبي عبد الله سيد شباب أهل الجنة تنكبتها بمخضرتك . وكيف لاتقول ذلك ؟ وقد نكأت القرحة . واستأصلت الشافة بإرافتك دماء ذرية محمد ﷺ ونجوم الارض من آل عبد المطلب . وتهتف بأشياخك زعمت انك تناديهم فلتردن وشيكاً . ووردن . ولتودن انك شلت وبكت ولم تكن قلت ما قلت . وفعلت ما فعلت . فو الله يا يزيد ما قربت إلا لجلدك ولا حززت إلا لحلمك ، ولتردن على رسول الله ﷺ بما تحملت من سفك دماء ذريته وانتهكت من حرمة في عثرته ولحمته .

فكد كيدك . واسمع سعيك . وناصب جهدك . فو الله لاتمحو ذكرنا . ولا تميت وحيانا . ولا تدرك أمدنا . ولا ترحض عنك علوها . وهل رأبك إلا قند وأيامك إلا عدد وجمعك إلا بدد ؟ يوم ينادي المنادي أبلعنة الله على الظالمين (١) »



الفصل الرابع

❦ مواقف الشيعة في العهدين الأموي والعباسي ❦

- ١ مثل من نضال الشيعة ٢ حال الاسلام في عهد الراشدين ونبذة من قوانينه ٣ بدء
الفتن بين المسلمين ومن أثارها والعوامل الدافعة لذلك ٤ سر المناهضة لملي
ومن ناهضه ٥ مناهضة الملاحين لبني أمية واسبابها ٦ نهضة الشيعة
ضد الأمويين وعلاها ٧ عدم تشييع الفرس أيام الدعوة العباسية
٨ نهضة الشيعة ضد العباسيين وسر مطاردة العباسيين لهم .

❦ تمهيد ومثل من نضال الشيعة وصراحتهم ❦

ذكرنا — قبلئذ — أن الذين ثبتوا على التمسك الحقيقي بالعترة والتدين
بالموالاتة بعد المبلغ الأعظم عليه السلام هم فئة قليلة من الصحابة . وأنهم كثروا
يوم باشر امر الأمامة علي أمير المؤمنين (ع) وقاموا يحاربون معه الناكثين
والقاسطين والمارقين . وبجاهرون بمقيدة التشيع الدينية طيلة حياتهم الثمينة
وهكذا كان إخوانهم — بعد استشهاد هذا الأمام العظيم بجاهدون في
سبيل العقيدة ويتناضلون عنها في أخرج المواقف . وبصارحوت بها اشد
الحكام قساوة :

« قطع ابن زياد يدي رشيد المجري ورجليه وصلبه على جذع نخلة في
الكوفة لأجل تشيعه . ولكنه — رحمه الله — لم يترك التحدث بفضائل
العترة وبيان مخازي الظلمة حتى قطعوا لسانه . وهكذا صنع ابن زياد بميثم
التار . وزاد على ذلك بأن ألجم ميثمًا بلجام من شربط ليمتنع من التحدث
بفضائل أهل البيت . ولما رآه لم يمتنع قطع لسانه . وكان ميثم أول خلق الله
ألجم بلجام من حديد كما تلجم الخيل . وكان قتله قبل قدوم الحسين العراق

بعشرة أيام (١)»

وقس على هذين من قتلهم - قبل ذلك - زباد بأمر من معاوية أمثال الصحابي الجليل حجر بن عدي وأصحابه . ومن قتلهم - بعد ذلك الحجاج بن يوسف أمثال : الثقة سعيد بن جبير ، قال له الحجاج يوما « أمو من أنت أم كافر ؟ قال سعيد ما كفرت بالله منذ آمنت به فقال الحجاج اضربوا عنقه (٢) »

وأمثال كميل بن زباد النخعي قتله الحجاج سنة ٨٢ هـ وكذلك قتل قنبرا مولى أمير المؤمنين (ع) هكذا كان رجال الشيعة (من قبل) وهكذا كان صبرهم وإقدامهم ومفاداتهم على قائلهم وضعف مادياتهم وكثرة مضطهدهم وقوتهم (٣)

(١) ص ١٧٤ من ارشاد المفيد وص ١١٥ من منهج المقال و ج ١ ص ٢١١ من شرح النهج ولكنه قال صاحبه ان الذي قتل رشيد الهجري هو زياد لا ابنه وكذلك قال المفيد (٢) ج ٣ ص ٢٥٧ من المقد الفريد (٣) ولولا قوة الايمان ، وصلابة العقيدة الشيعية ، والاتحاد والنصيحة لمذهبهم واخوانهم في الوطن والدين وكرم اخلاقهم لما كتب لهم البقاء في تلك المصور المظلمة الموبوءة بالاستبداد والتعصب ، ولما كثرت الشيعة هذه الكثرة التي نراها اليوم . ولكنها - وبالألف - كثرة متأخرة عن تلك القلة تأخرًا شائنا : متأخرة في إيمانها ، وصلابتها واتحادها ، « إن كان غمة اتحاد » وفي نصيحتها واخلاقها : ومن المحزن المولم أن ترى البعض يشرع لنفسه التحليل والتجريم او يعترض على الشرع والشارع بأن اللعبة الفلانية مثلا مسلية فلماذا حرمت على الناس ؟ يقول ذلك وهو يرى ان أكثر اوقاته الشمينه تذهب سدى من جراء اعتياده على تلك اللعبة هذا مع قطع النظر عن الخسارة المادية ، والبعض الآخر يقول إن قليل الخمر لا يسكر فهو حلال جاهلا إن القليل إذا لم يسكره قد يسكر غيره إسكارا فاحشا وانه قد يجز المرأ قهرا إلى الكثير بسرعة إلى غير ذلك من الأقوال الاثيمة ، وإذا ضايقته بالدليل القطعي على حرمة الشيء الفلاني ياتجئ إلى التأسى بالعصاة المحترمين من طائفته مع علمه بوجود الابتعاد عنهم والامثال لما نص عليه الثقلان الكتاب والعترة إذ هو المسؤول عنه فحسب « يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه - يوم لا يفي مولى عن مولى شيئا »

ولا عجب فإن هذه الصفات تكاد تكون من ميزات الرجال وخصائصها الطبيعية وإنما الذي يوجب العجب والإعجاب ما صدر من ربات الخدود الشيميات في مجالس القوة الغاشمة . فإن المرأة منهن كان يومها بدخولها على المجلس الحافل برجال الدولة الأشداء فتُسأل عن عقيدتها في علي ومعاوية وعن أقوالها يوم صفين . وكان يتولى السؤال معاوية بنفسه ، ورغم هذا الموقف الرهيب كانت تدخل بكل جرأة وتعرف بحج علي غير هيابة ولا وجلة . وتجاهه معاوية بما يعرق به جبينه .

دخلت سودة بنت عمارة بن الاسك الحمداني على معاوية فقال لها « هيه يا بنت الأسك - أأنت القائلة يوم صفين

شمر كفعل أبيك يا ابن عمارة يوم الطعان وملتقى الاقارب وانصر عالياً والحسين ورهطه واقصد لهند وابنها بهوان إن الإمام أخو النبي محمد علم (الهدى) ومنارة الإيمان قالت : إي والله ما مثلي من رغب عن الحق أو اعتذر بالكذب . قال لها : فما حملك على ذلك ؟ قالت حب علي عليه السلام واتباع الحق .

ولما أدخلت الزرقاء بنت عدي بن غالب وكانت ممن تعين علياً (ع) يوم صفين قال لها معاوية : أأنت راكبة الجمل الأحمر يوم صفين بين الصفين توقدين الحرب وتحضين على القتال قائلة - أيها الناس إن المصباح لا يضيء في الشمس ، وإن الكوكب لا يقد في القمر ، وإن البغل لا يسبق الفرس وإن الزف لا يوازن الحجر ، ولا يقطع الحديد إلا الحديد ، ألا من استرشدنا أرشدناه ، من استخبرنا أخبرناه إن الحق كان يطلب ضالته فأصابها . فصبراً صبراً يا معشر المهاجرين والانصار ألا إن خضاب النساء الحناء . وخضاب الرجال الدماء . والصبر خير في الأمور عواقباً . إيها إلى الحرب غيرنا كصين فهذا يوم له . ما بعده : قالت نعم فقال معاوية والله يا زرقاء لقد شاركت

علياً في كل دم سفكه قالت أحسن الله بشارتك مثلك من بشر بخير وسر
جليسه . قال وهل سرك ذلك ؟ قالت نعم والله لقد سرني فأني لي بتصديق الفعل
ودخلت عكرشة بنت الأتطش على معاوية فسلمت عليه بالأمرة وجلست
فقال لها معاوية الآن صرت أمير المؤمنين ؟ قالت نعم إذ لا عليّ حي . قال أأنت
المتقلدة بمجائل السيف وانت واقفة بين الصغين يوم صفين تقولين — يا أيها الناس
عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا هديتم — إن الجنة دار لا يرحد عنها من
قطنها ولا يحزن من سكنها فابتاعوها بدار لا يدموم نعيمها . ولا تنصرم همومها ،
كونوا قوماً مستبصرين . إن معاوية دلف إليكم بعجم العرب دعاهم بالدنيا
فأجابوه . واستدعاهم إلى الباطل فلبؤوه . فآله الله عباد الله في دين الله . وإياكم
والتواكل فإن في ذلك نقض عروة الإسلام واطفاء نور الإيمان . وذهاب السنة
وإظهار الباطل . هذه بدر الصغرى والعقبة الأخرى . قائلوا يامعشر المهاجرين
والانصار على بصيرة من دينكم . واصبروا على عزيمتكم . ثم دارت بينهما محاورات
في صنع عماله وعطائه فكانت لها الغلبة . ولذا قال لها — هيهات يا أهل العراق
فقهكم علي بن أبي طالب فلن تطاقوا ثم أسرها يرد صدقتها وإنصافها :

ولما أدخلت ام الخير البارقية . ذكرها معاوية بقولها — هلموا رحمكم الله
إلى الإمام العادل . والوصي الوفي . والصدوق الأكبر . إنها إحن بدرية . واحقاد
جاهلية . وضغائن احدية . وثب بها معاوية لبدرك ثارات بني عبد شمس .
فألى أين تربدون — رحمكم الله — عن ابن عم رسول الله ﷺ وزوج
ابنته . وأبي ابنه . خلق من طينته ، وتفرع من نبوته ، وخصه بسرّه . وجعله
باب مدينة علمه . وأعلم بحبه المسلمين . وأبان يبغيضه المنافقين . فلم يزل كذلك
يؤيده الله عز وجل بمعوته . ويمضي على سنن إستقامته ، لا يعرج لراحة الذات
وهو مفلح الهام . ومكسر الاصنام : صلى والناس مشركون ، وأطاع والناس
مرتابون . فلم يزل كذلك حتى قتل مبارزي بدر ، وأنفى أهل أحد . وفارق

جموع هوازن • فيالها وقائع زرعت في قوس قوم نفاقا وردة وشقاقا • فأعترفت
لعاوبة به فقال والله يا أم الخير ما أردت بهذا الكلام إلا قتلي • والله لو قتلتك
ما حرجت في ذلك قالت والله ما يسوئني يا ابن هند أن يجري الله ذلك على يدي
من يسعدني الله بشقائه :

وأدخلت الدارمية الحجونية • فابتدأها معاوبة بسؤاله — على ما أحببت عليا
وأبغضتيني؟ وعلى ما واليتي وعاديتيني؟ قالت : إني أحببت عليا عليه السلام على عدله
في الرعية • وقسمه بالسوية • وأبغضتك على قتالك من هو أولى بالأمر منك •
وطلبك ما ليس لك • وواليت عليا عليه السلام على ما عقد له رسول الله
ﷺ من الولاية • وعلى حبه المساكين • وإعظامه أهل الدين • وعاديتك
على صفك الدماء وشقك العصا • قال صدقت فلذلك انتفخ بطنك إكخ قالت
يا هذا بهند والله يضرب المثل لا أنا :

ودخلت بكارة الهلالية على معاوبة فقال له عمرو بن العاص هي القائلة يا
أمير المؤمنين

أترى ابن هند للخلافة مالكا هيهات ذاك وما أراد بعيد
مذنبك نفسك في الخلاء ضلالة أغراك عمرو للشقا وسعيد

فقال سعيد وهي القائلة

قد كنت آمل أن أموت ولا أرى فوق المنابر من أمة خاطبا
فالله أخّر مدتي فتطاوت حتى رأيت من الزمان عجائبا
في كل يوم لا يزال خطيبهم وسط الجموع لآب أحمد عائبا
فقلت بكارة نبحتني كلابك يا أمير واعثوراني ، وأنا والله قائلة ما قالوا
لا أدفع ذلك بتكذيب فامضي لشأنك فلا خير في العيش بعد علي أمير المؤمنين (١)

(١) كل ما ذكرناه من كلمات النساء ملخص من ج ١ من العقد الفريد وكتاب
بلاغات النساء لأحمد بن أبي طاهر • وأثار ذوات السوار للمرحوم الشيخ محمد علي حشيشو

وعلى الأجمال — وسترى التفصيل — فإن الشيعة كانوا من أشد الطوائف ثباتاً على عقيدتهم الدينية، وأعظم ثباتاً في سبيل المصلحة الإسلامية والمحافظة على قوانين الدين الإسلامي الحنيف .

وفي هذا السبيل ناصروا الخلفاء في فتوحاتهم وحروبهم . وفي هذا السبيل ناهضوا الدولة الأموية أيام قوتها وسعة سلطانها كما ناهضوا بعد ذلك الدولة العباسية بعد أن عاونها بعضهم في العراق لا في خراسان لأن التشيع لم يكن يومئذ منتشرًا في فارس ولا أثر له في خراسان بل كانت الأكثرية الساحقة هناك من أعداء التشيع العلوي — كما ستعرفه قريباً — ولكن الاستاذ محمد ثابت المصري يرى أن التشيع كان مولاً هادماً للإسلام ، وأن الفُرس كانوا من الشيعة الحاملين لذلك المعول الهدام ، ويرى اختفاء الشيعة أيام قوة الدولة الأموية ويرى غير ذلك في قوله (ص ١٥٠ من جولته) « قام الشيعة يناهضون بني أمية لكن لما قويت الدولة الأموية اختفى الشيعة وظلوا يعملون سرا حتى بدأ اضمحلال دولة بني أمية . فظهروا ثانية وعاونوا العباسيين في خراسان تحت إبي مسلم الخراساني . على أن العباسيين لما تملكوا أخذوا يطاردون الشيعة واخذت طوائف الشيعة تمتدح وعاونوا الفُرس سرا على ذلك لأن فارس رأت فيهم خير هادم للإسلام والملك بني العباس أولئك الذين قضوا على استقلال فارس وحاولوا القضاء على قوميتها »

وليسهل على القارئ الكريم استنتاج الأحكام من المقدمات التي يروى عليها التاريخ الصحيح . ومن العلة والأسباب الطبيعية — نتقدم إليه بالبحث موجزاً عن كل ما له مساس بهذه الكلمة المضطربة ، بادئين بنبذة مهمة من قوانين الإسلام الأساسية التي بقيت في ذاكرتك وتجعلها مقياساً عادلاً نقبس عليه الأعمال . فتعرف وقتئذ من هو الذي أراد هدم الإسلام ؟!

﴿ حالة الإسلام في بدء الخلافة ونبذة من قوانينه ﴾

كان الإسلام أمة واحدة بمجتمعة متراسة تحت لوائه الخلفاء ، تعمل لتأييده ونشره في أطراف المعمور ، وأثبت تعاليمه الحكيمه بين الأمم الأخرى التي دخلت في دين الله أفواجا :

كانت الحجاز ، والشام ، ومصر ، واليمن ، ونجد ، والعراق ، وكانت الفرس والروم ، وكن في الجميع لغات عديدة وأديان كثيرة متفاوته من نصرانية وبهودية ومجوسية وغيرها . وما مضى ربع قرن حتى تغلبت العربية على كثير من تلك اللغات . وانتصر الاسلام على "جل" تلك الأديان ولم يبق في هاتيك البلاد سوى جماعات متفرقة هنا وهناك بقيت على دين آبائهم الأولين بفضل سماحة الإسلام المقرر في قوانينه العادلة وتعاليمه الرحيمه « لا إكراه في الدين — ولجاد لهم بالتي هي أحسن — وادع إلى ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » قرر نبي الإسلام ﷺ المساواة في الحقوق والأحكام ، وقرر هدم

العصبيات القبلية التي كانت بين القبائل في الجاهلية لينبني من هذا الهدم — أساس الجامعة الإسلامية التي هي — بلا شك — أوسع واقع في الدارين : وقرر المؤاخاة بقوله تعالى « إنما المؤمنون أخوة » وقوله ﷺ

« المسلم أخو المسلم » وأنكد ذلك بالعمل فأخى بين أصحابه (رض) ثم أخى بينه وبين ابن عمه علي بن أبي طالب (ع) ومروته بهجده على العدل ، والعطف والوفاء واحترام المسلمين جميعاً من غير فرق بين العربي والعجمي ، ولا بين الأسود والأبيض ، ولا بين الحر والعبد إذ لا ميزة لأحد على أحد إلا بالتقوى (إن أكرمكم عند الله اتقاكم) ولم ينس احترام غير المسلمين من أهل الذمة فإنه ﷺ قد أمر باحترام حقوقهم واحكام شرائعهم .

وقد حرم شرب الخمر ، والكذب ، والنميمة ، والغيبة — ولا يقتب بعضكم بعضاً — وحرم الخيانة ، والغدر ، والرياء ، والمداينة ، والمحابة للقريب

والبعيد ، ونكث العهد ، والاخلال بالوعد ، والبذخ والامراف والظلم ، والجور والمثلة ولو في الكلب العقور وحرم قتل النفس المحترمة بغير جرم ديني ، والزنا واللواط ، واللهو ، وأكل مال الغير — ولا يحل مال امرء إلا عن طيب نفسه وجعل لازاني — وعبر عنه بالعاهر — الحجر إلى غير ذلك من المحرمات الشديدة وقد حثهم على العمل للآخرة والزهد في الدنيا في الوقت الذي حثهم على العمل لها والسعي في منافعها بقوله البليغ « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » إلى غير ذلك من التعاليم والسنن التي سننها صلى الله عليه وسلم لأمته وعمل بها في حياته كلها وأصحابه الراشدون بعدهم ، والامة معهم تسير يسيرهم وتهتدي بهدي أخيه نبيهم يستشيرونه في الأيام العصبية (١) ويستوضحون منه المسائل المعضلة « وكان الخلفاء أبو بكر وعمر وعثمان يستشيرونه في الأحكام ويرجعون إلى رأيه إذا خالفهم في بعض الأحيان وأكثر من عرف ذلك عنه عمر بن الخطاب (٢) لقد كن يسأله وبأخذ عنه وإذا أشكل عليه شيء قال ههنا علي ؟ وكأنت بتعوذ من مصلته ليس فيها أبو الحسن (٣)
 ✽ بدء الفتن في الملة الإسلامية ومن ناراها وسببها ✽

ودامت الامة على ذلك الشكل من الاتحاد والاخلاص للاسلام والمسلمين والعمل بتلك السنن والتعاليم النبوية قدر الجهد إلى أواخر أيام عثمان (رض) حيث تغلبت فئة من بطائنه وتولت الاعمال . وانتشرت في البلاد تأمر وتنهى حسب الأهواء . وتنال مآثره من الملاذ والملاهي التي حرمها الشرع الشريف ولم يعتدها المسلمون من قبل ولم يستطيعوا الصبر عليها ولا غضاء عن فاعليها ، فكان من

(١) انظر ص ١٣٩ من الأخبار الطوال للدينوري وج ٣ ص ٣ من تاريخ ابن الاثير

وج ٣ ص ٢٢٤ من شرح النهج نجد تفصيل استشارة عمر لعلي وقول علي له « إن الاعاجم إن ينظروا إليك غدا يقولوا هذا اصل العرب فإذا اقتطعتموه استرحتم »

(٢) صفحة ٤٤٨ من محاضرات الشيخ الحضري المصري (٣) صفحة ١١٠ من

الصواعق وصفحة ٦٦ من تاريخ الخلفاء للسيوطي

الطبيعي أن ينهضوا ويملاؤوا الأرض والسماء بصدى أصواتهم الحرة واستنكار انهم
الشديدة ليشهدوا الله سبحانه وأنواع خلقه على أن هناك من لم يزل ينكر
« شرب الخمر والزبادة في الفريضة (١) » وتزوير الكتب والأسراف والبذخ : ومن
لم يزل ، قفًا بالرصاد يرقب أعمال تلك الفئة التي أهدر النبي ﷺ دم
بعضها وتبقى البعض الآخر .

ولما أسمعوا عثمان ذلك وأعلموه ما خفي عليه من تلك الأعمال عزل البعض
وأُنبأ آخرون . ولكنهم عادوا فتغلبوا ثانياً وازدادوا طغياناً . فقام حينئذ المهاجرون
والانصار وجاءت مصر « بلد الرحالة » والعراق « شعبة طالحة والزبير يومئذ »
وكان ما كان - بسبب تلك الفئة - مما ذكره قريباً :

وإذا علمت تلك الأعمال - ولو إجمالاً - فلا شك أنه يحصل لديك صورة
جلية وضاعة تريك العوامل الدافعة للأمة على قيامها ضد تلك الفئة وتوضح لك
الأسباب التي جرأت أحبيش مصر على قتل عثمان (رض) الذي جعل وسيلة
بعده لإحداث فتنة الجمل : صفيين :

✽ سر المناهضة لعلي والغاية منها ومن ناهضه ✽

كانت تلك الفئة على يقين من صلابة أمير المؤمنين (ع) في دينه ومن أنه
« لا يمالى ولا يجابي ولا يدهن (٢) »

(١) ذكر أبو الفداء - ج ١ ص ١٦٧ من تاريخه « أن الوليد بن عقبة بن أبي
معيط شرب الخمر وصلى بالمسلمين الفجر أربع ركعات وهو سكران وقال بعد الفراغ
أأزيدكم ؟ وفي ذلك يقول الخطيب

شهد الخطيب يوم يلقى ربه أن الوليد أحق بالفساد
نادى وقد تمت صلاتهم أأزيدكم ثلثاً وما يدري

وذكر ذلك المصمودي (ج ١ ص ٤٣٥) من مروج الذهب وقال (إن الوليد
هذا ممن أحبر النبي (ص) بأنه من أهل النار)

(*) إننا ذكرنا مناهضة القوم لعلي غاية السلام لأنها في جملة الأسباب التي أوجبت
مناهضة الشيعة لنبينا امية (٢) انظر إلى صنعه مع أخيه عقيل الذي طلب الزيادة عما
يستحق من بيت المال بسبب إملاقه الذي سول له أن يقصد معاوية/

وكانت تعتقد أيضاً انه لو تولى الخلافة لقضى على آمالها وشهواتها . ولحلها على الحق الذي لم تنذوقه .
 وكان لديها أمر آخر لا يغيب عن مفكرتها وإن أخفته خوفاً من «الدرّة»
 أيام الثاني واملهيا بالحكم ونيل الآمال أيام الثالث . وذلك الأمر هو ثأر اقربائها
 عند علي الذي افنى أكثرهم أيام احد وبدر وحنين وغيرها كما هو معروف في
 التاريخ :

« جاء الوليد بن عقبة إلى علي (ع) فقال — يا أبا الحسن إنك قد وترتنا
 جميعاً — أما أنا فقد قتلت ابني يوم بدر صبراً، وأما سعيد بن العاص فقتلت أباه
 يوم بدر وأما مروان بن الحكم فسخطت أباه عند عثمان إذ ضمه إليه . ونحن نياهمك
 على ان تضع عنا ما أصبناه من المال أيام عثمان (١) . »
 وعادة الأخذ بالثأر كان لها الأهمية العظمى عند العرب أيام الجاهلية وبقيت
 عندهم حتى في أيام عز الإسلام وقوة الدين الذي حرم ذلك اشد تحريم :
 وقد حدثنا التاريخ عن قتل « جفينة والمرزان » بمجرد اتهامها بالملااة
 على قتل الخليفة الثاني (رض) . وزد على ذلك أن تلك الفئة لم تكن مخلصة
 في تدبيرها ولا دخل الدين قلبها تماماً حتى ينسبها العادات الجاهلية ، وحتى يحجزها
 عن الشر وقلب ظهر المجن للمسلمين ، وحتى يمسكها من الإشفاق عن الأمة
 الإسلامية التي اجتمعت حول علي (ع) وبابيعته :

فلا غرابة إذن في مناهضة الهوسبها إياه على المناير رغم قول النبي ﷺ
 « من سب علياً فقد سبني (٢) » ولكن من الغرابة بمكان قيام عمرو بن العاص
 معها بطالب بدم عثمان ولهم السهم الأوفى في التحريض عليه حتى انه اعترف
 بقتله في قوله لما بلغه قتله « انا قتلته وانا بوادي السباع (٣) »

(١) شرح النهج ج ٢ ص ١٧٢ . (٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٦٧ والصواعق

ص ٧٦ (٣) ابن الأثير ج ٣ ص ١٠٩

ثم اخذ بتباكي عليه وبناصر من اتخذ هذه الواقعة « المدبرة » وسيلة إلى مآربه الشخصية (١) . ولا ريب في أن الدافع لعمره على ذلك ليس الحب لعثمان ولا معاوية ، وإنما الدافع القوي له هو طمعه في دنيا معاوية وحب التشنيع على امير المؤمنين (ع) ولذلك « قال لعائشة (رض) — لوددت أنك كنت قتلت يوم الجمل . فقالت ولم لا أبأ لك ؟ قال كنت تموتين وتدخلين الجنة ، ونجعلك اكبر التشنيع على علي (٢) »

وعمره هو الذي اشار على معاوية بنشر قميص عثمان على منبر الشام ليثير حنق اهلها على من « كان من اكبر المساعدين لعثمان والذابين عنه . وما زال عثمان يلجأ إليه في دفع الناس عنه فيقوم في دفعهم القيام المحمود (٣) كل هذا فعله علي (ع) في سبيل عثمان وهم كانوا بين محرض عليه وخاذل له (٤) وقد ذكرنا سابقا كتاب عثمان إلى معاوية يستنصره فيه على الصحابة ، وذكرنا إخفاء معاوية الكتاب عن اهل الشام لئلا يعلموا تخاذله عن نصرته . فلا يتمكّن بعدئذ من سوقهم لحرب علي واتهامه وحده بدم عثمان والمالاة عليه وإن معاوية وزملاءه كانوا يعلمون أن الذين قتلوا عثمان كانوا اثنين أو ثلاثة من اهل مصر وإن اثنين منهم قتلوا في دار عثمان فوراً — كما في ج ١

(١) يدلنا على ذلك أن معاوية لم يطالب أحد بدم عثمان بعد نيل مراده ولم يتعرض لمن أطاعه من المؤيدين عليه بل قرب أكثرهم وأكرمهم ولما « دخل دار عثمان بعد عام الجماعة صاحت عائشة ابنة عثمان وبكت ونادت أباهما فقال لها معاوية — لئن تكوئي ابنة عم أمير المؤمنين خير من أن تكوئي من عرض الناس (العقد الفريد ج ٣ ص ١٢٦) نعم لم يتعرض لاعداء ايها ولا وعدا بشي من ذلك بل اراد اقناعها بأنه صار امير المؤمنين ؟ (٢) ج ١ صفحة ٢٩٧ من تهذيب الكامل للهرود (٣) الفخري ص ٧٧ (٤) يشهد الشهرستاني — ج ١ صفحة ١١ من ملله — انه كان امراء جنود عثمان — معاوية عامل الشام . وسعد بن ابي وقاص عامل الكوفة وبمده الوليد بن عقبة بن ابي معيط . وعبد الله بن عامر عامل البصرة . وعبد الله بن ابي سرح عامل مصر . وكلهم خذلوه ورفضوه حتى أتى قدره عليه »

ص ١٦٨ من شرح النهمج وان الثالث قُتل في مصر مع ابن أبي حذيفة قبل واقعة صفين كما في ج ٤ ص ١٤٩ من المقرئزي . ويعلمون ايضا براءة علي من دم عثمان . ولكن الاميرة والملك العضوض وضعف التدين هي وحدها — لا دم عثمان — التي دعمتهم وحفزتهم لحرب « من كان مع الحق في جميع احواله يدور الحق معه حيث دار (١) »

ولولا الاستعانة على حرب علي (ع) لما سخر معاوية بمصر (٢) وجعلها طعمة لابن العاص كما أن ابن العاص — لولا ولاية مصر — لم يُبعن معاوية تلك الاغانة المخزبة في صفين حتى أبدى سوائه (٣) لينجو من « ذي الفقار »

(١) ملل الشهرستاني ج ١ ص ٥٨ (٢) يقول العقد الفريد (ج ٣ ص ١١٣) « علم معاوية والله إن لم يبايعه عمرو بن العاص لم يتم له أمر . فقال له يا عمرو أتبني قال لماذا ؟ الآخرة فوالله ما معك آخرة ام الدنيا فوالله لا كان حتى أكون شريكك فيها قال معاوية أنت شريكى قال عمرو فاكتب لي مصر وكورها فكتبها له وكتب في آخر الكتاب — وعلى عمرو الطاعة والسجع قال عمرو واكتب انها لاينة صان من شرطه شيئاً قال معاوية لا ينظر الناس إلى هذا قال عمرو حتى تكتب فكتب معاوية والله لا يجد بدا من كتابتها . ودخل عتبة بن أبي سفيان على معاوية وهو يكلم عمرا في مصر وعمرو يقول له إنا ابا بك بها ديني . وإلى ذلك يشير عمرو في قوله

معاوي لا أعطيك ديني ولم أنل به منك ديناً فانظرن كيف تصنع »

(٣) ذكر المؤرخون مبارزة عمرو بن العاص لأمير المؤمنين (ع) وانه لما هم أن يملو عمراً بالسيف كشف عمرو عن سوائه فتتجى عنه أمير المؤمنين ومال بطرفه تكريماً وحياء . من هذا المنظر المريب والمخجل وكذلك فعل بسرين أوطاة لما صرعه أمير المؤمنين وقد ضرب بهذه المكرمة العلوية المثل وعُد عفوه عنهما من المكارم والسودد والمشمراء فيهما آيات شهيرة منها قول أبي فراس الحمداني .

ولا خير في دفع الرمدى بمذلة كما ردّها يوماً بسوائه عمرو

وقول ابن منير الطرابلسي في وصف عمرو :

بطل بسوائه يقاتل لا بصارمه الذكر

وقول الحرث الغشمعي يخاطب معاوية

أني كل يوم فارس لك ينتهي وعورته وسط العجاجة بادية؟

الذي 'سل' عليه . وليرى ولاية مصر التي كانت تعدل — بنظره — الخلافة بقول المقرئ « وكان يقول عمرو بن العاص = ولاية مصر جامعة تعدل الخلافة (١) هذه بعض أعمالهم في سبيل الملك وهذه انانيتهم الذميمة في الأمرة .

وفي سبيل الملك استلحق معاوية زياد بن عبيد الرومي . وقتل صبراً حجر ابن عدي الكندي الصحابي الجليل « وهو أول من قتل صبراً في الإسلام (٢) » وقد تقم جماعة من المسلمين على معاوية هذه الأحداث العظيمة في الإسلام كان أشدهم الحسن البصري القائل « اربع خصال كن في معاوية لو لم تكن فيه إلا واحدة لكانت موبقة ، انتزاعه على هذه الأمة بالسيف ، واستخلافه بعده ابنه يزيد مكبراً خميراً ، باليس الخبير ، وبضرب بالطنابير ، وادعائه زياداً وقد قال رسول الله ﷺ الولد للفراش وللماهر الحجر ، وقتله حجر بن عدي واصحابه . فيا وبلا له من حجر واصحاب حجر (٣)

وما لنا نسهب في الكلام ونذهب بعيداً في الاستدلال ولدينا إخوان معاوية لابن العاص الذي يعلم بتحريضه الشديد على عثمان فإنه أكبر دليل على أنه ما أراد بخروجه على الإمام دم عثمان . وإنما أراد الملك العضوض الذي حرص عليه وبذل جهده في سبيل احتكاره لولده يزيد غير مكترث بما ينال الإسلام والمسلمين من هذا الاحتكار البغيض ، وبما ينتجم عنه من الفتن التي 'تودي بالملك وتزعزعه من أساسه وتوجب قتل الاخ لاخيه في سبيله :

يكف لها عنه علي سنانه ويضحك منها في الخلاء معاوية
فقولا لعروم بسر الا انظرا لنفسكما لا تلقيا الليث ثابته
ولا تحمداً إلا الحبا وخصاكما هما كاتتا والله للنفس واقية

(١) ج ١ ص ٢٧١ من خطه (٢) مروج الذهب ج ١ ص ٥٤ (٣) ابن الأثير

ج ٣ صفحة ١٩٣ ومحاضرات الراغب الإصبهاني ج ٢ صفحة ٢١٣ .

✽ مناهضة المسلمين لبني أمية والسر في ذلك ✽

تذكر الآن ما قدمناه = قبل صفحات = من سيرة النبي العظيم ﷺ وقوانينه العادلة التي سار على ضوئها الواج خلقاؤه الراشدون (رض) . وتذكر أيضا سيرة ابن أبي سفيان وابنه يزيد وامثال يزيد من آل مروان « أو تلك الذين استبدوا بالسلطة » وجعلوا الرعية وأموالها ملكا لهم يتوارثونها ويتصرفون فيها بما شاءوا حتى إذا ظهر فيهم عادل يحاول وضع الحق موضعه كعواوبة الأصغر ، وعمر بن عبد العزيز (١) ألزموه بقوة العصية على أن يجري في طريقهم أو يخلع من الملك (٢)

أضف إلى ذلك إمتنانهم لآئمة الحديث والفقه وبيعهم لأحرار العرب (٣) الذين خدموهم أكبر خدمة وأهدوا ملكهم ونصبوا لأجلهم العداء لأهل البيت (ع) .

(١) « كان عمر هذا من أعدل بني مروان ولذا أحبه الناس وجنحوا في أيامه إلى السكينة وكان يرأف بشيعة الكوفة ويكتب إلى عامله بالعراق « أما بعد فإن أهل الكوفة قد أصابهم بلاء وشدة وجور في أحكام الله وسنة خبيثة سنها عليهم حال سوء » ج ٥ ص ٢٣ من ابن الأثير « وتوفي عمر سنة ١٠١ هـ بالسّم عند أكثر أهل النّقل . فإن بني أمية علموا إن امتدت أيامه أخرج الأمر من أيديهم ولا يهدده بدمه إلا لمن يصلح للأمر فعاجلوه وما أمهلوه انظر ج ١ ص ٣٠١ من أبي الفداء ، وأما ابن الأثير فيجزم « بأن بني أمية خافوا أن يخرج ما بأيديهم من أموال وأن يخلع يزيد من ولاية العهد فوضعوا على عمر من سقاء سحاً فلم يابث حتى مرض ومات ج ٥ ص ١٨ من تاريخه

(٢) من مقال لصاحب المنار ج ٩ ص ٢٤ (٣) يحدثنا الطبري وابن الأثير « أن الوليد ابن يزيد جلس للناس ويوسف بن عمر عنده فأرسل الوليد إلى خالد بن عبد الله القسري أن يوسف يشتريك بـ ٣٠ ألف فإن كنت تضحنها وإلا دفعتك إليه فقال خالد - ما عهدت العرب تباع - فدفعه إلى يوسف فترعه يوسف ثيابه ودرّعه عباءة ولمعه بأخرى وحمله في حمل بغير وطأ ، ثم ارتحل به نحو الحيرة فلما وصل أتى بخالد فدعا بهود فوضع على قدمي خالد ثم قامت عليه الرجال تضربه حتى تكسرت قدماه ثم على ساقيه حتى كسرتا ثم على حقويه ثم على صدره حتى مات ودفن بعباءته بناحية الحيرة سنة ١٢٦ هـ - ج ٩ ص ٢١ ومجلد ٥ صفحة ١٠٣ من تاريخيهما

نعم تذكر كلتا السيرتين وقارن بينهما ليتضح لديك السر في مناهضة
الامة الإسلامية جمعاء لبني امية . لا خصوص الشيعة كما بلوح من كلام
الرحالة ثابت .

بدلك على ذلك التعميم نهضة المدينة المنورة بعد نهضة الحسين المبارك
ولما خمدت نهضة المدينة «أباحها قائد يزيد بن معاوية ثلاثة أيام لاهل الشام
يفسقون بالنساء ويقتلون فيها الناس حتى قتل من وجوه المهاجرين والانصار سبعمائة
ومن وجوه الموالي عشرة آلاف» ثم ان قائد يزيد بايع من بقي من الناس على أنهم
خول وعبيد ليزيد بن معاوية (١) «

ويقول ابن قتيبة «قتل في المدينة من النساء والصبيان عدد كثير» وكان
الجند يأخذ برجل الرضيع فيجذبه من امه ويضرب به الحائط فينتثر دماغه على
الارض وامه تنظر اليه (٢) ويقول الفخري «ان الرجل من أهل المدينة كان
إذا زوج ابنته لا يضمن بكارتها لعلها قد افتضت في وقعة الحرة (٣)» حيث
«افتض فيها ألف عذراء من بنات المهاجرين والانصار (٤)»

فاحتاج لذلك ولغيره مكة المكرمة . وتحصن أهلها في البيت الحرام آمين ان
يراعي الامويون حرمة هذا البيت للمقدس حتى عند الجاهلية الأولى . ولكن
الحصين بن نمير قائد الجيش الاموي قد خيب أمل المكين وراح يقذف الكعبة
المشرقة التي التجأوا إليها بالمنجنيق والنار :

وأهل المدينة ومكة كان أكثرهم يومئذ إن لم نقل كلهم من غير الشيعة
بل كان الرئيس في مكة عبد الله بن الزبير وميله عن علي وشيعته مشهور ومعروف (٥)

(١) ابو الفداء مجلد ١ صفحة ١٩٢ (٢) الامامة والسياسة صفحة ٢٠٠

(٣) صفحة ١٠٥ منه (٤) تاريخ الخلفاء للسيوطي صفحة ٩٩ (٥) انظر المقد الفريد

مجلد ٣ صفحة ١٥٧ تجد إسقاطه اسم النبي (ص) من الخطبة اربعين جمعة ثلثا يفتخر
بذكره قومه . وانظر تهذيب الكمال للمبرد مجلد ١ صفحة ١٢٩ تجد بغض ابن
الزبير للطويين وسجنه لهم في سجن عارم وعزله على حرقهم فيه «

ومثله محمد بن الاشعث الذي نهض في مرج راهط ضد عبد الملك بن مروان :

❖ نهضة الشيعة ضد بني أمية وأسبابها ❖

كانت با كورة النهضات ضد الامويين (بعد معاوية) نهضة الشيعة كما علمت

: نهضوا مع سيد الأباة وسبط الرسالة إمامهم الحسين بن علي عليها السلام .
وردوا قوله « لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما »

وقد أجملت أسباب هذه النهضة الشريفة في ضمن الكلام عن مقتل الحسين وأصحابه فلا حاجة إلى الإعادة . وإنما نحن بحاجة إلى التنبيه على أن هذه النهضة الحسينية هي التي نهت الأفكار . وحفزت الهمم الخاملة . وجرات الأمة الإسلامية على الجهر بالنكار ما رأته من أعمال الامويين المنافية لقوانين الدين الحنيف . وعلى إباء الذل والخنوع والضغط والاضطهاد :

ولذلك نرى تتابع النهضات الإسلامية على أثر النهضة الحسينية الواحدة تلو الأخرى ، ونرى بعض الزعماء يفتخرون بالتأسي بسنة الحسين (ع) حتى ان مصعب بن الزبير كان يثبت نفسه على حرب عبد الملك بقوله

وإن الأتلى بالطف من آل هاشم تأسوا فسنوا للكرام التأسيما

وكان أول نهضة شيعية بعد الحسين (ع) هي نهضة التوابين ثم نهضة شيعة الكوفة مع المختار . وكان السبب لهاتين النهضتين مزدوجاً من الاخذ بالتأثر ومن كراهية الحياة بالذل واحتمال الضغط والاضطهاد :

وبعدهما نهض زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام وكانت نهضته كنهضة جده في أيام قوة الدولة الاموية وميعة صباها ، وسعة سلطانها ، فقول الرحالة المصري « لكن لما قويت الدولة الاموية اختفت الشيعة » بعيد عن الصواب .
وسبب نهضة زيد — على ما أرى — هو ما رآه من ظلم هشام بن عبد الملك وخالد القسري ويوسف بن عمر وعبتهم بحقوق الأمة وهتكهم نواويس الشرع . واحتقار هشام بالخصوص لزيد وأخيه الامام الباقر عليها السلام

حتى انه « لما دخل زيد على هشام قال له ما فعل اخوك البقرة ؟ فغضب زيد حتى كاد يخرج من اهايه ثم قال لهشام . ساء رسول الله باقراً وتسحميه انت البقرة . لشد ما اختلفتما . لتخالفته في الآخرة كما خالفته في الدنيا . فقال هشام خذوا بيد هذا الاحق المائق (١) »

« فخرج زيد من عند هشام وهو يقول = ما كره قوم قط جرّ السيوف إلا ذلّوا (٢) » وهو يد كون السبب في نهضة زيد ما رآه من ظلم القوم وفسقهم ما رآه المقرئ قال « سئل جعفر بن محمد الصادق عن خروج زيد . قال خرج على ما خرج عليه آباؤه (٣) ويرى الحضري المصري « ان سبب خروج زيد بن علي هو ظلم يوسف بن عمر وسوء تدبيره (٤) » والا قرب ما تقدم وما ذكره الحضري من جملة الاسباب الأولى لا أنه سبب وحده .

ثم انا لا ننكر أن الشيعة كما ناهضوا الدولة الاموية أباهم قوتها ناهضوها أيضاً أباهم ضعفها وبدء اضمحلالها : فهذا يحيى بن زيد المتقدم ذكره قد نهض أباهم ضعف الدولة والدين أيضاً وناهض في سنة ١٢٥ هـ الوليد بن يزيد بن عبد الملك المخاطب لكتاب الله العزيز بعد ان ألقاه « ورماه بالسهم تهددني بجبار عنيد فها أنا ذاك جبار عنيد

إذا ما جئت ربك يوم حشر فقل يارب مزقني الوليد - (٥)

ومع هذا القول يعدونه (وباللاسف) من خلفاء الاسلام وبعدهم ون الخروج عليه جريمة لا تغفر وخطأ عظيماً كما عدّ بعضهم خروج الحسين على يزيد سلف الوليد من هذا القبيل :

(١) بتأخير من عبون الاخبار مجلد ١ صفحة ٢١٢ وشرح النهج مجلد ١ صفحة ٣١٥ (٢) خطط المقرئ مجلد ٤ صفحة ٣٠٩ (٣) الخطط مجلد ٤ صفحة ٣٠٧ (٤) صفحة ٦١٠ من معاضراته (٥) مجلد ٥ صفحة ١٠٧ من ابن الاثير ويقول البيهقي - صفحة ٩٧ من تاريخ الخلفاء - إن الوليد هذا كان فاسقاً خميلاً لواطلاً راود اخاه سليمان عن نفسه ونكح زوجات ابيه «

وأما خروج معاوية على أبي الحسين فهو بنظر البعض لمصلحة الأمة . وهذا
 = بلا ريب = تعصبٌ ذميم ، وخروج عن جادة الإنصاف .

وأي مصلحة رأت الأمة في خروج معاوية وفي سبه أهل البيت على منبر جدم (ص)
 حتى أوغر بذلك صدور الشيعة وجعلهم يتربصون الفرص للنهضة ضد الدولة الاموية
 بل أي مصلحة للإسلام في أن «يقول جماعة معاوية لحجر بن عدي وأصحابه
 إنا أمرنا أن نعرض عليكم البراءة من علي والمعلن له . فإن فعاثم تركناكم وإن
 أيتهم قتلناكم . فقالوا السنا فاعلي ذلك . . فحُفرت لهم القبور . وأحضرت الاكفان
 وقام حجر وأصحابه بصاًون عامة الليل فلما كان الغد قدموا فقتلوا (١)

حكى ذلك ابن الاثير ثم شفع هذه الحكاية الفظيعة بانقطع منها قال «قال
 معاوية الكريم الخثعمي — ما تقول في علي ؟ قال أقول فيه قولك . قال معاوية
 أتبرأ من دين علي الذي يدين الله به ؟ فسكت الخثعمي (٢)»

وحق له السكوت لان علياً لم يدين بغير دين الاسلام في حياته كلها بل
 «والله لولا سيفه لما قام عمود الاسلام . وهو بعد أفضى الامة وذو سابقة لها وذو
 شرفها (٣) بل

«ولولا أبو طالب وأبوه لما مثل الدين شخصاً فقاما

فذاك بمكة آوى وحامي وهذا يشرب جساً الحساما (٤)»

وعلى الإجمال فإن هذه السنة السيئة — سنة السب — كانت متبعة عند
 الامويين . وهي السبب الرئيسي لاكثر نهضات الشيعة الذين كانوا يسمعون سب
 أئمتهم جهاراً من بني أمية وعمالهم أمثال زياد وإبنة ، وخالد القسري و يوسف
 ابن عمر ، والحجاج بن يوسف الذي قال عنه عمر بن عبد العزيز «لوجأت كل

(١) ابن الاثير مجلد ٣ صفحة ١٩٢ وجزء ١٦ صفحة ٩ من الاغانى (٢) نفس

المصدر (٣) قال ذلك عمر بن الخطاب (رض) في جواب من نسب علياً أمامه إلى
 النبي فقال له حق لئله ان يتيه البخ انظر مجلد ٣ صفحة ١١٥ من شرح النجج (٤) من
 ابيات لابن ابي الحديد في مدح ابي طالب ذكرها مجلد ٣ صفحة ٣١٧ من شرحه

أمة بجيشها، جئنا بالحجاج لفلبنام (١)» وقال عنه الامام الاوزاعي «كان الحجاج ابن يوسف بنقض عرى الاسلام عروة عروة (٢)»

ولا تستغرب هذين القولين فان الحجاج «كان أفضل عبد الملك بن مروان على الملائكة المقربين والانبياء المرسلين ويقول: ويحكم أليفة أحدكم في أهله أكرم عليه ام رسوله إليهم؟» (٣) ومع هذا القول كان عبد الملك «يقول الحجاج جلدة ما بين عيني وأنفي (٤)»

❖ عدم تشيع الفرس أيام الدعوة العباسية ❖

عرفت الاسباب التي سببت مناهضة الشيعة للدولة الأموية في حالي القوة والضعف معاً والتي أوجبت مقت الشيعة للحكم الأموي الجائر . ودفعت بعضهم إلى الاشتراك مع العباسيين في العراق على العمل ضد الأمويين لا «في خراسان تحت راية أبي مسلم الخراساني» كما زعمه الرحالة المصري . لان أهل خراسان لم يكونوا — يومئذ — من شيعة العلويين . وإنما كانوا من شيعة العباسيين ودعاتهم وهكذا كان أبو مسلم الخراساني .

يقول الطبري «وفي هذه السنة سنة ١٢٠ هـ وجهت شيعة بني العباس في خراسان إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس — سليمان بن كثير إمامه أمرهم وما هم عليه . . وفيها وجّه محمد هذا كبير بن ماهان إلى شيعته بخراسان وكتب معه كتاباً يعلمهم به أن خدشاً حمل شيعته على غير منهاجه (٥)»

ويقول ابن خلدون «وأما الكيسانية فساقوا الإمامة من ابن الحنفية إلى ابنه أبي هاشم إلى أن انتهى إلى المنصور ثم قال وانتقلت في ولده بالنص والعهد . وهذا مذهب الهاشمية القائمين بدولة بني العباس . وكان منهم أبو مسلم الخراساني

(١) ابن الاثير مجلد ٣ صفحة ٢٢٣ و مجلد ٣ صفحة ٢٥٣ من المقد الفريد

(٢) نفس المصدر (٣) مجلد ٣ صفحة ٢٥٥ من المقد الفريد (٤) نفس المصدر

(٥) مجلد ٨ صفحة ٢٤٩ من تاريخه

وسايجان بن كثير وابو سلمة وغيرهم من شيعة العباسية (١) »

ويقول الخضرى المصرى « كل هذه المشاغل شغلت مروان بن محمد عن خراسان فكان ذلك اكبر مساعد لشيعة بنى العباس ورئيسهم المقدم أبى مسلم الخراسانى فى التغلب على خراسان ومبايعة أهلها على الرضا من بنى العباس (٢) » فأتت ترى أن الطبرى وابن خلدون والخضرى لم يجعلوا الخراسانيين ولا أبى مسلم الخراسانى وزملاءه فى الدعوة العباسية من الشيعة العلوية وإنما جعلوهم من اشباع العباسيين والقائمين بدولتهم .

ولقد أخرج الصادق جعفر بن محمد أهل خراسان من الشيعة « يوم جاء عبد الله المحض وقال للصادق (ع) هذا كتاب أبى سلمة يدعوني فيه إلى الخلافة قد وصل على يد بعض شيعتنا من أهل خراسان . فقال الصادق — ومنى صار أهل خراسان من شيعتك وهم يدعون إلى غيرك ؟ فقال عبد الله كأن هذا الكلام لشيء ؟ فقال الصادق (ع) — قد علم الله أنى أوجب النصح على نفسي لكل مسلم فكيف أدخره عنك ؟ وقد جاءني مثل هذا الكتاب الذي جاءك فأحرقته (٣) » وأخرجهم أيضا من التشيع محمد بن علي بن عبد الله بن عباس فى كتبه التى قالها الرجال الدعوة حينما أراد بثهم فى البلدان . قال « أما الكوفة وسوادها فهناك شيعة على بن أبى طالب . وأما البصرة فعثمانية تدعى بالكف . وأما الجزيرة فحرورية مارقية . وأما أهل الشام فليس يعرفون إلا آل أبى سفيان وطاعة بنى مروان . . . وأما أهل مكة والمدينة فقد غلب عليها أبو بكر وعمر . ولكن عليكم بخراسان فإن هناك العدد الكثير . والجلد الظاهر . وصدور سليمة وقلوب فارغة لم تنقسمها الأهواء . ولم تتوزعها النحل ولم تشغلها ديانة (٤) »

(١) صفحة ١٤٥ من مقدمته ولكن المقرئ قد خالفه فى تسمية هؤلاء . فأسامهم باسم الرزائية لا الهاشمية وإن وافقه على غير ذلك انظر خطه مجلد ٢ صفحة ١٧٧
(٢) صفحة ٢٢٩ من محاضراته (٣) صفحة ١٣٧ من الفخرى فى الآداب السلطانية
(٤) « عيون الاخبار لابن قتيبة مجلد ١ صفحة ٢٠٤ »

وإن هذه الكلمة الصادرة من هذا الرجل الكبير الخبير بتلك البلدان .
والعلم بمذاهب أهلها ونزعاتهم . لا صرح دليل على عدم تشيع الخراسانيين في ذلك
العهد . بل يظهر منها انحصار التشيع أو كثرته في الكوفة وسواها لكن حملها
على الكثرة أولى لان وجود الشيعة يومئذ في جبال عامله وقم ونيسابور وما لا ريب
فيه على الظاهر . وخصوصاً في قم: يخبرنا بقوت الحوي «ان قم مصرت سنة ٨٣ هـ
على يد بني سعد بن مالك بن عامر الاشعري . وكان متقدماً هؤلاء البنين عبد
الله بن سعد وكان له ولد قد ربي بالكوفة فانتقل منها إلى قم وكان إمامياً .
وهو الذي نقل التشيع إلى أهلها فلا يوجد بها سني قط (١)»

والذي يدل أيضاً على براءة التشيع من أبي مسلم وإخوانه الخراسانيين —
قول الشيرستاني عن إبراهيم الامام العباسي «وهو صاحب أبي مسلم الذي دعاه اليه وقال
بإمامته وتبعه قوم من خراسان ساقوا الامامة إليه . وقالوا له حظ فيها ثم ادعوا
لحلول روح الأئمة فيه . ولهذا ايدوه على بني أمية حتى قتلهم عن بكرة أبيهم (٢)»
وإليك (زيادة عما تقدم من الأدلة على عدم تشيع الخراسانيين أيام الدعوة
وما قبلها) ما يدل على بقائهم على ذلك إلى القرن الرابع والخامس . وبذلك
على عدم تشيع غيرهم من بلاد فارس أيضاً

يقول أبو بكر الخوارزمي (المتوفى سنة ٣٨٣ هـ) في رسالته إلى جماعة
الشيعة بنيسابور بعد ان عدد اعمال الامويين قال « فبعث عليهم أبا مجرم لأباً
مسلم فنظر لا نظر الله إليه إلى صلابة العلوبة ولين العباسية ، فترك لقاءه ، واتبع
هواه ، وباع آخرته بدنياه ، وسلط طواغيت خراسان ، وخوارج سجستان ،
واكراد اصفهان على آل أبي طالب يقتلهم تحت كل حجر ومدر ، حتى سلط الله
عليه احب الناس إليه (٣) فقتله كما قتل الناس في طاعته ، وأخذه بما أخذ

(١) مجلد ٧ صفحة ١٦٠ من مجموع (٢) ج ١ ص ٨٧ من ماله (٣) يشير بذلك
إلى المنصور العباسي الذي قتل أبا مسلم الخراساني سنة ١٣٧ هـ بعد أن وطد الملك العباسيين
وبناه لهم على الجماجم الفارسية فكان جزاؤه منهم جزاء سوار

الناس في بيعته (١) »

وهذه الكلمة نفهمنا = زيادة على كره ابي مسلم للشيعة و كونه غير شيعي = ان التشيع لم يكن إلا نادراً في البلاد الفارسية أيام ابي مسلم والدعوة العباسية ، بل ولا كان فاشيا حتى في خراسان بلد ابي مسلم وحتى في بلد كبير كل صفهان وسجستان .

وبو كد ذلك في ختام هذه الرسالة بقوله « فإن كان التشيع قد كسد في خراسان فقد نفق في الحجاز والحرمين ، والشام والعراقين . ونسأله تعالى أن لا يكلنا إلى انفسنا ، وان يعيدنا من روايات الكيسانية ، و كذب الغلاة الخطابية ، وأن لا يحشرنا على نصب إصفهاني ، ولا على بغض لأهل البيت طومى أو شاشي »

وهذا ابن الأثير يخبرنا بما يوافق الخوارزمي على كون اهل طوس كانوا من بغضي أهل البيت في أواخر عصر الخوارزمي قال « إن محمود بن سبكتكين جدّ عمارة المشهد بطوس الذي فيه قبر علي بن موسى الرضا وأحسن عمارته وكان أبوه سبكتكين أخربه . و كان اهل طوس يؤذون من يزوره فمنعهم ابنه عن ذلك . وكان سبب فعله ذلك . انه رأى في المنام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام وهو يقول له إلى متى هذا ؟ فعلم انه يريد امر المشهد فأمر بعمارته (٢) »

واليك ايضا ما يدل على عدم تشيع الخراسانيين في أواخر القرن الثاني ما رواه البيهقي من « ان المأمون العباسي هم بأن يكتب كتاباً في الطعن على معاوية . فقال له يحيى بن أكثم = يا امير المؤمنين العامة لا تتحمل هذا ولا سباً اهل خراسان . ولا تأمن ان يكون لهم نقرة (٣) »

(١) ص ١٢٨ من رسائله (٢) ج ٥ ص ١٣٩ من تاريخ ابن الاثير (٣) ج ١ ص ١٠٨ من المحاسن والمساوي للبيهقي

الإستنتاج

فإذا علمت ان خراسان وسجستان واصفهان كانت غير شيعية ابان ابي مسلم الخراساني والدعوة العباسية ، وان اصفهان وشاش وطوس — وهي مدفن الامام الثامن للشيعة — كانت ناصبة العداء لآل البيت العلوي ابان الخوارزمي وابن سبكتكين المذوف سنة ٤٢١ هـ وان خراسان كانت متوالي معاوية ابان للمأمون . إذا علمت ذلك كله فامأل معنا الرحالة المصري عن القرن الذي قصده في قوله « رأيت فارس في الشيعة خير هادم للاسلام ولملك بني العباس » هل هو القرن الثاني او الثالث او الرابع او القرن العاشر ؟ الذي ظهرت فيه الدولة الصفوية العلوية . وجعلت التشيع مذهباً رسمياً في فارس وبشته في البلاد حتى صار جل السكان امامية اثني عشرية ولم يزلوا كذلك الى اليوم وظنه بقصد القرن الثاني لان فيه تولدت الدولة العباسية التي « قضت — بزعمه — على استقلال فارس وقوميتها »

وبما انك علمت == بماتقدم == ان الشيعة في هذا القرن لم يكونوا في فارس غير افراد قليلين في (قم) متسترين لاسنطيعون التظاهر بمذهبهم ولا الدعوة له . فلا أظنك الاحكاماً بان هدم الاسلام الذي زعم الرحالة حصوله يومئذ من الفرس إنما كان على يد غير الشيعة لان أكثرية السكان الساحقة كانت وقتئذ في جانب غير الشيعة . وكان السلطان لتلك الاكثرية والقوة معها . وكان منها العلماء الذين ترأسوا ومؤيدوا في الاقوال والاعمال . ومنها الدهاة المحنكون في الدعاية والتلبيس :

ومن البديهي = ان هدم العقيدة وكذا المذهب والملك إنما هي من الامور التي لا يتمكن منها غالباً غير أولى السلطان والقوة العلمية والمادية . وهي باجمعا لم تكن متوفرة لدى افراد الشيعة القليلين في فارس يومئذ :
والذلك لما توفرت لديهم = ابان الشاه عباس الصفوي = تغلب المذهب الشيعي

على غيره هناك ونال الا كثرة . وإليك مثلاً من تأثير السلطان والقوة في هدم العقيدة وبناء غيرها في القلوب = ما فعله السلطان السفياني ثم المرواني فلم يبق بعده أن يهدم = بقوته الغاشمة = عقيدة التمسك بالعترة النبوية بنى عقيدة التصب لهم والتقرب إلى الله تعالى — عقيب كل فريضة = بسبهم . وتمكنت هذه العقيدة من قلوب جماعات كثيرة حتى جهرت بها في أغلب البلاد الإسلامية وحتى « كان أهل حرّان حين أذهل لعن أمير المؤمنين عن المنابر في أيام الجمع = امتنعوا من إزالته وقالوا = لا صلاة إلا بلعن أبي تراب (١) »

وهكذا فعل السلطان الأيوبي في مصر فإنه بعد أن « تقوى على العاصد الفاطمي وألغى الخطبة له بتشريض من أمير فارسي يدعى أمير عالم . وهذا الأمير هو الذي أخذ على عاتقه أن يباشر العمل بنفسه ، ففي أول جمعة من محرم سنة ٥٦٧ هـ توجه أمير عالم الفارسي إلى أكبر جوامع القاهرة ، وصعد المنبر وخطب باسم المستضيء العباسي . فلما علم صلاح الدين الأيوبي بذلك أمر أن تعاد الخطبة للمستضيء في جميع جوامع القاهرة والفسطاط (٢) »

بعد ذلك كله « اتخذ المملوك من بني أيوب يوم عاشوراء يوم سرور ، يوسعون فيه على عيالهم ، ويتسبطون في المطاعم ، ويصنعون الحلاوات ، ويتخذون الأواني الجديدة ، ويكتحلون ويدخلون الحمام جرباً على عادة أهل الشام التي سفها لهم الحجاج في أيام عبد الملك . . . وقد أدر كنا بقايا مما عمله بنو أيوب من اتخاذ يوم عاشوراء يوم سرور وتسبط (٣) » ونحن أدر كنا تلك البقايا ليلة ١ محرم سنة ١٣٣٨ هـ في دير الشعار في طريقنا إلى العراق لطلب العلم الديني في النجف الأشرف وقتلنا أمثال هذا تتقرب الأمة إلى نبينا في الليالي التي قتل فيها سبطه وربحائه ؟!

(١) شرح النهج ج ٢ ص ٢٠٢ (٢) تاريخ مصر لزبدان ج ١ ص ٣٥٥

(٣) ج ٢ ص ٣٨٥ من خطط المغريزي

وهذا العمل وإثبات كان بظاهرة عادة — إلا أنه أثر كبير يدل على عقيدة النصب البالغة إلى أعماق القلوب والمؤثرة لهذا العمل الفظيع المبعد عن الله ورسوله ﷺ. وبحدثنا المقرئ أيضاً « أن السلطان صلاح الدين الأيوبي حمل الكافة على عقيدة الشيخ أبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري (١) وشرط ذلك في أوقافه . . فاستمر الحال على عقيدة الأشعري بديار مصر والشام ، والحجاز واليمن ، والمغرب حتى صار هذا الاعتقاد بسائر هذه البلاد بحيث أن من خالفه ضرب عنقه . والأمر على ذلك إلى اليوم (٢) »

ويخبرنا « أن المعز ابن باديس حمل جميع أهل إفريقية على التمسك بمذهب مالك وترك ما عداه من المذاهب . فرجع أهل إفريقية وأهل الأندلس كلهم إلى مذهب مالك إلى اليوم رغبة فيما عند السلطان وحرصاً على طلب الدنيا (٣) » ويحكى الشهرستاني « أن محمود بن سبكتكين السلطان قد نصر مذهب الكرامية (٤) وصبّ البلاء على أهل الحديث والشيعة (٥) »

ولدينا غير هذه من الشواهد والأمثلة الكثيرة . أعرضنا عنها حذراً من

- (١) تولد الأشعري بالبصرة سنة ٢٦٠ هـ وتوفي سنة ٣٢٤ هـ وكان من العلماء الأفاضل « وكان على عقيدة المعتزلة ثم رجع وقاب من القول بخلق القرآن ، ومن القول بأن الله لا يرى بالابصار ، ومن القول بنسبة فعل الشر إلى المخلوقين » المقرئ ج ٢ ص ١٨٦ من خطه (٢) الخطط ج ٢ ص ١٦١ (٣) الخطط ج ٢ ص ١٤٤ (٤) الكرامية كانوا من المجسمة والمشبّهة . ويشيرون القدر خيره وشره من الله تعالى . وأن الله أراد الكائنات كلها خبرها وشرها . وقالوا الإمامة تثبت بالاجماع دون النص والتميين . وقالوا يجوز عقد البيعة لإمامين في قطرين . وغرضهم إثبات إمامة معاوية بالشام وأمير المؤمنين في المدينة والعراق ورأوا تصويب معاوية فيما استبد به من الأحكام الشرعية . مال الشهرستاني ج ١ ص ٦١ ويقول المقرئ ج ٢ ص ١٧٣ من خطه — حدث مذهب التجسيم على يد محمد بن كرام بن عراق السجستاني زعيم الكرامية بعد المائتين من بني الهجرة . واثبت الصفات حتى انتهى إلى التجسيم والتشبيه : مات بزغرة سنة ٢٥٦ هـ ودفن بالقدس » (٥) ج ١ ص ١٥ من ماله

التطويل المؤدي إلى الملل وحذرا من الابتعاد كثيراً عن موضوع بحثنا الذي كان القصد منه إثبات عدم تشيع الخراسانيين أيام دعوتهم ونصرتهم لبني العباس ، وعدم شيوع التشيع في فارس إلى أوائل القرن العاشر . بل كان مجل القصد والغرض تخطيطاً أو كسكاً الذين يتسرعون كثيراً في الحكم بتشيع الفرس ونسبتهم إلى الشيعة في العهد العباسي ، ثم ينسبون إليهم كل البدع والخرافات التي ألصقت بالآسلاام - وكل الرزايا التي نزلت بالمسلمين :

وهذا - بلا شك - حكم جائر ورأي فائل لا يستند إلى دليل ، ولا يتفق بوجه مع قيام الفرس - وخصوصا الخراسانيين - بتأسيس الدولة العباسية ومساعدة آل العباس على تقميل العلويين الذين نهضوا في الحجاز والعراق وفارس . وكان عمدة انصارهم على نهضتهم هذه علماء العرب وأبطالهم - وما سمعنا عرقاً فارسياً نبض في نصرة هذه النهضة العلوية (١) أو رفع صوته - على الأقل - منكرآ على العباسيين أعمالهم المنكرة الفظيعة مع بني عمومهم بل سمعنا بالعكس ، سمعنا أن يحيى البرمكي تعهد للرشيد بقتل الإمام الكاظم ووفى بعهده كما تقدم في الفصل الثاني ، وسمعنا الحسن بن سهل يعاكس في عهد المأمون للإمام الرضا كما في صفحة ٣٣٢ من ارشاد المفيد . ويسمى بالإمام عند المأمون كما في كتاب أخبار الحكماء فراجع :

وعلى كل فإذا وُجد مع « الرحالة » من بنوهم تشيع الفرس في تلك العصور « وهدمهم الآسلاام » فلا يُوجد (على ما أظن) من بنوهم معه « ان الدولة العباسية قضت على استقلال فارس ، وحاولت القضاء على قوميتها » لأن من البديهي أن فتح فارس كان أيام الخليفة الثاني والثالث (رض) ولم يبق سوى

(١) نعم كان الإمام أبي حنيفة (الفارسي) يمحض الناس على الخروج مع إبراهيم الحسني بالبصرة كما قدمنا في بحث الزيدية وذكرنا أنه كان على بيعة محمد بن عبد الله الحسني ومن جملة شيعته »

بلاد قليلة خارجة عن يد المسلمين يومئذ ثم استولوا عليها أيام بني أمية .
وهذا لا يجهله حتى صفار الطلبة كما لا يجهلون أن العباسيين — بلامبالغة —
هم الذين أحيوا قومية الفُرس وسلعوا زمام الدولة لرجال فارس حتى كانت
دولتهم وقتئذ شبه فارسية ، ثم صارت أيام المعتصم ومن بعده شبه تركية :

❖ نهضة الشيعة ضد العباسيين وسر مطاردة العباسيين لهم ❖

.. كان بنو أمية يمتقنون جميع الهاشميين — الا القليل — أشد المقت أيام الجاهلية
وداموا على ذلك حتى في أيام نبي الاسلام الهاشمي ﷺ ولكن قد كمن مقتهم
هذا لما ظهرت معجزات النبوة وآياتها الباهرة . واشتد عضد الاسلام بالمهاجرين
والانصار . وبقي ذلك المقت كما بنا إلى أواخر أيام عثمان (رض) حيث ظهر على
يد بطاته الاموية . وبلغ أشده يوم تولى الخلافة العامة أمير المؤمنين وسيد الهاشميين
بعد النبي ﷺ فقال من مقتهم ومناوأهم له ما غصت به بطون الكتب :
ولما استشهد (ع) وبويع شبله الحسن قاموا بناهضونه بكل ما لديهم من قوة
حتى اذا ما تمت لهم الغلبة الدنيوية « كتب معاوية نسخة واحدة إلى جميع عماله
بعد عام الجماعة — أن يرأت الذمة ممن روى شيئا من فضل أبي تراب علي (ع) واهل
بيته . فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر بلعنون علياً وبرأون منه
وبيعون فيه وفي اهل بيته (١) »

وقد علمت مما تقدم أن لعن علي والبراءة منه كانا سنة متبعة في الدولة الاموية
إلى عهد عمر بن عبدالعزيز (رض) ولكن يظهر من المقرري « ان سنة اللعن
دامت في مصر من حين فتحها مروان الى سنة ١٣٣ هـ (٢) »

وقد بلغ اضطهاد الامويين وعمالهم إلى بني هاشم إلى حد كانت تعد صلة الهاشمي
جريمة كبرى في نظر بعض العمال يتخذونها طريقا للوشاية بخصومهم والوقيعة بهم
بحد ثنا الطبري « ان يوسف بن عمر كتب إلى هشام — ان اهل هذا البيت من بني هاشم

قد كانوا هلكوا وجوعاً حتى كانت همة أحدهم قوت عياله . فلما ولي خالد العراق .
اعطاهم الاموال فقروا بها حتى تافقت انفسهم الى الخلافة (١) »

وكان هذا الاضطهاد الاموي متجهاً نحو الهاشميين اجمع لا فرق لديه بين العلوي
والعباسي كما يظهر من ابن أبي الحديد الذي حكى لنا « قصة اجتماع معاوية
ومروان وزبياد ويزيد وعتبة . وسبهم لخبر الامة عبد الله بن عباس = وتحقيرهم
إياه في مجلس معاوية (٢) » وحكى قول معاوية لابن عباس « إن في نفسي منك
لحزازات يا بني هاشم . وإني خلائق ان ادرك بكم النار (٣) »

وذكر ايضاً « ان الوليد بن عبد الملك ضرب علي بن عبد الله بن عباس
بالسياط ، وشهره بين الناس بداربه على بعير ووجهه مما يلي ذنب البعير وصائح
يصيح عليه هذا علي بن عبد الله بن عباس الكذاب (٤) » وروى في مكان آخر
« كيفية خنق الامويين لابيراهيم العباسي في جراب من نورة بالحبس »

لذلك كان من الطبيعي ان يتربص العباسيون الفرصة للوثبة على الامويين -
وأن يبايعوا بعض العلويين وينهضوا معاً ضد الدولة الاموية لما رأوا اتفكك الامويين .
وثورة بعضهم على بعض - وخروج البلاد عليهم ومللها منهم ومن حكمهم :

لما رأى الهاشميون ذلك كله قاموا ينظمون الدعوة ويبشرون الدعاة . ويجعلون
في رأس الدعوة وعنوانها - البيعة لرجل من آل هاشم من غير ذكر لأحد
الفریقین المتحدین وأرى . انه لولا ذكر الآل في مواد الدعوة لما نالت ذلك الظفر
الباهر . ولا سرت بسرعة البرق إلى القلوب . خصوصاً قلوب أهل الكوفة وسوادها
لتشيع أهلها تشيعاً علوباً . ولعلمهم بالانحصار الآل وغلبة إطلاقه على أبناء فاطمة
بضعة المصطفى ﷺ . ولأن ظلم الامويين كان أثره في العلويين اظهر منه في .

(١) ج ٢ ص ١٨ من تاريخه (٢) شرح النهج ج ٢ ص ١٥ (٣) شرح النهج ج ٢
ص ١٠٥ (٤) ج ٢ ص ٢١٠ من شرح النهج و ج ١ ص ٢٩٢ من تهذيب الكامل
للإمام الذي ذكر فيه - ص ٣٩٢ - أن الوليد هذا سرب غلياً هذا بالسياط مرتين
وكذلك ذكر ابن خلكان مجلد ١ صفحة ٣٢٣ من وفياته

العباسيين . ومعلوم ان النفوس البشرية ميالة = بالطبع = إلى نصره من ظهرت
ظلالته . زد على ذلك ان آل العباس كانوا - قبل نيل الملك - يظهرون محبة علي
وينتصرون له ولا آله عليهم السلام . ويصرحون كثيراً بأن غايتهم الا ولى الأخذ
بشأر الحسين بن علي وأحفاده «وكان عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس ينشد
حينما قتل الامويين في الشام . ويترنم بقوله -

حسبت امية ان مترضى هاشم عنها ويذهب زندها وحسينها (١)

وعلى كل فقد لبس العباسيون على الشيعة في هذه الدعوة (٢) حتى قام بعض
الكوفيين بماضدها في العراق مع شيعة بني العباس الخراسانيين . ولكن لا ثم
التجاح وظهرت الغلبة . وانكشفت استار تلك الرواية الخداعية . وراى الشيعة
العلوية تربع السفاح العباسي على سرير الخلافة او الملك (على الاصح) - قاموا
بطالبون بحقوق العلويين ونصيبهم من تلك الدعوة المشتركة . فما كان جوابهم
- بالطبع - الا السيف نارة والخداع والمواعيد نارة اخرى . على طبق ما يصنعه

(١) عيون الاخبار لابن قتيبة مجلد ١ صفحة ٢٠٨ (٢) كما لبس الامويون على
أهل الشام ان بني امية هم اهل بيت رسول الله (ص) والوارثون له . حكى المسعودي
مجلد ٢ صفحة ٧٣ من مروج الذهب « ان عبد الله بن علي وجهه إلى ابي العباس السفاح
أشياخا من اهل الشام من ارباب النعم والرياسة فحلفوا له انهم ما علموا لرسول الله (ص)
قربة ولا اهل بيت يرثونه غير بني امية حتى وليتم الخلافة » وذكر هذا الحلف الريائي
صاحب عصر المأمون مجلد ١ صفحة ١٩٠ وإنا (مع اعتقادنا بمحصول التليس على
الشام) لنشك في صدق هؤلاء الأشياخ بخلفهم هذا لأنه من البعيد جدا ان يجهل مثلهم
من المسنين المتصلين برجال بقية الاقطار - قرابة الرسول القرية الذي اذهب الله عنها
الرجس وطهرها تطهيرا نعم كان التليس من بني امية على العامة الجاهلة وخصوصا
الاحداث وكذلك من بني مروان الذين بالقوا في التليس واللن لبي وإخفاء فضله
« قال عمر بن عبد العزيز لابي يوما - يا أبت أنت افصح الناس . فما بالي أراك
إذا مررت بلن هذا الرجل - يعني عليا - صرت ألكن عيباً ؟ فقال عبد العزيز -
يا بني إن من ترى من أهل الشام وغيرهم تحت منبرنا لو علموا من فضل هذا الرجل ما
جلسه ابوك لم يتجنا منهم احد - انظر مجلد ١ صفحة ٣٥٦ من شرح النهج

قَتَاب الإِستعمار اليوم مع العرب وخصوصاً في فلسطين المجاهدة المكشوفة:
 قتل المنصور «محمد بن عبد الله الحسني الذي غضب لما حبس المنصور الرجلين
 من بني الحسن في سجن ضيق حتى ماتوا جميعاً» . وقام في المدينة ضد المنصور .
 وكذلك قام أخوه إبراهيم بن عبد الله بالبصرة فقتل (١) »

وقد كان المنصور «بابع محمد بن عبد الله الحسني بالخلافة مرتين وكذلك
 بابعه إبراهيم الإمام وأبو العباس السفاح . أحداها بالمدينة وأخرى بمكة في المسجد
 الحرام . فلما خرج محمد من المسجد أمسك له المنصور بركاب دابته وقال له :
 أما إنه إن أفضى إليك هذا الأمر نسيت لي هذا الموقف ولم تعرفه لي (٢) »

ولكن التقادير قد عاكست محمداً وافضت بذلك الأمر إلى المنصور الذي نسي
 أو تناسى ما كان في عنقه من البيعة الثنائية إلى محمد هذاه . وبعبارة أخرى راح
 يذبح بيعة محمد ويتمتع بقتله وقتل بقية الحسينيين بأنواع القتل القطيع :

يقول ابن الأثير «لما أتى ببني الحسن نظر المنصور إلى محمد بن إبراهيم بن الحسن
 فقال — أنت الديباج الأصفر؟ قال نعم قال أما والله لا قتلناك قتلة لم قتلها أحداً
 من أهلنا ثم أمر به فبني عليه إسطوانة وهو حي فمات فيها (٣) »

وهكذا كان من تخلف بعد المنصور فانهم تفننوا بالوقعة والقتل لأبناء عمهم
 العلويين فذبحوا السم للإمام الرضا وأبيه وابنه الجواد — على قول — في حين أن الذي
 سم الرضا كان يجب العلويين كثيراً ويكرمهم . وقد يكون صادقاً في سببه
 إلا أن حب الملك — الذي قتل في سبيله أخاه — قد غلب على ذلك الحلب وأزاله من قلبه
 وقتلوا أيضاً الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن السبطي «فخ» بين مكة
 والطائف «ظهر الحسين هذا سنة ١٦٩ هـ بمدينة الرسول ﷺ وكان معه جماعة
 من الطالبيين وأشد أمره وجرى بينه وبين عامله موسى الهادي العباسي على المدينة

(١) تاريخ دول الإسلام لتفريوش الصيرفي ج ١ ص ٨٠ (٢) مقاتل الطالبيين ص
 ١٤٣ و ١٤٥ و ٢٠٣ (٣) ابن الأثير ج ٥ ص ١٩٥ وص ١٤٠ من المقاتل

قتال عظيم فانهزم العامل وبايع الناس الحسين على كتاب الله ومنته رسوله
للمرتضى من آل محمد . وأقام الحسين بالمدينة يتجهز فجاء جماعة من العباسيين
والقواد إلى الحج وحاربوه يوم التروبة وقتلوه واصحابه المخلصين وفرّ الباقر
وكان مقتلهم بموضع يقال له «وج» وفي ذلك يقول بعضهم
نمر كوا بوج غدوة في غير منزلة الوطن

ولقد أرسل موسى بن عيسى العباسي رجلاً إلى عسكر الحسين هذا حتى
يراه ويخبره عنه ففضي الرجل وتعرّف عسكر الحسين فرجع وقال لموسى بن
عيسى — ما اظن القوم إلا منصورين فقال وكيف ذاك يا ابن الفاعلة ؟ قال
الرجل لأنني ما رأيت فيهم إلا مصلياً أو مبتهلاً أو ناظراً في مصحف أو معداً
للسلاح . ف ضرب موسى بدأ على يد وبكى ثم قال — هم والله اكرم خلق
الله ، وأحق بما في ابدننا منا ، ولكن الملك عقيم . لو أن صاحب هذا القبر
يعني النبي ﷺ نازعنا الملك ضربنا خيشومه بالسيف (١) »

وقتلوا يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن السبط . وأخاه إدريس
الذي فرّ بعد مقتل أخيه إلى بلاد فاس وطليحة فأرسلوا اليه من ماله (٢)
« ظهر يحيى المذكور بالديلم سنة ١٧٦ هـ واشتدت شو كته فيها . فجهز
الرشيد إليه الفضل بن يحيى البرمكي فخدعه بالأمان . ولما وصل يحيى
إلى بغداد اخذ الرشيد صك الأمان من يحيى ومزقه . ثم حبس يحيى في حبس
مظلم ضيق وكان يخرج كل يوم وبضربه مائة سوط ، وينقص من طعامه
وشربه حتى مات ، وقيل انه دس إليه في الليل من خنقه ، وقيل أنه سقاء ممتلئ

(١) من تاريخ أبي الفداء ج ٢ صفحة ١١ ومقاتل الطالبين ص ٣٠٣ (٢) بلغ الرشيد
خبر اتباع البربر لإدريس هذا فغضب وشكى ذلك إلى يحيى بن خالد البرمكي فقال يحيى
إنا أكفيك أمره ففعل سليمان بن جرير أحد متكلمي الزيدية البتريه على اسمه ووعدته
بكل ما أحب على أن يحتال لإدريس فيقتله . فذهب سليمان واحتال عليه وسمه — انظر
ذلك مفصلاً ص ٣٢٦ من مقاتل الطالبين

وقيل أنه أجاج السباع ثم ألقاه إليها فأكلته . ولقد ظهرت ليحيى مكرمة عظيمة أمام الرشيد حينما تناظر يحيى مع عبد الله بن مصعب الزبيري وحلفه يحيى بينكما عظيمة فما برح الزبيري من موضعه حتى أصابه الجذام فتقطع ومات ولما وضعوه في قبره انخسف وخرجت منه غبرة عظيمة ، فصاح الفضل بن الربيع التراب التراب فجعلوا يطرحونه على القبر وهو يهوي ، فدعا بأحمال الشوك فطرحوها فهوت . فأمر أن يُسقف القبر بالخشب ومضى منكسراً (١) »

وقتلوا غير هؤلاء من آل أبي طالب وطاردوهم في البلدان حتى أن ابن المعتز العباسي « كان يقول — إن ولأني الله لأُفنين جميع آل أبي طالب . فبلغ ذلك ولد علي فكانوا يدعون عليه (٢) »

وكان أشد العباسيين عداوة — بعد المنصور والرشيد — المتوكل « فإنه أمر سنة ٢٣٦ هـ بهدم قبر الحسين بن علي (رض) وهدم ما حوله من المنازل ، ومنع الناس من إتيانه . وكان المتوكل شديد البغض لعلّي بن أبي طالب ولأهل بيته . وكان من جملة ندمائه عبادة المخنث . كان يشد على بطنه مخدة ويكشف رأسه وهو أصلع . ويرقص ويقول — قد أقبل الأصلع البطين خليفة المسلمين يعني علياً والمتوكل يشرب ويضحك . وفعل ذلك يوماً بمحضرة المنتصر فقال له — يا أمير المؤمنين إن علياً ابن عمك فكل انت لحمه إذا شئت ولا تخل هذا الكلب وامثاله بطمع فيه . فقال المتوكل للحفنين غنوا غار الفتى لابن عمه رأس الفتى في حرّ أمه

وكان يجالس من اشتهر ببغض علي مثل ابن الجهم الشاعر وأبي السمط من ولد مروان بن أبي حفصة (٣) »

« ولما هدم المتوكل قبر الحسين (رض) قال الشاعر المعروف بالبسّامي

(١) بتلخيص من المقاتل لأبي الفرج ص ٣١٨ (٢) أبي الفداء ج ٢ ص ٢٩ (٣)

تاريخ أبي الفداء ج ٢ ص ٣٨ »

تألفه إن كانت أمية قد أُنْتُ قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد اتاه بنو ابيه بمثله هذا لعمر ك قهره مهدوما
أمفوا على أن لا يكونوا شار كوا في قتله فتنبهوه رميها — (١)
ولولا نصب المتوكل كما «مل» لسان الامام في اللغة ابن السكيت من
قفاه حتى مات من ماعته لأنه غض من ابني المتوكل وذكر الحسين بماها
أهله (٢) «وقد بلغ النصب بالمتوكل إلى أن» كتب سنة ٢٣٦ هـ إلى مصر
بإخراج آل أبي طالب منها فأخرجوا وقدموا العراق فأخرجوا منها إلى المدينة
ولما مات المتوكل قام من بعده ابنه محمد المستنصر (٣) فكتب إلى مصر بأن لا يقبل
علوي ضيمة ولا يركب فرسا وان يمنعوا من اتخاذ العبيد ومن كان بينه
وبين احد من الطالبين خصومة قبل قول خصمه من مائر الناس فيه ولم يطالب
ببينة وكتب إلى العمال بذلك (٤) «

وأنت تعلم أن الضغط كثيراً ما يولد الاقبحار ، ويوجب كراهية عيش
الذلة ، ويحبب الموت تحت ظلال الأسنة . فمن البيطعي آتخذ أن ينهض الشيعة
وان ينفجر بر كان غيظهم المخنبي في الصدور .

ومن الطبيعي أيضاً أن البالغ العباسيون في مطاردتهم وترويع أئمتهم الأظهار
ولو كانوا في عزلة عن الخلق متجهين نحو عبادة الخالق ومناجاة عز اسمه .
«وجه المتوكل إلى علي الهادي بعدة من الأتراك ليلا فهاجموا عليه في منزله
— على غفلة — فوجدوه وحده في بيت مغلق وعليه مدرعة من شعرو على رأسه
ملحفة من صوف وهو مستقبل القبلة يترنم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد

(١) أبي الفداء ج ٢ ص ٦٨ (٢) وفیات الاعيان ج ٢ ص ٣١٠ وافي الفداء ج ٢ ص ٤٠
(٣) الموجود في التاريخ ان الذي قام بعد المتوكل هو ابنه المسمى بالمتنصر لا المستنصر
وهو كما مر في معارضته لايه في استماع قول عبادة الاثم — من محي سيد الطالبين علي
(ج) فالسر في كتابته هذه إلى مصر بشأن الطالبين هل هو قيامه مقام أبيه ارفيه؟ الله اعلم
(٤) خطط القريري ج ٤ ص ١٥٣

ليس بينه وبين الأرض بساط إلا الرمل والحصى .

فأخذ على الصورة التي وُجد عليها في جوف الليل ، فمثل بين يدي المتوكل والمتوكل يستعمل الشراب وفي يده كأس ، فلما رآه أعظمه وأجلسه إلى جانبه ولم يكن في منزله شيء مما قيل للمتوكل عنه ، ولا حجة يُعمل عليه بها فنأوله المتوكل الكأس . فقال يأمر المؤمنين ما خامر الحمي ودمي قط فأعفاه منه (١) .
نعم كان من الطبيعي أن يببالغ العباسيون في ذلك لأن غايتهم الوحيدة الأميرة والترشح على اسرة الملك . وهي - في الغالب - إذا خامرت قلباً نزع من صاحبه الأناة والرحمة ، ولوئنته بمويقات الأعمال في سبيل الوصول إليها .
ولذا قتل بعض العباسيين - سيف سبيلها - أخاه ، وبعض عمه ، وبعض أباه ، ولذا نقض كثير منهم - لأجلها - اليهود ونكث الأيمان ، وقرب الفاسق وأبعد الناسك ، واغدق عطاء لمن انتقد في مجلسه زعماء العلويين ولفق له الأدلة على أن العباس أحق بالخلافة من ابن أخيه علي عليهما السلام .
وأنها وراثية والعباس أولى بالتراث وأحق به :

ولا أخال أن احداً من المسلمين يعتقد ان الخلافة وراثية لأنهم على الغالب بين قائل إنها لا تكون إلا بالنص والأفضلية . وقائل انها تكون بالانتخاب والاختيار من الأمة او من خليفة لآخر أو من خمسة من أهل الحل والعقد :

لكن للشعراء الأقدمين مذاهب طريفة وطرقاً خاصة في الكذب والتزأف كانوا يسلكونها للوصول إلى مجالس الامراء والارتزاق منهم ومن ولايتهم :
وإليك هذه القصة عن أبان بن عبد الحميد فإنها تطلعك على طرق أولئك الشعراء وعلى نفوسهم الواطئة الأمارة بالسوء وعلى رخص الضمير والوجدان وتربك كرم الرشيد في سبيل الدعاية ضد أهل البيت العلوي ، وتبرهن

(١) وفيات الاعيان ج ١ ص ٣٣٢ وتاريخ أبي القداء ج ٢ صفحة ٤٤٤ .

لك على نصب بعض البرامكة الذين بعدتهم البعض من الكتاب والمؤرخين
في زمرة الشيعة المواليين لآل علي (ع) .

قال ابو بكر الصولي « عاتب أبانُ البرامكة في إعطاء الرشيد
الأموال للشعراء وفقراء مع خدمته لهم وموضعه منهم ، فقال له الفضل — إن
صاكت مذهب مروان ابن أبي حفصة (وكان من مذهبه هجاء آل أبي طالب
وذمهم) أوصلت شعرك وبأنتك إرادتك . قال أبان : والله ما استحل
ذلك فقال له الفضل — كلنا بفعل ما لا يحل له ولك بنا وبسائر الناس اسوة
فقال أبان

أعظم بما قد قلته الجهم والعرب	نشدت بحق الله من كان مسلماً
إليه أم ابن العم في رتبة النسب ؟	أعظم نبي الله أقرب زلفة
ومن ذال له حق التراث بماوجب ؟	وأيهما أولى به وبعمده
وكان علي بعد ذاك على سبب ؟	فان كان عباس أحق بملككم
كما العم لابن العم في الارث قدحجب	فأبناء عباس هم يرثونه

إلى آخر الأبيات ثم جاء بها إلى الفضل وقال له قد اقترحت فوفر علي
الجارري . فقال الفضل — ما بقيت . وما يرد على أمير المؤمنين اليوم شيء أعجب
إليه من أبياتك . فركب أبان وانشدها الرشيد فأمر له بعشرين ألف درهم واتصل
به بعدها (١)



(١) صفحة ١٤ من كتابه الاوراق وذكر ذلك أيضاً ابو الفرج جزء ٢٠ ص ٧٥

الفصل الخامس *

﴿برائة الشيعة من الغلو والغلاة﴾

١ معنى الغلو وتاريخه ٢ بعض اقوال الغلاة ٣ كلمات أغمة الشيعة في البرائة من الغلاة ٤ السر في عد هذه الفرق الغالية من الشيعة ٥ القرامطة وموجز تاريخهم ٦ كلمة في الاساطيلبة والغاية من الطعن في القاطمين ونسبهم :

﴿معنى الغلو وتاريخه﴾

قال الله سبحانه وتعالى «لا تغلوا في دينكم» قالوا في تفسيره «أي لا تتجاوزوا الحد بأن ترفعوا عيسى إلى أن تدعوا له الامامة — يقال غلاني الدين غلواً من باب قعد • تصلب وتشدّد حتى تتجاوز الحد والمقدار • وفي الحديث كونوا النورقة الوسطى يرجع اليكم الغالي وبلحق بكم التالي •

فالغالي من يقول في أهل البيت ما لا يقولون في انفسهم • كمن يدعي فيهم النبوة والامامة • والتالي المرتاد يهد الخير ليلغوه ويؤجر عليه • وفي الحديث ان فينا أهل البيت في كل خاف عدولاً ينفون عنا تحريف الغالين أي الذين لهم غلو في الدين (١) »

وقد تكرر (في الفصول السابقة) ن عقيدة التشيع التي غرسها صلى الله عليه وآله في حقل الاسلام الخصب وتعهدها في حياته الثمينة حتى نمت وتدين بها رهط من أجلة الصحابة على ما حددها النبي صلى الله عليه وآله من الموالاة لأخيه علي (ع) والتمسك بالنقلين الكتاب والعترة وما شاكل ذلك •

وبقيت على صيغتها وحدتها الذي وضعت فيه لا تتعداه ولا تتجاوزها أبداً إلى ان تؤولي أمير المؤمنين منصب الامامة • فظهر في أيامه قوم وأرادوا إخراجهم من قالب

(*) نشر بعضه في المجلد الاول لمجلة الحضارة النجفية الفرا.

(١) مجمع البحرين في اللغة صفحة ٦٣ :

«الموالة والتمسك» إلى قالب التأليه لعلّي (ع) «ولما بلغه عنهم ذلك انكره أشد الانكار . وحرق بالنار جماعة من غلافيه»

والظاهر أن عبدالله بن سبأ لم يكن (وقتشذ) على هذه المقالة الغالية ولا شمله الاوحراق وهذا ما يراه ابن ابي الحديد بقوله «استمرت هذه المقالة سنة أو نحوها ثم ظهر عبد الله بن سبأ بعد وفاة علي أمير المؤمنين (ع) فأظهرها وأتبعه قوم فسُحوا السبائية (١)

ويوافقه الشهرستاني بقوله «ولمّا أظهر ابن سبأ هذه المقالة بعد انتقال علي عليه السلام (٢)» ولكن الاسترابادي يخالفهما بما رواه من «ان عبد الله بن سبأ كان يدعي النبوة ويزعم أن أمير المؤمنين (ع) هو الله تعالى . فبلغ أمير المؤمنين ذلك فدعاه وسأله فأقر وقال نعم انت هو . فقال له أمير المؤمنين قد سخر منك الشيطان فارجع عن هذا وتب ثكلتك أمك . فأبى فحبسه ثلاثة أيام فلم يتب فأحرقه بالنار (٣)» ولا يبعد أن يكون الأرجح ما قاله ابن ابي الحديد من أن ابن سبأ لم يشمله الاوحراق وأنه أظهر تلك المقالة بعد وفاة أمير المؤمنين (ع) ووافقه الشهرستاني على ذلك وان قال قبله «ان ابن سبأ قال لعلّي عليه السلام أنت أنت يعني أنت الآله ففاه إلى المدائن (٤)» ولا ينافي هذا القول قوله الآخر إذ من المحتمل قريباً أن يكون ابن سبأ قد قال لعلّي (أنت أنت) لكنه قد اخفاه في حياة علي (ع) أيام منفاه وبعدها إلى أن توفي علي (ع) فأظهره بعد ذلك بسنة أو بأقل :

وعلى كل حال فإن الرجل - أي ابن سبأ - كان في عالم الوجود وأظهر الغلو . وإن شك بعضهم في وجوده وجعله شخصاً خيالياً شخصته الأغراض الشخصية أما نحن - بحسب الاستقراء الأخير - فلا نشك بوجوده وغلوّه

(١) شرح النهج مجلد ٢ صفحة ٣٠٩ (٢) الملل مجلد ١ صفحة ١٠١ (٣) منتهج

المقال صفحة ٢٠٣ (٤) الملل مجلد ١ صفحة ٠٠

وإنما نشك شكاً قوياً في تصوير البعض لهذا الرجل متغلباً على أبي ذر الغفاري (رض) حتى «قوله» بالاشتراكية الجائرة — ومسيطرأ على عمار بن ياسر ورهط كبير من دهاة الصحابة رضي الله عنهم حتى حملهم على خذلان عثمان (رض) والطعن عليه»

وبعبارة ثانية. جعلوا له قوة في البيان الساحر الجذاب فوق كل قوة حتى أنه استطاع بتلك القوة أن يتغلب على إرادة «آلهة علي؟» وبمنعه من قبول الصلح يوم الجمل (١)

نعم غلا ابن سبا في دينه وتسربت بدعته هذه إلى أفكار جماعة غير قليلة قد سميت باسمه . وأخذت بعد ذلك بالتطور السريع حتى تجاوزت عن القول بالآلهية فرد من المخلوقين إلى القول بالآلهية إثنين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو أكثر من أهل البيت عليهم السلام . كما تجاوزت إلى القول بالآلهية غيرهم من الناس : فالراوندية آلهوا المنصور العباسي ، والبنائية آلهوا بنان بن سمان ، والرزامية آلهوا أبا مسلم الخراساني :

وكما كان الغلو في القول بالآلهية جماعة من المخلوقين كان في القول بنبوة جماعة منهم بعد خاتم الأنبياء محمد ﷺ . فالخطابية زعموا أنهم كلهم أنبياء وكذلك المنصورية كما سترى بيانه ، وقد حكم المقرئ «بأن الغالية ليسوا بمسلمين ولكنهم أهل ردّة وشرك (٢)» ومع ذلك عدّهم في عداد الشيعة . وهكذا فعل الشهرستاني = كما سترى قريباً — وهكذا فعل ابن خلدون رغم قوله «وقد كفانا مؤنة هؤلاء الغلاة — أئمة الشيعة فإنهم لا يقولون بها ويبطلون احتجاجاتهم عليها (٣)»

(١) انظر المجلد الثاني لتاريخ ابن خلدون ومحاضرات الحضري المصري وفجر الإسلام وخطوط المقرئ المجلد الرابع نجد كل هذه الأعمال البطيخة منسوبة إلى هذا الرجل الخفير (٢) مجلد ٤ صفحة ١٦٦ من خطه (٣) صفحة ١٣٩ من مقدمته

ولا غرابة من هؤلاء الاعلام إذا قالوا ذلك في تلك العصور السالفة التي كانت تنوء بالتعصبات المذهبية والتعرات الطائفية . ولكن من الغرابة جداً ان يقوم رحالة من بلاد مصر المثقفة وبقتني (في قرن العشرين الموصوف بالابتعاد عن التعصب ، وبالتحري للحقيقة ؟) أثر السابقين من مؤلفي تلك العصور الوسطى ويضرب على وترهم المعروف . فيقول في كلامه عن النجف الاشرف واهلها الحاليين - « ومن فرق الشيعة من يقول بأن الصحابة كلهم كفروا بعد موت النبي إذ جحدوا إمامة علي ، وإن علياً نفسه كفر لتنازله لابي بكر لكنه عادله إيمانه لما توكل الإمامة وهذه فرقة الإمامية (١) ومن الشيعة قسم اوجب النبوة لعلي بعد النبي فقالوا إن الشبه بين محمد وعلي كان قريباً لدرجة ان جبريل اخطأ وتلك فئة الغالية او الغلاة ومنهم من قال بأن جبريل تعمد ذلك فهو اذن ملمون كافر :

ومن الشيعة طائفة الاثنى عشرية الذين يُقدسون الاثمة الاثنى عشر (٢) ومنهم الاسماعلية والباطنية الذين صرّ عليهم الكلام في الشام . ثم القرامطة الذين تقوؤوا حول الخليج الفارسي . ويعرف عنهم الاباحة في النساء وقد أحلوا انفسهم من كل عبادة . . . وكانوا ممن يعملون على هدم الاسلام .

وفي مصر قام الحاكم بامر الله بعد المعز (٣) بنشر مذهب الشيعة وبدرسها في دار الحكمة . وكان أساسها ان الشرائع خاضعة للعقل والعلم . وأن الانبياء رجال عاديون وغاية ما في الامر انهم فلاسفة . وقد آلهه الدرود وقالوا بانه رفع

(١) هذه الفرقة من الغلاة لامن الإمامية وقد عدم الشيرستاني في الغلاة واسماهم الكاملية كما سترى قريباً (٢) كان عليه - وهو في صدد الكلام عن النجف - ان يبين على ان النجفيين من هذه الطائفة ، وعلى ان النجف هي العاصمة الدينية (من عدة قرون) للأثنى عشرية في جميع الاقطار الإسلامية ، وان يشير الى مشهوري علمائها ومجتهديها وأدبائها . ويذكر ما امتازت به من الصنائع وتفردت به من الاجتهاد بالفقه الاسلامي واصلوه . (٣) الذي قام بعد المعز هو العزيز ابنه وبعده قام الحاكم لا بعد المعز

إلى السماء وسيعود لتطهير الأرض كما أسلفنا . ويرى جميع (١) الشيعة أن الإمامة ليست مصلحة عامة تناط باختيار الناس (٢) « انتهى » .

هذه خلاصة ما نسبته رحالة مصر إلى الشيعة ، ونحن لا نريد أن نقنع بقول إنه خطأ وخطب خبط عشواء ، ولأن ندع الحقيقة مغطاة بما حيك حولها من زخرف القول وإضاليل الكلام ، لأن مثل هذا العمل لا يقع - في الغالب - إلا من أولئك الذين لا تتوفّر لديهم الأدلة ولا يستطيعون قرع الحجة بالحجة .

وإن ما نريده أن نبحث في المواضيع المعنونة في صدر هذا الفصل مستندين في ذلك كله - إلى الدليل الصريح لا إلى الهوى والفرس والتشبهات النفسية لتظهر لك - أيها القارئ الكريم - الحقيقة بأجلى مظهر وتحكم «حقاً» بخطأ الرحالة الذي أساء (بكلامه هذا وبدسه هذه الفرق الغالية في الشيعة) إلى الحق والحقيقة وإلى الوحدة الإسلامية التي امتست - اليوم - هدف المصلحين من الطائفتين وكانت من قبل هدف أجدادنا في عهد الراشدين فجنوا منها أطيب الأثمار فما بعيننا نحن من الوصول إليها في هذا العصر العصيب والاجتناء منها ؟ حتى لا ينطبق علينا قول شاعر العراق

إنا بما نبجي وهم فيما جنوا بثس البنون ونعمت الأجداد
ولنعد الآن إلى ما نحن بصدده بادئين بذلك

✽ بعض أقوال الغلاة وعقائدهم ✽

✽ الكلامية ✽ - هم أصحاب أبي كامل أكر جميع الصحابة بتر كما يبيعه علي عليه السلام . وطعن في علي أيضاً بتر كما طلب حقه ولم يمهذره في القعود وكان يقول بتناسخ الأرواح الآية في الأئمة (٣)

(١) لا يرى جميع الشيعة هذا الرأي لأن بعض الزيدية كإسماعيليه والبتريه والصالحية يوافقون السنة في إناطة الإمامة باختيار الناس ويغالون الشيعة في إناطة الإمامة بالنص والافضلية انظر ج ١ ص ٩٠ من ملل الشريعات (٢) ص ١٥٠ من جوكته (٣) ملل الشريعات ص ١٠١ وخطط المقرئ ج ٥ ص ١٧٥

﴿الغراية﴾ زعموا أن جبريل أخطأ فانه أرسل إلى علي فجاء إلى محمد صلى الله عليه وسلم وجعلوا شعارهم إذا اجتمعوا ان يقولوا العنوا صاحب الرهش يعنون - لعنهم الله - جبريل عليه السلام (١)

﴿السبائية﴾ الباع عبد الله بن سبأ . كان من اليهود يقول في هوشع ابن نون مثل قوله ذلك في علي . وزعم ان علياً لم يقتل وانه حي لم يمت . وانه في السحاب . والرعد صوته والبرق سوطه . وانه ينزل الى الارض بعد حين (٢) ويقول الشهرستاني «ان السبائية أول فرقة قالت بالغيبة والرجعة ، وبتناسخ الروح الاولي في الائمة بعد علي إلى ان قال - وهذا المعنى مما كان يعرفه الصحابة وإن كانوا على خلاف مراده ، فهذا عمر بن الخطاب (رض) كان يقول فيه - اي في علي - حين فقأ عين واحد في الحرم ماذا أقول في يد الله فقأت عيناً في حرم الله ، فأطلق عمر اسم الاولية عليه لما عرف منه ذلك (٣)

﴿المغيرية﴾ اصحاب المغيرة بن سعيد العجلي كان مولى لخالد بن عبد الله القسري وادعى الائمة لنفسه . وبعد ذلك ادعى النبوة ، وغلا في حق علي غلواً قبيحاً لا يعتقده عاقل ، وزاد على ذلك قوله بالتشبيه ، ولما قتل المغيرة (سنة ١١٩ هـ) اختلف اصحابه . فمنهم من قال بانتظاره ورجعته ، ومنهم من قال بانتظار محمد بن عبد الله الخارج بالمدينة (٤)

﴿المنصورية﴾ اصحاب ابي منصور العجلي . عزاء نفسه إلى محمد الباقر ، فلما تبرأ منه الباقر وطرده زعم انه هو الامام ودعا الناس إلى نفسه ، ولما توفي الباقر قال - انتقلت إليه الائمة وتظاهر بذلك . . . وزعم العجلي انه هو الكسف الساقط من السماء ، وزعم انه عرج اليها ورأى معبوده فمسح بيده رأسه وقال له - يا بني انزل فبلغ عني

(١) انظر خطط القريري ج ٢ ص ١٧٥ (٢) نفس المصدر (٣) ج ١ ص ١٥١ من

ملا (٤) انظر الملل ج ١ ص ١٠٢

وزعم ان الجنة رجل أمرنا بيوالاته . والنار رجل أمرنا بمعاداته واستعمل
 أصحابه قتل مخالفينهم وأخذ أموالهم واستحلل نسائهم وهم صنف من الطرمية (١)
 ❦ البنائية ❦ اصحاب بنان بن مسعان ، وهو من الغلاة القائلين
 بآلية امير المؤمنين عليه السلام . ثم ادعى بثلث الله قد انتقل إليه بجزء
 الآلهي بنوع من التناسخ . ومع هذا الطري الفاحش كتب إلى محمد الباقر
 ودعاه إلى نفسه وفي كتابه أسلم وترقي إلى سلم فأمر الباقر أن يأكل
 الرسول الكتاب الذي جاء به فأكله فمات في الحال . وكان اسمه عمر بن
 عفيف (٢)

❦ الخطابية ❦ اصحاب ابي الخطاب محمد بن ابي زهنب الأجدع
 الأسدي عزا نفسه إلى ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق . فلما وقف الصادق
 على غلوه الباطل في حقه تبرأ منه ولعنهُ وأخبر أصحابه بالبراءة منه ، وشدد
 القول في ذلك وبالغ في التبري منه واللعن عليه ، فلما اعتزل عنه الصادق ادعى
 الأمر لنفسه . زعم ابو الخطاب أن الأئمة انبياء ثم آله ، وقال بآلية جعفر بن
 محمد وآبائه . وان الآلية نور في النبوة ، والنبوة نور في الإمامة مولا يخلو
 العالم من هذه الانوار . . وقتل بسبخة الكوفة ، ولما قتل افرقت أصحابه .
 فزعمت طائفة - ان الإمام بعده بزيع كان يزعم ان في أصحابه من هو
 افضل من جبريل وميكائيل . وتسعى هذه الفرقة البرهنية . وقالت فرقة ان
 الإمام بعد ابي الخطاب رجل يقال له معمر دانوا به وزعموا أن الدنيا لا تقف
 واستحلوا الخمر والزنا ومائر المحرمات وتسمى هذه الفرقة معبرية . وأخرى
 زعمت ان الإمام بعد ابي الخطاب عمير بن بنان المعجلي وقالوا كما قالت
 الثانية إلا انهم اختلفوا بأنهم يوتون . . وكانوا قد نصبوا خيمة بكناسة
 الكوفة يجتمعون فيها على عبادة الصادق فرُفع أمرهم إلى يزيد بن عمر بن

هيرة فأخذ عميراً فصلبه بالكناسة . وتسمى هذه الطائفة العجلية . . وقد
نبرأ من هؤلاء . كلهم جعفر الصادق ولعنهم (١)

﴿العلائية﴾ أصحاب علياً بن ذارع الدوسي وقيل الاسدي كان
بفضل علياً على النبي ﷺ زعم انه الذي بعث محمداً وسماه إلهاً . وكان
يقول بدم محمد ، زعم انه بعث ليدعو إلى علي فدعا لنفسه . ويسمون هذه
الفرقة الذمية .

ومنهم من قال بألهيتهما جميعاً ، ومنهم من يقول بألهية خمسة اشخاص
وهم أصحاب الكساء وقالوا خمسة منهم شيء واحد والروح حلت فيهم بالسوية
لا فضل لواحد على الآخر . وكرهوا ان يقولوا فاطمة فقالوا فاطم وفي ذلك
يقول شاعرهم .

وأيت بعد الله في الدين خمسة نبياً وسبطيه وشيخاً وفاطماً (٢)

﴿التصيرية﴾ أصحاب محمد بن نصير النعميري أو الفهري كان
من أصحاب الحسن بن علي بن محمد بن علي الرضا ، فلما مات الحسن ادعى وكالة لابن
الحسن الذي تقول الإمامية بأمامته ففضحه الله تعالى بما أظهره من الإلحاد والغالو
والقول بتناسخ الأرواح ، ثم ادعى انه رسول الله ونبي الله ، انه أرسله
محمد بن الرضا وجحد إمامة الحسن العسكري وإمامة ابنه . وادعى بعد ذلك
الربوبية ، وقال بأباحة المحارم وللغلاة أقوال كثيرة طويلة عريضة (٣)
أعرضنا عن ذكرها لأننا لسنا بصدد ذلك وإنما ذكرنا هذه النبذة المختصرة
من عقائد تسع فرق من أكبر فرق الغلاة لتقابل بما اجماعناه (في الفصل الثاني)

(١) بلخيص من الخطط القرينية مجلد ٥ صفحة ١٧٦ والمثل ج ص ١٠٣ (٢)
من ملل الشهرستاني ج ١ ص ١٠٢ وخطط المقرئ ج ٢ ص ١٧٦ ولا يخفى ما في استشهادهما
بهذا البيت فانه عكس مرادهما لانه يدل بصراحة على ان هؤلاء لا يتولون اهل الكساء
بل يتولونهم بعد الله وهذا لب الايمان وضد الغالو وحذف التاء من لفظ فاطمة للترخيم
كثير في كلام العرب (٣) مجلد ٢ صفحة ٣١٠ من شرح النهج

من عقائد الشيعة ويعرف 'بعد الشُّقَّة' بين عقائد الغلاة وبين عقائد الشيعة وعدم اجتماعهما في أصل من الأصول . وليعلم أيضاً ما في نسبة الغلاة إلى التشيع وما في إطلاق اسم الشيعة عليهم من التسامح الفاحش المقصود وغير المقصود : وكيف 'بعد الغلاة من الشيعة ؟' وقد خالفوا أصول المذهب الشيعي الأساسية وأنكروا أركانها القويمة حتى تبرأ منهم = لأجله = الشيعة بأمر من أئمتهم الأطهار عليهم السلام . وإليك

﴿ كلمات أئمة الشيعة في البراءة من الغلو والغلاة ﴾

كان الأئمة من أهل البيت (ع) يبدأون في تأديب الشيعة وسائر المسلمين بأداب الإسلام وتعاليمه ، ويحثونهم على اتباع كتاب الله الكريم وسنة نبيه العظيم ، ويحذرونهم من أهل الزيغ والضلال ، وبأمروهم بالابتعاد عنهم ، والتبري منهم . وكان الشيعة يتلقون تلك الأوامر الشريفة بالقبول والامتثال ويدونونها في كتبهم حتى تجمّع لديهم من روايات الجرح والتعديل ما ملأ صفحات الكتب المؤلفة في علم الرجال . وقد حوت هذه الكتب طائفة كبيرة من أقوال الأئمة عليهم السلام . وأقوال علماء الشيعة الاعلام في البراءة من الغلو والغلاة ورجالات الغالية بالخصوص . اقتطفنا منها هذه الكلمات الشديدة في

﴿ البراءة من السبائية ﴾

الذين علمت انهم أول الغلاة بعد أمير المؤمنين عليه السلام « روى أبان ابن عثمان قال — سمعت أبا عبد الله (ع) يقول لعن الله عبد الله بن سبأ ، إنه ادعى الربوبية في أمير المؤمنين (ع) وكان والله أمير المؤمنين عبد الله طابعا والويل لمن كذب علينا . إني ذكرت عبد الله بن سبأ فقامت كل شعرة في جسدي لقد ادعى أمراً عظيماً ماله لعنه الله ؟ كان علي والله عبد الله صالحاً ما نال الكرامة من الله إلا بطاعته لله ولرسوله ، وما نال رسول الله ﷺ

الكرامة من الله إلا بطاعته لله (١)». واتفق علماء الشيعة على أن «عبد الله ابن سبأ بالسبب المهمل غلام ملعون (٢)»

❖ البراءة من المغيرة والمنصورية والبنانية ❖

روي عن هشام بن الحكم أنه سمع أبا عبد الله الصادق (ع) يقول — لا تقبلوا علينا حديثاً إلا إذا وافق القرآن والسنة وتجدون معه شاهداً من أحاديثنا المتقدمة . فإن المغيرة بن سعيد لعنه الله قد دس في كتب أصحاب أبي أحاديث كثيرة لم يحدث بها أبي . فاتقوا الله ولا تقبلوا ما خالف قول ربنا وسنة نبينا ﷺ

وعن هشام أيضاً أنه سمع الصادق (ع) يقول كان المغيرة يتمتع بالكذب على أبي وأخذ كتب أصحابه وهدس فيها الكفر والزندقة وبسندعاً إلى أبي ثم يدفعها إلى أصحابه . ويأمرهم أن يبشروا في الشيعة . فكل ما كان في كتب أبي من الغلو فذاك مما دسه المغيرة بن سعيد لعنه الله

وروي عن عبد الرحمن بن كثير أنه قال قال — أبو عبد الله (ع) يوماً لأصحابه لعن الله المغيرة بن سعيد ، لعن الله يهودية كان يختلف إليها يعلم منها السحر والشعوذة والمخاريق . إن المغيرة كذب على أبي ، وإن قوماً كذبوا علي ما لهم أذا فهم الله حر الحديد ، فوالله ما نحن إلا عبيد خلقنا الله واصطفانا ما تقدر على ضرر ولا نفع إلا بقدرته ، إن رحمتنا فبرحمته وإن عذبتنا فبذنوبنا لعن الله من قال فينا ما لا نقوله في أنفسنا ولعن الله من أزالنا عن العبودية لله الذي خلقنا وإليه مآبنا ومعادنا ويده نواصينا (٣)

وعن حصين بن عمرو النخعي قال — كنت جالساً عند أبي عبد الله (ع) فقال له رجل جعلت فداك — إن أبا منصور حدثني أنه رفع إلى ربه فمسح

(١) انظر منهج المقال في الرجال ص ٢٠٣ (٢) انظر ص ١١٤ من الخلاصة في الرجال للامامة الخلي وهكذا ذكر النجاشي في رجاله وغيره (٣) راجع المنهج ص

فمسح على رأسه وقال له بالفارسية يا يسر . فقال أبو عبد الله حدثني أبي عن جدي رسول الله ﷺ انه قال : إن ابليس اتخذ عرشاً فيما بين السماء والأرض فإذا دعا رجلاً إليه فأجابه ووطأ عقبه تراباً له ورفع إليه . وإن أبا منصور كان رسول ابليس لعن الله أبا منصور لعن الله أبا منصور ثلاثاً .

وعن زرارة أنه قال سمعت أبا جعفر الباقر (ع) يقول لعن الله بنان البنان وإن بناناً كان يكذب على أبي . وأشهد أن أبي علي بن الحسين (ع) كان عبداً صالحاً . وعن هشام بن الحكم قال قال أبو عبد الله (ع) إن بناناً والسري وبزيعاً لعنهم الله تراباً لهم الشيطان في أحسن صورة من قرنه إلى سرقته قال فقلت إن بناناً ينلو هذه الآية — إن في السماء إله وفي الأرض إله — ويقول إن إله الأرض غير إله السماء . فقال الصادق (ع) والله ما هو إلا الله وحده لا شريك له ، إله من في السموات والأرض . كذب بنان عليه لعنة الله لقد صغر الله جل جلاله وصغر عظمته (١) .

البراءة من الخطيئة وأشياءهم

عن أبي عبد الله الصادق (ع) قال : إنا أهل بيت صادقون لا نخلو من كذاب يكذب علينا عند الناس يريد أن يسقط صدقنا بكذبه علينا . ثم ذكر المغيرة وبزيع (٢) الحابيك ، والسري ، وأبا الخطاب ، ومعمر ، وشار الأشعري ، وحمزة اليزيدي ، وصاحب الزهدي وغيرهم فقال لعنهم الله أجمع وكفانا مؤنة كل كذاب (٣) .

وعن حمادويه قال كنت جالساً عند أبي عبد الله (ع) وميسرة عنده .

(١) المنهج صفحة ٧٢ (٢) قال الاسترآبادي صاحب منهج المقال — إن البريئة اصحاب بزيع هذا أقرها بنبوته وزعموا أنهم كلهم انبياء لا يموتون ولكن يرفعون إلى السماء . وزعم بزيع انه رفع إلى السماء ومسح الله على رأسه ومج في فيه . وعن ابن أبي ينفور قال دخلت على أبي عبد الله (ع) فقال لي ما فعل بزيع؟ قلت قتل قال الحمد لله أما إنه ليس لهؤلاء شيء خير من القتل — (٣) المنهج صفحة ٦٧ .

ونحن في سنة ١٣٨ هـ فقال له ميسرة جعلت فداك ، عجبت لقوم كانوا يأتون إلى هذا الموضع فانقطعت أخبارهم وآثارهم وفنيت آجالهم . قال عليه السلام : ومن هم ؟ قلت أبو الخطاب وأصحابه . فقال — وكان منكثاً فجاس ورفع يبصره إلى السماء — : على أبي الخطاب لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . فأشهد بالله أنه كافر فاسقى مشرك . وأنه يحشر مع فرعون في أشد العذاب أما والله اني لأقس على أجساد أصيبت معه النار (١)

وروي أيضاً أن ابا عبد الله (ع) ذكر أصحاب أبي الخطاب والغلاة فقال : ٧ تنفاعدوهم ولا تواكلوهم ولا تشاربوهم ولا تصافحوهم ولا توارثوهم . وقال (ع) إن من الغلاة من يكذب حتى إن الشيطان ليحتاج إلى كذبه . وقال (ع) لمرأزم قل للغلاة توبوا إلى الله فإنكم فساق كفار مشركون . وقال لأبي بصير : يا أبا محمد إبراهيم من يزعم أنا أرباب ، وإبراهيم من يزعم أنا أنبياء (٢) .

وعن مصارف قال لما اجتمع القوم الذين لبوا بالكوفة : دخلت على الصادق (ع) وأخبرته بذلك فخرّ ساجداً ودقّ جؤجؤه بالأرض وبكى ، ثم رفع رأسه ودموعه تسيل على خديه فقدمت على إخباري إياه وقلت : جعلت فداك ما عليك أنت من ذا فقال يا مصارف إن عيسى لو سكنت عما قالت النصارى فيه لكان حقاً على الله أن يصم سمعه ويعمي بصره ، ولو سكنت عما قال في أبو الخطاب لكان حقاً على الله أن يصم سمعي ويعمي بصري .

وقال أيضاً إن قوماً يزعمون اني لهم إمام ، والله ما أنا لهم بإمام ، ما لهم لعنهم الله ؟ أقول كذا ويقولون يعني به كذا ، إنما أنا إمام من أطاعني . وقال من قال بأننا أنبياء فعليه لعنة الله ومن شك في ذلك فعليه لعنة الله (٣) هذا قول الصادق (ع) في أبي الخطاب والخطائية وبقية الغلاة . واليك

قول علماء الرجال من الشيعة قال صاحب منهج المقال «محمد بن مقلص الأسدي الكوفي الأجدع أبو الخطاب لعنه الله غال ملعون ، ويكنى أبو زينب الرزاذ قال ابن الغضائري - إن أبا الخطاب لعنه الله امره مشهور وأرى ترك ما بقوله أصحابنا حدثنا أبو الخطاب في حال استقامته (١) وهكذا قال النجاشي في (رجالهم) والعلامة الحلي في (خلاصته) .

❦ البراءة من العلوية

عن أبي عبد الله (ع) قال : لعن الله بشار الشعيري . إنه قال قولاً عظيماً فأذا قدمت بامرأزم الكوفة فأته وقل له : يقول لك جعفر بن محمد ، يا كافر يا فاسق يا مشرك أنا بريء منك . قال مرأزم فلما قدمت الكوفة قلت له : يقول لك جعفر بن محمد يا كافر يا فاسق يا مشرك أنا بريء منك . قال بشار : وقد ذكرني سيدي ؟ قلت نعم ذكرك بهذا قال جزاك الله خيراً ومقالة بشار هي مقالة العلوية - أصحاب العلوية بن ذراع الدومي - يقولون إن علياً (ع) رب وظهر بالعلوية الهاشمية . ووافقوا أصحاب أبي الخطاب في أربعة أشخاص علي وفاطمة والحسين (ع) وإن الأشخاص الثلاثة تلبس وانهم في الحقيقة شخص علي لأنه أول هذه الأشخاص في الإمامة .

وأنكروا شخص محمد ﷺ وزعموا أن بشار الشعيري لما أنكر ربوبية محمد وجعلها في علي وجعل محمداً ع . وأنكر رسالة سلمان مسح في صدره طبريقاً له علياً يكون في البحر فلذلك سموه العلوية (٢) .

وعن اسحاق بن عمار قال قال أبو عبد الله لبشار الشعيري لما دخل عليه أخرج عني لعنك الله والله لا بظني وإياك سقف أبداً ، فلما خرج قال عليه السلام : وولاه ما صغر الله تصغير هذا الفاجر أحد ، إنه شيطان بن شيطان خرج ليغوي أصحابي وشيعتي فأحذروه وليبلغ الشاهد الغائب أني عبد الله وابن

أمته ضمة نني الأصاب والأرحام . وإني لميت ومبعوث ثم مسئول والله لا سألن
عما قال في هذا الكذاب وادعاه (١)

البراءة من محمد بن نصير وجميع الغلاة أيضاً

روي عن أبي محمد الحسن العسكري (ع) أنه كتب ابتداء منه إلى أحد
مواليه أني أرا إلى الله من ابن نصير الفهري ، وابن بابا القمي فأبرأ منهما .
وإني محذرك وجميع موالي ، ومخبرك أني ألعنهما عليهما لعنة الله فتانين مؤذنين
آذاهما الله . يزعم ابن بابا أني بعثته نبياً وأنه باب ، وبئس لعنة الله سخر منه
الشیطان فأغواه . فلعن الله من قبل منه ذلك ، يا محمد إن قدرت أن تشدخ
رأسه فافعل : وابن الفهري هو محمد بن نصير قالت فرقة بنبوتهم وذلك أنه ادعى
النبوّة وأن علي بن محمد أرسله . وكان يقول بالتناسخ وبإباحة المحارم ، وكان
محمد بن موسى بن الحسن بن فرات يفتوي أسبابه وبعضه (٢)

وعن سهل بن زياد قال كتب بعض أصحابنا إلى أبي الحسن العسكري (ع)
جعلت فداك ياسيدي = إن علي بن حنيفة يدعي أنه من أوليائك وأنتك
أنت الأول القديم ، وأنه بابك ونبيك أمرته أن يدعو إلى ذلك . ويزعم
أن الصلوة والزكاة والحج والصوم كل ذلك معرفتك ، ومال إليه ناس كثير
فلما رأيت أن تمن علي مواليك بجواب في ذلك تنجيهم من الهلكة ، قال فكتب
عليه السلام = كذب ابن حنيفة عليه لعنة الله ، ويحك إني لا أعرفه من
موالي . وبله لعنة الله فوالله ما بعث محمد والانبيا قبله إلا بالحنفية والصلوة
والزكاة والصيام والحج ، وما دعا محمد ^{عليه السلام} إلا إلى الله وحده لا شريك
له وكذلك نحن الأوصياء من ولده عبيد الله لا نشرك به احداً . . . إبرا
إلى الله من قول ابن حنيفة وانتفى إلى الله منه . واهجره وأتباعه لعنهم
الله والجاهم إلى ضيق ، وإن وجدت منهم احداً فاشدخ رأسه (٣)

وعن سدير قال قلت لأبي عبد الله (ع) إن قوماً يزعمون أنكم آلهة . فقال (ع) : يا سدير سمعي وبصري ولحمي وبشري ودمي من هؤلاء . برى الله منهم ورسوله . ما هؤلاء على ديني ودين آبائي (١)

وحسبك من علماء الشيعة أن يقولوا في البراءة من الغلاة «عبد الله الأصم المسمعي البصري غالر ليس بشيء» ، وعبد الله الحضرمي المعروف بالبطل غالر يروي عن الغلاة لا خير فيه ولا يعتمد بروايته ، ومحمد بن مهران الكرخي من أبناء الاعاجم غالر كذاب ، فاسد المذهب والحديث مشهور بذلك (٢) وعلى ذلك قس أقوال الشيعة في بقية الغلاة الذين لهم صلة قليلة بسند الأخبار . وقد ألف علماء الشيعة كتباً خاصة بالرد على الغلاة والقرامطة بالخصوص وقد دوا عقائدهما وأقوالهما . وأكثر تلك الكتب لآل نوبخت والفضل بن شاذان ولسعید بن عبد الله الأشعري :

فإذا كان الشيعة وأئمتهم الأتطهار قد تبرأوا = كما رأيت = من الغلاة وعقائدهم وردوا عليها في كتب خاصة . فلنتساءل إذن عما هو

✽ السر في عد الفرق الغالية من الشيعة ؟ ✽

١٠٠ إن هذا السر (وإن كان خفياً في بدء الأمر على كثير من الناس) جلبي وظاهر لدى المطلعين على تلك الدعايات المتلوثة التي كان يستعملها خصوم العلويين وبالأخص خصوم الأئمة الميامين .

وكان الغرض المهم من تلك الدعايات الاتيعة ليس إلا إضعاف منزلة العلويين السامية في الأمة الإسلامية . أو إزالة تلك الثقة التي كانت لهم في القلوب فلا تميل إليهم بعدئذ ولا تشابههم أو تبذل جهدها في نصرتهم وقد ذكرنا — في مطاوي الفصول السابقة — النموذجاً من اتهامات بني

(١) المنهج ص ٢٥٧ (٢) ص ١٥١ وص ١٥٢ وص ٢٤٧ من رجال النجاشي

وهكذا في منهج المقال وخلاصة العلامة

أُمِّة لعلِّي وبنيه وأحفاده عليهم السلام . وذ كرنا أيضاً بعض الاحاديث التي وضعها الرضا عاون (بإيعاز من بعض الامويين) في ذم علي (ع) خاصة وآل ابي طالب عامة فلا حاجة إلى الازعاج .

وإذا أردت ان تعرف إلى أي حد بلغ تشنيع القوم على الشيعة بنسبة عقائد الفلاة وغيرها من العقائد الفاسدة إليهم فانظر (ج ١ ص ٣٥٢ من العقد الفريد) تجد كلاماً طويلاً عريضاً للشعبي « وهو من أخلاء عبد الملك بن مروان وممرأوه قد أرسله إليه الحجاج بن يوسف (١) »

وعلى الرغم من تقدم هذه الدعاية الأموية ضد الشيعة وإيتمهم عليهم السلام قد سبقتم الدعاية العباسية بأشواط بعيدة . لان العباسيين رأوا — أيام الدولة الأموية كيف أن القهر على البيعة ، والضغط على العقيدة ، والإسراف في القتل لم تؤثر الاثر المطلوب في العلويين ؟ ولم تمح اسمهم الكريم من القلوب ، وذ كرههم الجليل من الألسن = وثقتهم العظمى من النفوس بل ولم تفت في ساعدتهم أو تفني أنصارهم وأشياعهم . وإنما الأمر كان على عكس المطلوب .

لما رأى العباسيون ذلك في الدولة الأموية . ولما كانوا يعلمون يقيناً أن الناس أميل إلى العلويين لتجمع الخصال الفاضلة في شخصياتهم الكريمة . وخصوصاً شخصية أبيهم أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) ذلك الرجل الذي « قل » أن وجد في التاريخ البشري مثله في كمال صفاته ، وكثرة فضائله ، وعلو مزايده (٢) «

لما كانوا يعلمون ذلك التجأوا — بطبيعة الحال — إلى الخداع فبايعوا بعض العلويين محمد بن عبد الله الحنفي ، وكان الصادق (ع) قد نهى عن قبول هذه البيعة من آل العباس لعلمه بنواياهم في هذا الأمر فلم ينته . ولكنه ما لبث قليلاً حتى ظهر لديه نصح الصادق له في نهيه ، وتجلي له هذا الظهور عندما رأى

العباسيين قد هروا نحو الكوفة وأخذوا — بدافع الأثانية — البيعة لأنفسهم من الناس ولم يعطوا البيعة التي كانت له في أعناقهم أي التفات بل تعمدوا نكثها وراحوا — بعد أن ثبتوا دعائم ملكهم — يتبعون خطة الأمويين في الشيعة متناسين ما رأوه من عدم النجاح لتلك الخطة الإثانية النجاح المطلوب: قتل المنصور — كما تقدم — جماعة من الحسينيين وفيهم محمد وأبوه، وقتل من نهض مع محمد من علماء الإسلام، وقتل أيضاً إبراهيم أخا محمد ومن قام معه من أهل الفقه والحديث وقتل من ناصحها من العلماء كإمام أبي حنيفة وقتل الذين قاموا بعده جمعاً غفيراً من آل أبي طالب في الحجاز والعراق ومصر واليمن وإيران .

ولكن كان كلما ازداد الضغط والتقتيل ازداد أنصار العلويين ، وتحمسوا كثيراً في التفاني بنصرتهم والجهاد في سبيلهم ، وكان الراسخون في العلم من بني الحسين (ع) قد اتجهوا — في هذه الفترة التي ارتبك فيها العباسيون بأمر الحسينيين — نحو بث العلوم الإسلامية وتدريسها بأنواعها في الحجاز والعراق أيضاً ، وكان مقدمهم وأظهرهم فضلاً وعلماً أبو جعفر الصادق (ع) ولذلك التفوا حوله هم وغيرهم فكثرت الرواة عنه على اختلاف مذاهبهم حتى بلغوا أربعة آلاف .

فغاض المنصور ذلك وأشخص الصادق إليه ووبخه وهدده واثمه بأنه يلحد في سلطانه ، والحقيقة أنه رأى مثل هذا الظهور العلمي كحرب سلمى تكون نكابته اشد ويكون اثره اعظم من المقابلة بالسيف . فلذلك عدل قليلاً عن الإسراف بالقتل والنفت إلى الدعاية الهادئة ضد العلويين ، ولم يهمل هذه الناحية من تحلف بعده وخصوصاً الرشيد الذي بذل لأبأن عشرين ألف درهم على آيات قالها في التشنيع على العلويين .

وقد ساعدتهم الظروف — على هذه الدعاية الفاشلة — في تلك الأيام

التي كثر فيها ظهور البدع والغلو من قوم كانوا يترددون (من قبل) على مجالس الصادق وابيه الباقر عليهما السلام وينسبون انفسهم إلى التشيع لهما وإلى غيرهما من العلويين .

استغل المنصور الفتاك المهاب من الرعية هذه الظروف وأشار مباشرة أو غير مباشرة إلى حبه الدعاية ضد العلويين بشئى الدعايات . فساغتم المرتزقون من الكتاب والشعراء هذه الفرصة السانحة لاستدراار الدراهم عن طريق التقرب بما يرضي المنصور من وضع الأحاديث ونسبة الغلو والغلاة وكل سخافة إلى الشيعة العلوية وهكذا فعل بعض الوعاظ من عبّاد المال .

وهكذا كان أكثر من تخلف بعد المنصور . وخصوصاً المتوكل الذي كان « يقول يوماً لبعض خاصته ويحكم قد أعياني أمر ابن الرضا وجهدت ان يشرب معي وان بنادمني فامتنع » وجهدت ان أجد فرصة في هذا المعنى فلم أجدها فقال له بعض من حضر ان لم تجد من ابن الرضا ما تربده من هذه الحال فهذا اخوه موسى يشرب ويتخالع فأحضره واشهره فان الخبر يشيع عن ابن الرضا بذلك فلا يفرق بينه وبين اخيه ومن عرفه انهم اخاه بمثل فعالة (١) »

عرفت أكثر فرق الغلاة وعرفت السر في حشرهم بين الشيعة ولكن لم تعرف في كتابنا هذا = فرقة القرامطة المعرفة التامة ، ولا فرقة الباطنية من الايسماعيلية ولا الغابية من الطعن بنسب الفاطميين خلفاء مصر . لأننا لم نقر ذلك بحثاً خاصاً مع ان بعض الباطنية والقرامطة باجمهم كانوا اشد غلوا من جميع الغلاة واعظم ضرراً على الخلق واكثر فساداً في الارض . وهذا ما دعانا إلى البحث هنا عن

القرامطة وتاريخهم بأيجاز

« حدث مذهب القرامطة المنسوبين إلى حمدان الأشعث المعروف بقرمط

لقصر قامته ورجليه وتقارب خطوه في سنة أربع وستين ومائتين (٢٦٤ هـ) وكان ظهوره بسواد الكوفة ، فاشتهر مذهبه بالعراق ، وقام ببلاد الشام صاحب الحال ، والمدرثر (١) والمطوق ، وقام ابو سعيد الجنابي (٢) بالبحرين وعظمت

(١) المدر اسمه عبد الله ونقبه بالمدرثر ابن عمه الحسين صاحب الشامه وجعله ولي عهده ، وحارب المدر مع ابن عمه عساكر الامير طنج في الشام سنة ٢٩٠ هـ حتى أخذوها صلحا . ثم تغلبوا على حمص وحماة والمرة وغيرها ، وأخذوا سلسية بالأمان ثم قتلوا أهلها حتى صيان المكتب ، فخرج إليهم المكتفي من بغداد ونزل الرقة وأرسل منها الجيوش ، ولما قابلت الجيوش جماعة القرامطة في قرية تمنع . انكسر القرامطة وفر صاحب الشامه والمدرثر ، فأمسكا وأرسلوا إلى المكتفي فسار بهما إلى بغداد وقتلها فيها سنة ٢٩١ هـ انظر مجلد ٢ من تاريخ أبي الفداء

(٢) كان قيام أبي سعد الجنابي - واسمه الحسن بن بهرام - في سنة ٢٨٦ هـ استولى على هجر والإحسا ، والقطيف وسائر بلاد البحرين إلى أن قتل سنة ٣٠١ هـ قتله خادم له صقلي مع أربعة من كبرائهم في الحمام ، فقار ابنه ابو طاهر سليمان وتغلب على اخيه الأكبر سعيد وكبس البصرة ليلا وقتل عاملها وأقام بها ١٧ يوما يقتل وينهب ، وفي سنة ٣١٥ هـ سار إلى الكوفة واستولى عليها وقتل يوسف بن أبي الساج قائد عسكر المقتدرو في سنة ٣١٧ هـ غزا مكة ونهب الحاج وقتلهم في المسجد وداخل الكعبة ، وقتل أمير مكة وقلع باب البيت ونقل المجر إلى هجر ، وطرح القتلى في بئر زمزم وكان موت طاهر هذا بالجدري سنة ٣٣٢ هـ . وبقي المجر عند القرامطة حتى ارجعوه سنة ٣٣٩ هـ ثم في سنة ٣٦٠ هـ كبسوا جعفر بن فلاح نائب الميز الفاطمي خارج دمشق وقتلوه وملكوا دمشق ثم في سنة ٣٦١ هـ قصدوا مصر ومعهم خلق من الإخشيدية ، فحاربهم جوهر قائد الميز واتصر عليهم أخيرا ، فعادوا إلى الشام ، ثم في سنة ٣٦٣ هـ عادوا إلى مصر فخرج إليهم الميز بنفسه وقتل منهم خلقا كثيرا فساروا إلى القطيف ثم في سنة ٣٦٥ هـ عادوا فقاتلهم العزيز ابن الميز في الرملة قتالا شديدا . وكان كبيرهم في هذه الوقائع الحسن المعروف بالأعصم وقد مات في الرملة سنة ٣٦٦ هـ وتولى امرهم بعده ستة نفر منهم شركة ، وسعوا السادة ، فقصدا في سنة ٣٧٥ هـ الكوفة . مع نفرين من السنة ، فجهز إليهم صاحب الدولة البويهي جيشا هزمهم واكثر فيهم القتل فأنحرفت من يومئذ هيبتهم ولم تقم لهم قائمة : وإذا أردت تفاصيل وقائهم فطليك بكتب التاريخ المطولة والمختصرة ايضا كالمجلد الثاني من تاريخ أبي الفداء والمجلد الرابع من تاريخ ابن عساكر .

دولته ودولة بنيه حتى أوقعوا بمساكر الخلفاء العباسيين ، وغزوا بغداد والشام ومصر والحجاز ، وانتشرت دعائهم بأقطار الارض .

فدخل جماعة من الناس في دعوتهم ، ومالوا إلى قولهم الذي سموه علم الباطن وهو تأويل شرائع الاسلام ، وصرفها عن ظواهرها إلى أمور زعموها من عند انفسهم فضلوا وأضلوا عالماً كثيراً (١) .

وقيل غير ذلك في تاريخ ظهور حمدان هذا وفي تسميته بقرمط يقول الوطواط « ظهر في ايام خلافة المعتمد سنة ٢٧٨ هـ من سواد الكوفة رجل احمر العينين يسمى كرميته ، فاستثقلوا هذه النظرة فخففوها وقالوا قرمط ثم ذكر انواع تعاليمه وبدعه الفاسدة وذكر ان المعز الفاطمي وقائده جوهر قد حاربوا القرامطة حروباً دامية سنة ٣٦٢ هـ (٢) »

ويقول ابن خلكان « والقرامطة نسبتهم إلى رجل من سواد الكوفة يقال له قرمط بسكر القاف ولهم مذهب مذموم وكانوا قد ظهوروا في سنة ٢٨١ هـ في خلافة المعتضد وقيل كان ظهورهم في سنة ٢٧٨ هـ (٣) »

ويرى ابو الفداء « ان ظهورهم كان في هذه السنة اي سنة ٢٧٨ هـ في سواد الكوفة وان الرجل الذي دعاهم إلى مذهبه كان شيخاً وقد تعرض بقرية من سواد الكوفة فحمله رجل من اهل القرية يقال له كرميته لحرمة عينيه وهو بالبطنية اسم لحرمة العين . فلما تعافى الشيخ المذكور سمي باسم ذلك الرجل الذي آواه ومرّضه . ثم خفف فقالوا قرمط بكسر القاف . ودعا قوماً من اهل البادية ممن ليس لهم دين ولا عقل إلى دينه فأجابوه (٤) »

ولا يهتأ أن كان الرجل الذي دعا القرامطة هو نفس الرجل المسمى بقرمط

(١) ج ٦ ص ١٨٣ من خطط المقرئ (٢) ص ٢١٢ وص ٢١٥ من خصائصه الواضحة (٣) ج ١ ص ٥٠٢ من وفيات الاعيان (٤) ج ٢ ص ٥٥ من تاريخه وقد روى ابن الجوزي ص ١١٠ من كتابه تليس إبليس هذا السبب لتسميتهم بالقرامطة والسبب الأول الذي روياه عن المقرئ ولم يرجح أحدهما على الآخر :

او غيره ولكنه مُسمي باسم قرمط ؟ وإنما بهننا نعرف ناربخ ظهورهم في أي سنة كان لنعرف أكان في زمن الأئمة من أهل البيت ام لا ؟ وقد رأيت اختلاف الروايات في تحديد زمان ظهورهم . والأرجح انه كان في سنة ٢٧٨ هـ أي بعد انقضاء زمن الأئمة الميامين وفي أثناء الغيبة الصغرى للإمام الثاني عشر (ع) ولذلك لم نذكر القرامطة — بالخصوص — في احاديث البراءة الماثورة عنهم عليهم السلام ولكن الاحاديث التي ذكرناها قريباً في البراءة من الغلاة شاملة للقرامطة بطريق أولى لأنهم من اقبح الغلاة . فليس من الحق ان يقال « ومن الشيعة فرقة الباطنية ثم القرامطة » في حين ان علماء الشيعة قديماً وحديثاً يبرأون من كل غال ومن القرامطة بالخصوص وقد ألقوا كتباً كثيرة في الرد عليهم وذكرهم في كتب اللغة وفي كتب التراجم واليك أنموذجاً صغيراً منها . قال صاحب مجمع البحرين في اللغة عند مادة قرمط « والقرمطي واحد القرامطة ومنه تحول الرجل قرمطياً ، وهم فرقة من الخوارج عن الإسلام . وعن الشيخ البهائي أنه دخلت في سنة ٣١٠ القرامطة إلى مكة المكرمة في أيام الموسم وأخذوا الحجر الأسود وبقي عندهم عشرين سنة وقتلوا خلقاً كثيراً . ومن قتلوا علي بن بابويه كان يطوف فقطعوا طوافه وضربوه بالسيف فأنشد

تري المحبين صرعى في ديارهم كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا (١) » وقال صاحب روضات الجنات « والقرامطة هم فرقة من الخوارج الكفرة قد كتب بعض أصحابنا الإمامية في الرد عليهم . إلى أن ذكر دخول أبي طاهر القرمطي مكة المكرمة يوم التروية وما فعله في الحاج من النهب والقتل ودفن القتلى في المسجد وفي بئر زمزم . وقلع باب الكعبة وهدم قبة زمزم وتقل الحجر الأسود إلى هجر (٢) »

وقد اختلفت كلمات المؤرخين اختلافاً عظيماً في التعاليم القرمطية كما اختلفت أقوالهم في أصل تلك التعاليم وفي مصدرها وفي تاريخ المذهب القرمطي الأمر الذي دعانا إلى عدم الاطمئنان والحزم بتلك الكلمات والأقوال التي لم توضح تقدم المذهب الإسماعيلي على القرمطي ولكن مما لا نشك فيه أن المذهب الإسماعيلي قد حدث في منتصف القرن الثاني أي بعد وفاة الصادق (ع) بقليل .

وفي هذا الوقت لم يكن اسم القرمطي في عالم الوجود . وإنما وجد (كما تقدم) في أواخر القرن الثالث . ولا ننكر أن التعاليم القرمطية قد وجدت في أذهان الغلاة قبل ذلك . وبُثت فيما بعد بين القرامطة . والذين بثوها في أذهانهم هم قهرٌ من الغلاة الباطنية حيث سبروا الحسين الأهواري داعية إلى العراق فلقي حمدان القرمطي ودعاه إلى مذهب الباطنية فاستجاب له . والأهواري هذا كان من الباطنية بل قيل « إنه الزعيم الأول لهم والمؤسس لمذهبهم » الذي انتشر انتشاراً هائلاً في أواخر القرن الرابع (١) أي في أيام الحاكم بأمر الله القاطمي الذي تولى الخلافة سنة ٣٨٦ وفتح دار الحكمة في سنة ٣٩٥ هـ وقتل سنة ٤١٢ هـ . فدخل هذه الدار جماعة من فلول القرامطة (الذين هزمهم صمصام الدولة البويهية سنة ٣٧٥) وتولوا شؤون دار الحكمة . فدخلوا في تعاليم الإسماعيلية الأولى ما لا يتفق والتعاليم الإسلامية بوجه . ولهذا يقال أن أصل دعوة الإسماعيلية مأخوذة من القرامطة ونسبوا من أجلها إلى الاتحاد (٢) . ولا يبعد أن تكون دعوة الإسماعيلية التي نظمت في دار الحكمة مأخوذة من

(١) وكثر أتباعه أيضاً في أواخر القرن الخامس يوم ترأسهم الحسن بن الصباح بإصهبان وبنى لهم القلاع الحصينة وكان يسمى بعضها بقلعة الموت ، فاستفحل أسرم حتى آل إلى سرقة الملوك والأسراء وقتلهم ثم ربيعهم في الآبار . وحتى أن الإنسان كان إذا خرج خارج بيته أبس منه أهله وظنوا أنه اغتيل في الطريق . وسيأتيك مزيد بيان .

(٢) ج ٢ ص ٢٢٣ و ص ٢٣٤ من خطط المغريزي

القرامطة الذين أخذوا تعاليمهم الأولى من زعيم الإسماعيلية الأهوازي .
فيكون القرامطة قد أخذوا أولاً ثم أعطوا ثانياً . وكما علمهم بعض الإسماعيلية
الغلو علموه هم لبعض آخر من الإسماعيلية الذين كانوا خلواً منه .

وعلى كلٍ فيهمنا أن نعرف الآن هل كان الخلفاء الفاطميون من غلاة
الإسماعيلية ؟ وهل كان الذين كانوا بعد الحاكم معتقدون بآلهيته كما اعتقدها
غيرهم ؟ ولما كان الجواب القطعي عسراً للغاية . لأن ما كتب عن القوم كان
شديد الغموض فاحش الاضطراب وخصوصاً ما يتعلق بعقائدهم فإنه - زيادة
على ذلك - في غاية المبالغة والتحامل الغريب الأمر الذي يدع الكاتب
يتردد كثيراً في الإقدام على الحكم الجازم . وبشكك في كثير مما نسب إلى
القوم من الخرافات والبدع والكفر والزندقة فضلاً عن رديهم بكونهم أدياء
في النسب .

لما كان الأمر على هذا الحال المرهب التجأنا إلى الحكم فيما نكتب عنهم
على سبيل الظن والاحتمال والترجيح ، واقتصرنا على
﴿ كلمة موجزة في الفرقة الباطنية وفي الغاية من الطعن على الفاطميين ونسبهم ﴾
عرفت أن الإسماعيلية اختلفوا بموت إسماعيل في حياة أبيه . « فمنهم من
قال لم يميت إلا أنه أظهر أبوه موته تقيّة من بني العباس . ومنهم من قال -
الموت صحيح والنص لا يرجع قهقري . والفائدة - في النص بقاء الإمامة
في أولاد المنصوص عليه دون غيره . فالإمام بعد إسماعيل محمد بن إسماعيل
وهو لاء يقال لهم المباركية .

ثم منهم من وقف على محمد بن إسماعيل وقال يرجعته بعد غيبته ، ومنهم
من ساق الإمامة في المستورين منهم ثم في الظاهرين القائمين من بعدهم وهم
الباطنية الذين لهم مقالة مفردة (١) » بقول الشهرستاني

«وإنما لزمهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطناً ولكل تنزيل تأويلاً ولهم القاب كثيرة في العراق يسمون الباطنية ، والقرامطة ، والمزديكية ، وبخراسان التعليمية والملحدة . ثم إن الباطنية القديمة قد خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة وصنّفوا كتبهم على ذلك المنهاج فقالوا في الباري تعالى إنا لا نقول هو موجود ولا لا موجود . ولا عالم ولا لا عالم ، وكذلك في جميع الصفات ثم ذكر تعاليمهم وشبهاتهم وقال بعدها ثم إن أصحاب الدعوة الجديدة تنكبوا هذه الطريقة حين أظهر الحسن بن الصباح دعوته وقصر عن الالتزامات كالحكمة ، واستظهر بالرجال ونحصر بالقلاع وكان بدء صعوده إلى قلعة الموت في شعبان سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة وذلك بعد أن هاجر إلى بلاد إمامه وتلقى الدعوة منه لأبناء زمانه . ثم ذكر كيفيتها بكلام طويل فراجع (١)»

هذه بعض تعاليم الباطنية أشرنا إليها إشارة لتعرف هل كان الفاطميون على هذه التعاليم السيئة أم لا ؟ ، وإن ما رأيناه - في التاريخ - من أعمال الفاطميين الشهيرة في مصر ، وأقوالهم المأثورة في التمسك بالدين لما يوجب الظن بأنهم ليسوا على مقالة الباطنية وتعاليمهم . وإن وافقوهم بسوق الإمامة في المستورين ثم في الظاهرين بل احتمل أن الحاكم بأمر الله الذي قال بألهيته بعض الباطنية أو كلهم - كان ممن يسخر من مقالة الباطنية فيه . وبعاقب عليها لو كانت في حياته ولكنها - على الأرجح - كانت بعد وفاته . وعلى كل حال فلا يسوغ لمنصف أن يعتبر القائلين بالغلو - سواء كانوا باطنية أو غير باطنية - من الشيعة ولا من المسلمين . وهكذا كل من ينكر إحدى ضروريات الدين الإسلامي . أما الذين لا ينكرون شيئاً منها - وإن جادلوا في بعض المسائل النظرية أو أنكروا دليلها - فهم مسلمون حقيقة وإذا كانوا من الموالين لأمر المؤمنين (ع) فهم مسلمون شيعيون . ويدخل في

هو «لا جلُّ الخلفاء الفاطميين — على الظاهر — وجلُّ البيت الفاطمي إن لم نقل كلهم لأنهم كانوا متشددين في إسلاميتهم وفي ولائهم لأمير المؤمنين وأهل بيته عليهم السلام . وكانوا يقيمون شعائر الإسلام ابنائهم حلوا وهمرون المساجد والمعاهد العلمية الإسلامية . وبالأخون في الاتفاق عليها وعلى فقراء المسلمين وخصوصاً في مصر حتى « قبل بحق إن أيامهم في مصر كانت كلها أعياداً » ولقد قال أهل مصر من جميلهم ويررهم ما لا يحصى عدده .

ولا نبالغ إذا قلنا إن أهم الآثار الإسلامية الباقية إلى الآن في مصر من آثارهم الخالدة وبكفي في التذليل على ذلك « الجامع الأزهر الذي بناه القائد جوهر بأمر سيده المعز الفاطمي » نعم لا ننكر أن « القوم » كانوا = كغيرهم من الملوك = يستعملون التعصب لمذهبهم الإسماعيلي وبضفطون على حرية المذاهب الأخرى ولو كانت تمت إلى مذهبهم بقرابة .

وكان بعضهم يستبد كثيراً ، ويميل عن الحق في أغلب أعماله . وهذا مما لا سبيل إلى إنكاره ، وإنما ننكر أن يؤخذ من ذلك دليلاً على « غلوهم » وكفرهم وتزندقهم من غير أن نعلم هل كانوا في ارتكابهم لتلك المحرمات مثلاً يعتقدون حليتها وينكرون تحريمها المستلزم لأنكار الكتاب العزيز الذي نص على تحريمها أم لا ؟

وكيف نحكم بكفرهم ؟ من دون أن نقوم لنا دليل صريح موجب لكفرهم من طريق صحيح أو من اعتراف منهم وتصريح بالكفر الذي ضيق الشارع دائرته ولعن من يتسرعون في إصدار الحكم به . -

نعم كيف نحكم بكفرهم — كما حكم السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء — في حين أنا نرى الحاكم بأمر الله — وهو أعظمهم كفراً وشراً — أعمالاً بنظر البعض — « يخرج رقعة بخطه سنة ٤٠٣ هـ إلى أمين الأمان لما توقف في الاتفاق على الناس . نسختها بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله كما هو أهله

أصبحت لا أرجو ولا أنقي إلا إلهي وله الفضل
 جدي نبي وإمامي أبي (١) ودنبي الإخلاص والعدل
 ما عندكم ينفد وما عند الله باق . المال مال الله والخلق عياله ، ونحن
 أمناؤه اطلق ارزاق الناس ولا تقطعها (٢) »

فهل يدل هذا الشعر والنثر الأعلى محض الإخلاص ، والتوحيد لله تعالى ،
 والعدل في الرعية بالرغم مما نسب إليه من جور ؟
 على أن الرجل قد أصيب في أواخر أيامه بخلال في دماغه فلا تؤخذ أعماله
 مقياساً لمن تقدم عليه أو تأخر عنه من قومه الفاطميين وفيهم من عرف بالعلم
 والرفق والعدل .

ويكاد المرء أن يعتقد — بعد ذلك — بأن كل ما نسب إلى « القوم »
 مبالغ فيه أو مكذوب به عليهم . لأن التعصب المذهبي ، والعداء السياسي قد
 بلغا الغاية في إهام القوم حتى أنهم أنفسهم كانوا في لجة عميقة من التعصب المذهبي
 البغيض ، دفعتهم كثيراً إلى إكراه الناس على اعتناق مذهبهم الإسماعيلي
 وترك غيره من المذاهب التي اعتقدها أهلها منذ الصغر ، ولقد كان تعصب
 الفاطميين حتى على من هو قريب منهم في المذهب

ينقل لنا المقرئ « أن المعز كتب إلى فائده جوهر يحذره من بني حمدان
 ويقول له — إن بني حمدان بتظاهرون بثلاثة أشياء عليها مدار العالم ، وليس
 لهم فيها نصيب ، بتظاهرون بالدين والكرم وليس لهم منهما نصيب ، وبتظاهرون
 بالشجاعة وشجاعتهم للدنيا لا للآخرة ، فاحذر كل الحذر من الاستناد
 لأحد منهم (٣) »

(١) يعني به علياً أمير المؤمنين (ع) لأنهم كانوا في خطبتهم يقولون — السلام على
 أينما أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إمام الأمة وكاشف الفسقة — انظر ج ٢ ص ٣٣١
 من خطط المقرئ (٢) المخط ج ٤ ص ٢٦٢ (٣) ج ٢ ص ١٦٥ من خطاطه

وهذه الكلمة من المعز الفاطمي — وإن كانت في معرض التحذير —
 تفهمنا ما بلغ الرجل من التعصب المذهبي الشديد لقوله فيها «ويتظاهرون في الدين»؟
 ومن البديهي — في التاريخ — أن بني حمدان كانوا من الشيعة الإمامية
 الاثنى عشرية الذين حموا ثغور المسلمين وجاهدوا في سبيل الدين أكبر جهاد
 حتى أن سيف الدولة قد جمع الغبار الذي تجمع عليه أيام غزواته لأعداء
 الدين وجعله بصورة «لينة» وأوصى أن توضع معه في قبره ، أضف إلى ذلك
 احترام العلماء ، وصلة الشعراء ، وتقديس الشعائر الدينية

دخل الفاطميون إلى مصر مرافقهم التعصب لمذهبهم ، والتفاني الصريح في
 حب أهل الكساء (ع) حتى أن المعز «أمر في رمضان سنة ٣٦٢ هـ أن يكتب
 على سائر الأماكن بمدينة مصر — خير الناس بعد رسول الله ﷺ أمير
 المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام (١)»

و في سنة ٣٦٥ هـ «جاس القاضي بالجامع الأزهر وأبلى المختصر المعروف
 بالانقصاد وقرأه على الناس وهو يشتمل على فقه الإسماعيلية : وفي سنة ٣٧٢ هـ
 أمر العزيز بقطع صلاة التراويح من جميع البلاد المصرية ، وفي سنة ٣٨١ هـ
 ضرب رجل بمصر وطيف به المدينة من أجل أنه وجد عنده كتاب الموطأ لمالك
 ابن أنس (٢)»

هكذا كان الفاطميون حين دخولهم إلى مصر في الوقت الذي تملك فيه
 التعصب للأمويين قلوب المصريين «فكانوا إذا لقوا أحداً — في الطريق —
 قالوا له من خالك ؟ فإن لم يقل معاوية وإلا بطشوا به وشأحوه ، ولما دخل
 جوهر قائد المعز الفاطمي إلى مصر وبني القاهرة أذن في جميع المساجد الجامعة
 وغيرها ، حي على خير العمل ، وأعلن بتفضيل علي بن أبي طالب على غيره ،
 وجهر بالصلاة على الحسن والحسين وفاطمة الزهراء (رض) فقابله الرعية ونادوا

معاوية خال علي وخال المؤمنين، فأرسل جوهر رجلاً إلى الجامع فنادى: أيها الناس أفلوا القول ودعوا الفضول، فلا ينطقن أحد إلا حلت به العقوبة الموجهة (١) « فكان من المعقول أن يشتد العصادم بين ذينك التعصبين، وأن تجري حوادث خطيرة. ولكن سرعان ما خضع المصريون ودانوا أكثرهم بالمذهب الإسماعيلي وصدق فيهم بومئذ قول المقرزي «إن من طبيعة المصريين قلة الصبر والجلد، وأخلافهم يغلب عليها الاستحالة والتنقل من شيء إلى شيء والدعة والجنب (٢)» وإذا ألقيت نظرة إجمالية على تاريخهم أيام استعباد الفراعنة إياهم، وأيام الخصي جوهر، والحاكم بأمر الله، والمماليك وغيرهم، منصوب المقرزي بنسبة الجنب إليهم. وإذا سبرت أنة لهم من التشيع أيام علي إلى النصب أيام معاوية ومن بعده، ثم منه إلى التشيع للعباسيين ثم منه إلى التشيع للفاطميين ثم منه إلى التشيع للأيوبيين وهلم جرا. إذا سبرت ذلك توافق المقرزي أيضاً على قوله «وأخلافهم يغلب عليها الاستحالة والتنقل من شيء إلى شيء»

دان المصريون بالمذهب الإسماعيلي نيفاً ومائتين سنة وأخلص له القليل وكاده الباقون وكان «لهم خبرة بالكيد والمكر. وفيهم بالفطرة قوة عليه. وفي مكرهم يقول أبو نواس فإن بك باقى إفاك فرعون فيكم فإن عصي موسى بكف خصيب (٣) لذلك لا يبعد أن يكون ما نسب إلى الفاطميين ورؤياه — ناشئاً من المصريين الذين لم يخلصوا للمذهب الإسماعيلي وأئمنه الفاطميين. وعاضدهم على ذلك العباسيون الذين رأوا مزاحمة الفاطميين الشديدة حتى زاحمهم على الخلافة الإسلامية بالمناكب وقربوا من بغداد عاصمة العباسيين فالتجأوا إلى الدعاية ضد العلويين عامة والفاطميين خاصة حتى أنهم «كتبوا سنة ٤٠٢ هـ محضر آبائهم القادرين يتضمن القدح في نسب العلويين خلفاء مصر (٤)»

(١) المخطوط مجلد ٢، صفحة ١٥٥ و ١٥٦ (٢) المخطوط مجلد ١، صفحة ٧١

(٣) مجلد ١، صفحة ٧٨. من المخطوط (٤) تاريخ أبي الفداء مجلد ٢، صفحة ١٤٢

«وكتب (ابضاً) محاضر في بغداد سنة ٤٤٤ بالقدرح في نسب الخلفاء المصريين وقيهم من الاتساب لعلي بن أبي طالب وسيرت الى الافاق (١)»
 ولكن تلك المحاضر الفاشلة لم توهم عزيمة الفاطميين ونشاط دعائهم في الامصار بل ظلوا مثابرين على العمل الجدّي حتى «أخذ لهم البساسيري بغداد سنة ٤٥٠ هـ وأقام فيها الخطبة للمستنصر الفاطمي . وفر الخليفة القائم بأمر الله العباسي، وسيرت ثيابه وعمامته وغير ذلك إلى مصر . وفي سنة ٤٥١ أقيمت دعوة المستنصر بالبصرة ، واسط وحجيم تلك الاعمال ، فقدم طغرل إلى بغداد وأعاد الخليفة العباسي وقتل البساسيري الذي خطب اربعين خطبة في بغداد للمستنصر الفاطمي (٢)»
 نعم لم تؤثر تلك المحاضر — على ما يظهر — في دولة الخلفاء الفاطميين بل عاشت بعد ذلك ما يقرب من قرن وربع قرن . لكنها قد أفادت أولئك الكتاب المرتزقين الذين سطورها في كتبهم على غير تفكير وتعقل في الدافع اليها والغرض منها ولولا ان يُقيض الله سبحانه من فضح تلك المحاضر لبقينا نعتقد بان القوم أذعياء في نسبهم الفاطمي :

واليك ما قاله ابن خلدون غير المتهم بالنسبة الى القوم لانه كان يراهم من الملاحدة في الدين ومن الكفرة ومع ذلك حامى عن نسبهم أبلغ محاماة حيث يقول «ومن الأخبار الواهية ما يذهب اليه الكثير من المؤرخين في العبيديين خلفاء الشيعة في القيروان والقاهرة من قيهم عن أهل البيت والطعن في نسبهم الى اسماعيل يعتمدون في ذلك على أحاديث لفقت للمستضعفين من خلفاء بني العباس تزلفاً اليهم بالقدرح فيمن ناصبهم ٠٠ الى أن قال بعد كلام طويل — والعجب من القاضي أبي بكر الباقلاني فيمنح الى هذه المقالة ويرى هذا الرأي الضعيف . فإن كان ذلك لما كانوا عليه من الإلحاد في الدين والتعمق في الرافضية (?) فليس ذلك بدافع في صدر دعوتهم ، وليس اثبات منتسبهم بالذي بقي عنهم من الله

شيثاً في كفرهم الخ (١)»

وهناك محاماة ثانية عن نسب القوم لها قيمتها التاريخية لأنها من المقرري المصري الذي هو أدري بخلفاء بلاده مصر، وأكثراطلاعاً على دقائق أحوالهم وكميافيات انسابهم .

قال «إعلم ان القوم كانوا ينسبون الى الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما ، والناس فربقان في امسهم . فربق يثبت ذلك . وفريق يمنع ويزعم انهم ادعياء من ولد ديسان البوني وأصله من المجوس . وبعض منكري نسبهم في العلوبة بقول — ان عبد الله المهدي (جدهم) من اليهود . . الى ان قال — وهذه اقوال ان انصفت تبين لك انها موضوعة فإن بني علي (رض) قد كانوا اذ ذلك على غابة من وفور العدد . وجلالة القدر عند الشيعة فما الحامل لشيعةهم على الاعراض عنهم والدعوة لابن مجوسي او يهودي ؟ فهذا مما لا يفعله احد ولو بلغ الغاية في السخف والجهل :

وانما جاء ذلك من قبل ضعفة بني العباس عندما غصوا بمكان الفاطميين . فلو انهم كانوا قد اتصلت دولتهم نحواً من مائتين وسبعين سنة ، وما لكوامن بني العباس بلاد المغرب . ومصر . والشام وديار بكر والحرمين ، واليمن ، وخطب لهم ببغداد نحو اربعين خطبة ، وعجزت عساكر بني العباس عن مقاومتهم فلاذت حينئذ الى تنفير الكافة عنهم باشاعة الطعن في نسبهم ، وبث ذلك عنهم خلفائهم ، وأعجب به اولياؤهم وامراء دولتهم الذين كانوا يحاربون عساكر الفاطميين . كي يدفعوا بذلك عن انفسهم . سلطانهم معرفة العجز . . حتى اشتهر ذلك الطعن ببغداد وأسجل القضاة بغيرهم من نسب العلويين وشهد بذلك من اعلام الناس جماعة منهم الشريفان الرضي والمرضى في عدة وافرة عندما جمعوا لذلك في سنة ٤٠٢ أيام القادر (٢)

(١) صفحة ١٥ من مقدمته (٢) قد جعل ابن خلدون تاريخ هذه الشهادة سنة ٦٦٠ هـ في أيام القادر وهو خلاف الواقع لان القادر هذا توفي سنة ٦٢٢ هـ كما في مجلد ١ صفحة ١٥٨ من تاريخ ابي الفداء — اي قبل تاريخ ابن خلدون لهذه الشهادة بثمان وثلاثين سنة

وكانت شهادة القوم في ذلك على السماع (١) لما اشتهر ببغداد واهلها إنما هم
 من شيعة بني العباس الطاعنين في هذا النسب، والمتطيرين من بني علي (رض)
 والفاعلين فيهم منذ ابتداء دولتهم الأفاعيل. فنقل الاخباريون واهل التاريخ
 ذلك كما سمعوه، ورووه حسب ما تلقوه من غير تدبر. والحق من وراء هذا فتفتن
 ولا تغتر بزخرف القول الذي لفقوه من الطعن في القوم (٢) «



(١) ذكر ابن ابي الحديد في ترجمة الرضي - مجلد ١ صفحة ١٢ - من شرح
 النهج « ان الرضي لم يرض المحضر المكتوب في إبطال نسب الفاطميين ، وان والد
 الرضي قد حاوله على ان يرضيه فما اجابه وكذلك حاول اخوه المرتضى فما اجابه ايضا
 فحلفا على أن لا يكلماه تقية من القادر وتسكيناه ، ولكنه أجابهما على إنكار
 الأبيات المشهورة التي أولها

ما مقامي على الهوان وعندى مقول صارم وأنف حمي

أحمل الضيم في بلاد الأعادي وبصر الخليفة الماوي
 من أبوه أبي ومولا مولا ي إذا ضامني البعيد القصي
 لف عرقي بعرق سيدنا لنا بس جميعا محمد وعلي «

والفرائن قوية على ان إنكاره الأبيات نزولاً على إرادة أبيه وأخيه الذين حذروا
 عليه من انتقام القادر العباسي وعلى انفسهما أيضاً ولذلك شهدا على المحضر لا لأجل السماع والشهرة

(٢) ج ٢ صفحة ١٥٩ من خطه

الخاتمة *

✽ خطأ ثابت في «الرسالة» أو دفع الترهيم على سبعة ابران ✽

٠٠ جعلنا هذه الكلمة خاتمة الكتاب لأنها لم تكتب له وإنما كتبت قبل تأليفه بل وقبل التفكير فيه بثلاثة اشهر او اربعة أي يوم اطلعت على العدد ٣١ من مجلة الرسالة المصرية لستنتها الثانية وقرأت ما حواه من الابحاث القيحة الطريفة والقصص التاريخية والادبية الحافلة بشئى الفوائد الجميلة ٠ وأعجبت كل الاعجاب بأسلوب الاستاذ الزيات الجذاب ٠ وذوقه الحسن ٠ وابتماده كثير أعماثير الضغائن ويسبب التباعد بين الأمة :

ولكن سرعان ما انقلب ذلك الإعجاب - بابتعاده عما يسبب التباعد - الى تعجب شديد من نشره في العدد نفسه رحلة الاستاذ محمد ثابت المصري «الى خراسان» (١) المليئة بالسبب الطائفية البغيضة لأنها كانت = ولم تنزل = هي وحدها الداء العضال الذي أنحل جسم المجتمع الاسلامي وأوهى قواه ٠ وأمكن عدوه الجشع من قبضه بكلتا يديه وتشريحه بمبضعه السام ٠ لتذهب بقايا قواه ٠ اومحى ذكره الجليل من صحيفة الوجود كما كان قبل بزوغ النور المحمدي من صحراء الجزيرة العربية :

وبنظرة بسيطة في المشاريع الجمة (٢) التي نظمها رجال الغرب في القرون الماضية ✽ وفي طليعتهم البابوات ✽ والتي كان هدفهم الاول فيها محو تركيا أو تقسيمها

(١) نشر أكثرها في الجزء الاول من مجلد ٢٥ لمجلة العرفان الزاهرة

(٢) ادرج الرحالة هذا مقاله بهذا العنوان في كتابه «جولة في ربوع الشرق الادنى» صفحة ٢٠٠ الى صفحة ٢٢٢ وزاد عليه امورا كثيرة خليفة بأن تصدر من غير مداهم الآداب في كلية فاروق (ثانوية بمصر) (٣) انظر ما كتبه الأمير شكيب في حاضرم العالم الاسلامي من هذه المشاريع لتعلم إلى اي حد بلغ لؤم القوم وجشعهم ٠

— وهي يومئذ موئل الاسلام وساعده المتين = يعلم صدق ما قلناه :
 على أننا بغنى عن الاستشهاد بالماضي البعيد . لان ما يقع نصب أعيننا في العصر
 الحاضر — عصر الإنسانية والديموقراطية كما يسمونه — من أعمال «القوم» الفظيعة
 في نفس مصر بلد الزيات وبلد الرحالة المصري . وفي جزفها السودان كما يقولون
 وفي جارتها فلسطين الشهيدة . وسوريا المقسمة . وفي شقيقتها طرابلس الغرب
 وتونس . والجزائر . وجاوى وغيرها = كاف لان يكون عظة لمتعظ ، وعبرة
 لمعتبر ، وورادعا قويا عن نبش الدفائن البالية ونشر جرائمها الموبوءة على هذه الامة
 العليلة . المبتلاة = مع علمها المزمنة = بالمعدوين الداخلي والخارجي :

نعم تعجبت كثيراً من حامل مشعل «الرسالة المصرية» ليهدي بها الأمة وهلم
 شتاتها . لنشره أمثال تلك اللسبات في مجلة الرسالة الراقية . حتى أحوجننا إلى مناقشة
 «الرحالة» ومجادلته بالتي هي أحسن خدمة للحق وبياناً للحقيقة المضمومة في قول
 الرحالة هذا «والسيارات الكبيرة تمر تباعاً ذهاباً ورجعة في كثرة هائلة، تحمل
 جماهير الحجاج (?) لان «مشهد» خير لديهم من مكة المكرمة نفعيهم عن
 حج بيت الله الحرام في زعمهم»

وقد كرر هذا اللسب القاسي بعد كلمات فقال «والذي شجع الفرس على اتخاذ
 مشهد كعبة مقدسة ، الشاه عباس الصفوي أكبر ملوك الصفويين هناك . . . صرف
 قومه عن زيارة مكة لكراهيتهم للعرب ولكي يوفر على قومه ما كانوا ينفقون
 من مال طائل في بلاد بكرهونها فاتخذ «مشهد» كعبة وجئ الشعب اليها . ولكي
 يزيدها قدسية حج اليها بنفسه ماشياً على قدميه مسافة تفوق ألف كيلومتر وما تين
 فتحوّل الناس اليها .

وبندر من يزور الحجاز منهم اليوم . وهم يحترمون كلمة مشهدي عن كلمة
 حجي لان من زار «مشهد» لا شك أكثر احتراماً وطهارة من زار مكة بزعمهم»
 ولقد ذكر تني كلمته هذه بكلمة لكاتبة افرسية ورحالة ايضاً مثله . نشرتها الاحرار

البيروتية - ٢٧ تشرين الثاني سنة ١٩٣٠ م . ملخصها «إنه على أساس ذبح علي واولاده في كربلاء (؟) قرب بغداد قامت الشيعة في الاسلام (؟) ذلك لان أقرباء علي وخلفائه وتلاميذه وعلماء الشيعة . وفلاسفتها لم يطبقوا خلافة عمر (؟) الذي بسببه أريق دم علي واولاده (؟) فافترقوا عن السنة ٤ واجتازوا جزيرة العرب الى العجم (؟) تسير في طليعتهم أرملة علي فاطمة (؟)» ولو أراد سيد تليق الاعذار عن هذه المرأة الافرنسية لأمكنه ذلك لأنها امرأة عربية غريبة قليلة العلم بتاريخ الاسلام والمسلمين . وبعيدة عنهم وطناً ولغة وديناً . وقد يكون لها غرض سياسي كما يظهر من كلامها هذا خصوصاً قولها «لم يطبقوا خلافة عمر الذي بسببه اريق دم علي واولاده» وعلى هذا الوتر البغيض بضرب الكثير من كتاب الا فرنج الذين أصبحوا القدوة - وبالأأسف - لكثير من كتاب الشرق الادنى : وعلى أي حال فما عذر الرحالة المصري ؟ عن تلك اللسبات الاتيعة وهو شرقي أولاً ، ومسلم ثانياً وعربي ثالثاً ، وعقائد شيعة الفرس شرقية اسلامية عربية أيضاً ومُدونة بلسان عربي ومطبوعة بأحرف عربية كبيرة وصغيرة ، ومنتشرة في بلاد العرب وفارس التي طبعت اكثرها في مطابعها العربية . ومنتشرة أيضاً في الهند والافغان ، وتبعت وغيرها من البلاد الشرقية والغربية :

فليطلبها أولئك الذين يعتذرون بندرة المصادر الشيعية ويعملون ذلك بهراً لأخطائهم أو مسوغاً لاعتمادهم على المصادر الاجنبية أو المصادر التي ألفت لالتقرب من الحكام . ليطلبوها كي يعلموا منها حقيقة العقيدة الشيعية . وان الشيعة الإمامية فرساً كانوا أو عرباً أو تركاً أو غير ذلك من العناصر - يحترمون أمثهم من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . ويزورون مشاهدهم المشرفة كما يزورون مدينة جدم ﷺ المنورة من غير خصوصية - عندهم - لزيارة مشهد الإمام الرضا (ع) زائدة على غيرها .

نعم يحكمون بزيادة الثواب للزائر من مسافة بعيدة على ثواب الزائر من

قريب: فالزائر الذي يزور الحسين — مثلاً — ويقصده من بلاد الهند يكون ثوابه أعظم من ثواب مجاوري الحسين (ع) ولكن مع اتحاد النية وكونها خالصة لله سبحانه وتعالى:

وهذا الحكم مطابق للفطرة ، وللعقل السليم ، وللمشهور من أن «أفضل الاعمال أحمرها»، «والاجر على قدر المشقة»

ثم إن الزيارة — باصطلاح الشيعة — غير الحج . وإن كان معناها اللغوي واحداً وهو القصد إلا أن الحج — عندهم — مختص بالسير لأداء المناسك الخاصة في مكة المكرمة لا (في مشهد) مع شروطها الخاصة من وقت وغيره . والزيارة لم يكن لها وقت خاص . بل هي مستحبة في كل وقت . وإن كان فعلها في بعض الاوقات — كالجمعة مثلاً — افضل منه في غيرها

وهي عندهم من المستحبات ، بمعنى أن تركها جائز وفعلها راجح . وتاركها غير عاص . بعكس الحج إلى بيت الله الحرام . فإنهم يرونه من أعظم الواجبات لا يجوز تركه لمن استطاع إليه سبيلاً . وتاركه عاص . معاقب أشد عقاب ، ومن يتركه منكراً وجوبه فهو خارج عن ملة الاسلام . أما من يتركه مقراً بوجوبه ولكنه يتساهل في الأداء فقد ارتكب كبيرة مهلكة :

والحج إلى مكة المكرمة واجب في العمر مرة على كل بالغ عاقل ذكراً كان أو أنثى مع شروط كثيرة أهمها وأولها الاستطاعة (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً) ومكة = عندهم = اشرف من «مشهد» وغير مشهد من بقاع الارض وهذه أخبارهم الصحيحة الصريحة تنص على افضلية مكة واشرفيتها: «روي عن الصادق (ع) انه قال = إن الله اختار من كل شيء شيئاً واختار من الارض موضع الكعبة: وقال عليه السلام = ما خلق الله تعالى بقعة في الارض أحب إليه منها وأومأ بيده الى الكعبة ولا أكرم على الله عز وجل منها لها حرم الله الأشهر الحرم في كتابه . .

وقال ايضاً أحبُّ الارض إلى الله تعالى مكة ، وماتربة أحب إلى الله عز وجل من تربتها ، ولا حجر أحب إلى الله من حجرها ، ولا شجر أحب إلى الله شجرها ، ولا جبال أحب إلى الله من جبالها ، ولا ماء أحب إلى الله من مائها .
وهكذا روي عن الباقر (ع) (١) »

نعم الاستطاعة شرط لوجوب الحج . فإذا حصلت لدى البالغ العاقل وجب عليه الحج ووجب عليه أداءه في مكة لا في غيرها ولا يجوز له تأخيرها عن عام الاستطاعة إلا إذا طرأ عليه مرض مانع عن السير أو إذا لم يأمن الطريق التي لا يمكنه سلوك غيرها بأن تكون منه الخوف على نفسه أو عرضه أو ماله المختر بحاله فقده ، أو ظن أن السلطة الحاكمة في مكة المكرمة لا تمكنه من فعل بعض الأركان والمناسك على ما يطابق مذهبه

وبهذا ينبغي أن نعلل ندره الحجاج في بعض السنين الأخيرة . وعلى هذا يجب أن نحمل « صرف الشاه عباس قومه عن مكة » إذا صح هذا الصرف المزعوم . وصدق زاعمه . لا على « أن الشاه فعل ذلك كراهة للعرب وبلاد العرب » .
وبكاد المظلم (على ما كان بين الصفويين ، والعثمانيين من العداء المذهبي والسياسي ايضاً) أن يجزم بأن السبب الوحيد الذي حمل الشاه على صرف

(١) انظر المجلد الثاني من الوسائل المجر العاملي صفحة ٣٦١ و صفحة ٣٦٢ لتعلم منه ان لافيحة بورئذ لذلك الخبر الذي تصيده الاستاذ أمين الخولي نصير (الرحالة) على الاستاذ عزام . تصيده من كتاب مجهول لرجل فارسي اسمه الكوزه كناني واسم الكتاب « روضة الامثال » على ان الخبر الفارسي كان خاصا بتفضيل كربلاء على غيرها فأي شامد به لتفضيل مشهد الرضا على مكة الذي هو محور النزاع بين ثابت وعبد الوهاب عزام . وعلى كل فاذا وجد في أخبار الشيعة ما يدل على تفضيل غير مكة عليها فلا يدل صرف الوجود على اعتقاد الشيعة بذلك الخبر المارض بأشهر منه وأوثق : وكذلك ما يوجد في كتب السنة « من ان النبي (ص) قال إن كورة إتريب ، وكورة الفيوم وكورة سمند ، ليس على وجه الارض أفضل منها » ولا تحت السماء لمن نظير . انظر ج ١ صفحة ٢٠٢ من خطط المقرئ

قومه عن مكة = كما زعم = هو ظنه بخصوصه العثمانيين أن لا يمكنوا قومه من أداء المناسك على طبق مذهبهم .

وبمثل هذا الظن^١ نذر من حج من الشيعة والسنة أيضا بعد دخول الملك الوهابي جلالة عبد العزيز بن السعود - الحجاز . وبعد هدمه قبر بضعة المصطفى ﷺ وقبور الصحابة وغيرهم في مكة والمدينة المقدستين . وبعد منعه من إقامة بعض الشعائر في تلك الأيام وما بعدها ، ومن حج يومئذ فقد لاقى نصاباً وضغطاً على الحريات المذهبية .

وقد حصل وقتئذ شجارٌ عنيف بين الجند الوهابي وبين حراس المحمل المصري أدّى الى توتر العلاقات بين الحكومتين المصرية والسعودية . وكذلك توترت بين حكومة اليمن وحكومة نجد والحجاز بسبب اغتيال الجند النجدي أربعة آلاف حاج من حجاج اليمن - على ما قيل - الأمر الذي كادت الحرب - من أجله - أن تشب في الجزيرة العربية المحبوبة (١) ونقر - وقتئذ - عيون الأجانب الشاخصة دائماً الى الجزيرة ترقب

(١) لقد ثبت - مع الأسف - ناز الحرب بعد كتابة هذه الكلمة بشهرين ، وسفكت فيها الدماء البريئة ، وتشابك المسلمون بالحرايب - ومخرت أساطيل ذوي الاطماع في ميناء الجديدة بحجة حماية رعاياها = وتشجع الانكليز « فأنذروا الإمام يحيى وطلب منه التخلي عن عدن » وكان انذاره في اليوم الذي انذر فيه الملك ابن السعود الإمام يحيى = انظر العدد ٢٠٧ الصادر في ٣ ذي القعدة سنة ١٣٥٢ هـ - من جريدة الجامعة الإسلامية الفلسطينية : وكان نشوب هذه الحرب البغيضة في آب سنة ١٩٣٣ م ربيع ثاني سنة ١٣٥٢ هـ وبقيت ناشبة ما يقرب من سنة ثم توسط وفد الموثم الإسلامي المؤلف من ساحة رئيس الموثم السيد محمد أمين الحسيني . والامير شكيب ارسلان ، وهاشم بك الأناسي ، ومحمد علي علوبا باشا - في الصلح فسافر إلى جدة وتكلم مع جلالة الملك . وكان عبد الله فلي الانكليزي يعرقل مساعي الوفد المشكورة . ثم سافر إلى صنعاء وفاوض الإمام في الأمر حتى تم الصلح - والحمد لله - ونشرت " صحف بنوده فخرنا اسل العلماء وناقطع الجنبه عن أولئك المرتزقين من إثارة الفتنة بين المسلمين ومن بث الأكاذيب المغضوحة أشغال فرار ولي عهد

ادنى انشاق فيها لتدخل عن طريقه .

اما اليوم وقبله بأيام كثيرة - حيث تساهل النجدهون بعض التساهل ، وأمن الشيعة الأمن التام ، وقالوا بعض حريتهم المذهبية - فقد كثر حجهم الى مكة المكرمة كثرة هائلة بالنسبة الى حالتهم الاقتصادية . ومن يشك في ذلك فلا نكلفه سوى الاطلاع (في دوائر السفر الى مكة) . على جوازات القادمين الى الحج من شيعة إيران ، وسوريا والعراق والهند ، والافغان وغيرها . ليتبين لديه خطأ الرحالة في قوله « ويندر من يزور الحجاز منهم اليوم » . وليعلم أن كمبة الشيعة التي يواون وجوههم شطرها في اليوم خمس مرات والتي يحجون اليها في كل موسم من مواسم الحج . هي بيت الله الحرام لا « مشهد » ولا غير مشهد من الاماكن الكثيرة المقدسة :

وإذا أردنا أن نبهت كل من يزور مقاماً أو يقده بقلوبنا « اتخذ كعبة عوضاً عن مكة » فلا يسلم مسلم - في الغالب - من هذا البهتان العظيم ، لأن مقامات الأولياء كثيرة في بلاد الإسلام ، يزورها المسلمون ، ويبتبركون بها إلا ما شذ منهم . بل قد يبتبركون من زارها ، يحترمونه ، كبير احترام ، وخصوصاً أهل مصر وحلب وإليك قصة شاهدها بنفسي بل - على الأصح - جرت معي في ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٤٢ هـ حيث سافرت يومئذ من بغداد الى حلب ومنها الى بيروت واجتمعت في محطة القطار الحلبية بثلاثة نفر من الحلبيين عليهم أبهة الجلالة وسيماء التقوى حتى أن أحدهم قد أسدل على وجهه منديلًا وسدّ أنفه بإصبعيه من فوق المنديل لما رأى بعض اللبنانيين يشربون الخمر في القطار :

الإمام من ساحة الوغى إلى حيث لا يعرف ؟ وأمثال عزمه على خلع أبيه من الإمامة ؟ وأمثال هجرهم أهل صنماء على قصر الإمام ورميه بالرصاص ؟ وأمثال أن الإمام قتل ودخل ولي عهد الحجاز إلى صنماء عاصمة الإمام ؟ وإن ولي عهد الحجاز طارد ولي عهد الإمام ، وإن أهل صنماء بايعوا ولي عهد الحجاز الخ = انظر العدد ١٣ ، والعدد ١٢ ، من جريدة الدفاع الفلسطينية

ومجمل القصة أنني سألتهم ابتداء عن محل قطع التذاكر للركاب . فأجابوا ذلك هو وأشاروا إلى جهة من جهات المحطة ، وقبل أن أذهب إلى تلك الجهة قالوا - وين رايح وين كاين ؟ رايح إلى بيروت وكنت في بغداد . أصبح في بغداد ؟ نعم صحيح ، رأيت مقام سيدنا عبد القادر الكيلاني ؟ رأيت طبعاً فأقبلوا فوراً على جبهتي بقبلونها قبالات حارة . ثم ذهبوا معي بأجمعهم وقطعوا لي تذكرة السفر وحملوا أسبالي إلى القطار ، وجلسوا حولي يتحدثون عن مناقب عبد القادر وكراماته حتى بلغوا بها إلى أعلى مراتب الغلو . ورحت أحدثهم عن مقامه الفخم وبنائه البديع إلى أن جاء وقت « الترويقة »

فقممت وأتيت بما كان باقياً لدي من الزاد الذي صحبتته معي من بغداد وقدمته إليهم ودعوتهم إليه (وكان فيه فتيت كعك وبعض تمرات) فأخثاروها على غيرها وابتدأوا بقسمة الفتيت فالتهم كل سهمه بلهفة مذهشة ثم تقاسموا التمرات ولف كل سهمه بورقة وقالوا - معذرين - نبقينا للبركة ثم قاموا وجاءوا بزيادة الفاخر فأكلنا جميعاً . ولانسل عن خدمتهم لي طول الطريق حتى وصلنا بيروت وافترقنا قسراً :

فهل يسوغ لي أولاً أن مسلم أن يبهت هؤلاء نفر أو يرميهم بقول «إنهم يحترمون كلمة قادري أو بغدادي عن كلمة حجي» أو بأن «من زار عبد القادر أكثر احتراماً وطهارة عندهم من زار مكة» ؟ اللهم لا : لأن ذلك بهتان عظيم وفتن بين المسلمين كبير ، خليك بكل مسلم غيور رتقة . وصد فانقيه لثلاث تسع فيسهل على المستعمر الدخول منه . وحينئذ لا تبقى كعبة الرحالة ثابت ولا كعبة الشاه عباس المزعومة :

ثم إن الفرس وزعيمهم الصفوي أيضاً كانوا يكرهون العرب لما زاروا مشهد الإمام الرضا (ع) وهو - كما هو معلوم لديهم ولدى غيرهم - من أشرف بيت في العرب . أو لما اتخذوا مشهده كعبة - على زعم الرحالة - وهم يكرهون

قومه العرب . بل لو كان الفُرس طبق زعم الرحالة لما زاروا النجف و كربلاء
والكاظمية وسامراء . وبنو الأئمة فيها - وهم عرب هاشميون علويون - المقامات
الفخمة . وشادوا على قبورهم الزكية شامخ القباب المذهبة بالذهب الإبريز .
وأهدوا إليها الجواهر الثمينة . والسجاد الفاخر النادر الوجود حتى عند أكبر
دولة في العالم . مع أن أهل هذه المدن العراقية الأربع بالمائة ٩٥ من العرب الخُلص
وأهل سامراء مع كونهم عرباً فهم سنة أيضاً كاهل مكة المكرمة :

فلو كان الشاه عباس الصفوي أو غيره من ملوك الفُرس يربد «توفير المال
على قومه لصرفهم إياه في بلاد يكرهونها» لصرفهم عن زيارة هذه البلاد العربية
التي كان يحكمها الترك أعداء الصفويين الألداء . لأنه يصرفهم عن مكة وحدها :
ولا أريد من هذا أن أنكر وجود التعصب في الفُرس بل اعترف بوجوده
من قديم ولم يزل باقياً إلى اليوم عند كثير من أفراد الشعب الفارسي : ومن الغرب
تعصب بعضهم للأساسانية وأغرب منه تعصب بعض المصريين للفرعونية أم الاستبداد
والاستعباد :

نعم لا أريد ذلك وإنما أريد إنكاره هو « إتخاذ الشاه عباس - لمشهد -
كعبة وحججه إليها ماشياً على قدميه » لأنني تصفحت ما لدي من تاريخ الصفويين
فما وجدت لهذا الإدعاء أثراً . نعم وجدت « ان انتشار التشيع في إيران
منسوب إلى هذا الشاه الصفوي . » على أنني لا استبعد زيارته لمشهد ماشياً
أو راكباً . وان الذي استبعده وانكره هو « انه زارها ليزيدها قدسية »
لأن من الثابت المتيقن ان ملوك الشيعة في إيران من زمن الصفويين إلى آخر
أيام القاجاريين كانوا يزورون مشهد الإمام الرضا وبقية الأئمة عليهم السلام
ليزدادوا هم عند الشعب رفعة وقدسية . وليتقربوا إلى الله تعالى بزيارة أوليائه
المقربين . لا ليزيدوا مشاهد المقدسة قدسية أو مشهد الرضا بالخصوص كما
زعم الرحالة .

وكيف يعقل ذلك ؟ ودو باعنا قادمهم إمام مقدس وابن أئمة وأبو أئمة مقدسين . وكانوا يعتقدون أن زيارته تكسب الشرف وتسبب النصر المبين من رب العالمين . ولذلك لما توجه محمد شاه إلى حرب القتر ابتداء بزيارة الإمام الرضا (ع) ولما أراد نادر شاه أفسار غزو الهند نذر غنائم الحرب إلى الحضرة الحيدرية في النجف الأشرف . ولما تم له الفتح المبين وفي بذرته وأرسل كل الجواهر التي غنمها من الهند إلى الحضرة ولم تزل إلى الآن وهي من تحف الزمان النادرة الوجود

وقيل إن ناصر الدين شاه مشى خافياً - يوم زار مدينة النجف الأشرف من باب المدينة إلى أمام الضريح المرتضوي المقدس . ولقد شاهدت (في النجف) استقبال أحمد شاه القاجاري ومشييه بخضوع حينما زار ضريح الإمام الأعظم علي (ع) سنة ١٣٤٠ هـ وشاهدت أيضاً خضوع جلالة رضا شاه بهلوي أمام الضريح العلوي يوم زاره وزار مسلم بن عقيل في مسجد الكوفة بعد أن قصد ذلك من المحمرة التي استلمها يومئذ من سلطانها العربي الشيخ خزعل عقيب القبض عليه وعلى ابنائه وصحب أحدهم معه إلى النجف :

وكانوا - زيادة على ذلك - بوصون بدفن جثمانهم في مقامات الأئمة في النجف أو كربلاء أو الكاظمية . ولقد دفن في النجف من ملوك آل بويه « عضد الدولة أبو شجاع فناخسرو البويهي الذي توفي سنة ٣٧٢ هـ ببغداد وحمل إلى مشهد علي بن أبي طالب (رض) فدفن به : وولده شرف الدولة أبو الفوارس شريك المتوفى سنة ٣٧٩ هـ وحمل إلى مشهد علي بن أبي طالب (رض) فدفن به : وبهاء الدولة بن عضد الدولة المتوفى سنة ٤٠٣ هـ ودفن بمشهد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه (١) »

(١) انظر ج ١ صفحة ٤١٨ من وفيات الأعيان وج ٢ ص ٢٢٢ من تاريخ أبي الفداء ومجلد ١ صفحة ٣٧٥ وصفحة ٣٨١ من تاريخ منقريوش الصيرفي

ودفن منهم بمقابر قرهش في الكاظمية « معز الدولة البوبهي توفي سنة ٣٥٠ هـ ونقل إلى مشهد بني له في مقابر قريش (١) ودفن — في النجف أيضا — كثير من الصفويين والقاجاريين وغيرهم وآثار قبورهم لم تنزل موجودة في إيوان العلماء وحجرة السلاطين ، وفي هذه الحجرة صخرة صقيلة من المرمر عليها عدة صور في غاية الإبداع .

وقبل ثلاث سنين أي في سنة ١٣٤٩ هـ دفن السيد محمد حامد خان ملك رامبور الهندية بوصية منه . وكان دفنه بذاريخ ٦ شهر رمضان من تلك السنة .

دفنوه شمال الحضرة الحيدرية في إيوان مرجع الشيعة في أيامه المرحوم المقدس السيد كاظم الطباطبائي ولقد شاهدنا دفن هذا الملك الشريف وكنا في تشييعه المهيّب .

وقد بقي هناك كثير من لسانته وأخطائه أخرجنا الإطالة في رد ما تقدم إلى الإشارة لبعضها والاختصار في تفنيده ورده مثل قوله « ويتوسط أحد الألفية سبيل مذهب في داخله نافورة حولها السلاسل تحمل القعاب للمحتدين ينبعث منها مكروب المرض . . والسعيد من يتذوق هذا الماء الطاهر » أما أنه ماء سبيل طاهر فهو الحق . والسبيل — كما هو معلوم — موضوع لأن يتذوقه السعيد والفقير مجانا . ولكن السعيد أي المومر يتجنب عنه كثيراً إما لأنه يؤثر المعوزين على نفسه أولاً يحب مزاحمتهم ، وإما لأنه يترفع عن التذوق منه خشية من ذلك المكروب اللعين أن ينبعث إليه فيبتلعه ؟

وقوله أيضا « هنا أمرع شيخ يطوف بي وناولني ادعية مطبوعة يجب أن أقرأها وأركم وأسجد وأقبل » وإنا لم ندر = باحضرة المدرس = من أين علمت بهذا الوجوب المزعوم ؟ ولو تحققت الأمر وترويت في الحكم لطعت بأن الركوع والسجود لا يحلان — عند الشيعة — لغير الله تعالى ولو

فترض أن بعض العوام فعلهما عن قصد أو غير قصد فلا يسوغ أن ينسب إلى الشيعة أنهم يجوزونه وبوجوبه حتى على الغير نعم تقبيل الضريح عندهم جائز مباح (لا واجب) وهو على حد تقبيل ورق القرآن الكريم وغلافه بنية الاحترام والتبرك وجوازه مشترك بين الطائفتين : وقوله أيضاً «وبجانب الضريح قبر هارون الرشيد . . . وكثير منهم يلعبه ويركله بوجله ويقول لعن الله المأمون وأباه . وذلك لأنه سني أولاً ثم لأنه والد المأمون الذي اتهم بدس السم للإمام»

سلمنا -- يا استاذ -- ان بعض العوام يلعب المأمون وأباه الرشيد لكن لا نسلم معك ان ذلك «لانه سني أولاً» ولا نحب سماع هذا النغم المعوج ولا هذه التعليقات المحترقة لفرض ذمهم بمقوت لدى كل مسلم ينشد الوحدة ويتبعد عن التفرقة : نأضف الى ذلك ان العلة الوحيدة في اللعن المزعوم هي أن التاريخ أخبرهم بأن الرشيد أمر بسم الامام الكاظم - كما بينا - بلا ذنب ولا جرم :

فلا ملامة عليهم ولا تبعة -- إذا صح ذلك -- وإنما التبعة كل التبعة واللائم كل اللائم على قس الرشيد الذي عمل ما يوجب اللعن من هؤلاء وغيرهم :

وأما قوله «سمعت من شرفة الباب الأوسط طربولاً تقرر في نقرات مثلكة أعقبها صياح وتلا ذلك تمخات في أبواق . . . وظل هذا حتى غربت الشمس كأنهم يودعونها كما يفعل المجوس (?) فقلت في نفسي أهكذا يلعب رؤساء الدين في عقول البسطاء لا ابتغاء مرضاة الله (?) بل للملء جيوبهم وذرارهم الذين لا يحصيهم عد آخ» فخطأ محض ولسب عام لجميع المسلمين لأن قرع للطبول ونقر الدفوف موجودة بكثرة مدهشة في حلقات الذكر بمصر وسوريا وغيرهما :

على أن هذه الأمور كلها محرمة عند جمهرة العلماء الشيعة أشد حرمة ولم يحملها إلا الشاذ النادر، ولكن في موارد خاصة ليس هذا المورد - الذي زعم الرحالة سماعه - منها وظن أننا أنه برضا رؤساء الدين وأمرهم حتى تهجم عليهم بتلك الألفاظ «المهذبة»

ولو توخى الحقيقة لسألها من أهل المشهد الرضوي الذين يقولون - كما أخبرني بعضهم - « ان هذا العمل قديم قد فرضته الحكومات المتتابعة على حراسة الحرم الرضوي وأوقافه الكثيرة وجعلوه كإشارة لانقضاء وقت الحراسة النهارية أو ان لانصراف المتولين هذه الحراسة كي يأتي بدلهم من يحرسون - في الليل »

فلا صلة له بوداع الشمس وإنما هو كالأشعار « بالبرزان » الذي كان يستعمله الترك للدلالة الجندي على زوال الشمس ومغيبها وغير ذلك : ثم إن الصباح الذي أعقب النقرات لم يكن صياحاً صرفاً وإنما هو صلوات على النبي وآله عليهم السلام بصوت عال لكن الرحالة عبّر عنها بالصباح ليمسنى له قول « كأنهم يودعونها كما يفعل الجوس » وقال أيضاً عن إيران « دهشت كيف انكون بلاد متأخرة كهذه نحن فوقها في التقدم بخطى واسعة قد تحررت من الامتيازات الأجنبية ونحن نرسف في أغلالها ليس الامر مجرد جراءة في الاقدام على الغائبا في غير تردد ونحفظ بذلك كرامتنا ونذل على انا شعب جدير بالاحترام »

غيرة وطنية ، وعاطفة حامية ، واعجاب بالنفس كل ذلك مشكور عليه - يا استاذ - لو لم نرجه باحتقار الغير وهضم الحقيقة في الحكم على إيران بالتأخر وفي استهجان تحررها من الامتيازات الأجنبية :

ونحن لا نريد من هذا ان نفضل إيران على مصر التي برهنت على ثقافتها وتقدمها فيها بخطى واسعة حتى أمسى ذلك ملموساً ومفخراً لكل عربي ، وباعثاً قوياً للغبطة والسرور : ولا نريد - أيضاً - أن نقنعك بعدم تأخر إيران عن مصر في اكثر الأمور لأن ما تحقق واشتهر من صعود إيران للحوادث ، وحفظ كيائها الاستقلالي ، وتقدمها الباهر في كثير من العلوم والفنون وفي أساليب الحكم الدستوري (في العصر الاخير) ما يفي عن ذلك وهذا مما اعتقد به كبار الرجال وبالعالم بعضهم في اعتقادهم ، من هؤلاء مورغان شصتر الاميركي الذي يقول

« اني اعتقد ان تاريخ العالم كله لم يحويين دفتيه ذكراً طبيباً لامة مثل مايجوي.

من ذلك للأمة الفارسية التي انتقلت فجأة من دور الملكية المطلقة إلى دور الحكم الدستوري النيابي ، فما أسرع ما كانت تنتظم انتظاماً يبدل على أن أمة ذات مقام عالٍ في الحكمة السياسية وفي معرفة أصول الاشتراع إلى حد يكاد لا يصدق (١) ومتهم الأمير شكيب أرسلان الذي يقول «من في الدنيا ينكر مزايا الأمة الفارسية واستعدادها للرفق ، وهي الأمة المتمدنة منذ آلاف من السنين التي أوتيت في العلم والصناعة مواهب قدماً وهبها الله لأمة من الأمم (٢) وأخيراً فإن ما نريد أن نقول للرحالة هو أن الجراءة لا غنى عنها لمن يريد الاستقلال الكامل وبدونها لا يجدي «التقدم بخطى واسعة» كما أن الجراءة وحدها لا تجدي أيضاً لم يكتفها الاتحاد والتعاقد .

ولو كان التقدم بخطى واسعة يجدي وحده لكان لبنان في طليعة البلاد المستقلة من عدة سنين .

أما لو اجتمع الاتحاد والتعاقد والجراءة ورافقها بعض التقدم في الشعب حصل الاستقلال فهراً كما حصل في العراق الباسل لما اجتمعت لديه هذه العناصر سنة ١٩٢١ م أما الشعب المصري فكثيراً ما يفنق - مع الأسف - إلى اجتماع هذه العناصر الثلاثة مع تقدمه الباهر الملموس . وخصوصاً الجراءة فإنها نادرة بين أكتوبة المصريين من قديم الزمان ، والشواهد على ذلك كثيرة . وقد تقدم نبذة منها عن المقرئ «المصري» واليك (زيادة عليها) ما حكاه الطبري وابن الأثير من «أن عمرو بن العاص وفد على معاوية في سنة ٦٠ هـ ومعه أهل مصر فقال لهم عمرو - انظروا إذا دخلتم على ابن هند فلا تسلموا عليه بالخلافة فإنه أعظم لكم في عينه وصغروه ما استطعتم فلما قدموا على معاوية قال لحجابه كأنني أعرف ابن النابغة وقد صغراً مني عند القوم فانظروا إذا دخل الوفد فتعوههم أشد تعمة تقدرون عليها فلا يبلغني إلا وقد همته نفسه بالتلف . فكان أول ما دخل عليه

رجل من أهل مصر يقال له ابن الخياط فدخل وقد نفع فقال السلام عليك يا رسول الله فتتابع القوم على ذلك فلما خرجوا قال لهم عمرو لعنكم الله نهيتكم ان تسلموا عليه بالامارة فسلمتم عليه بالنبوة (١)»

وهناك كلمة للرحالة عن «المتعة» في النجف أحببنا ان نلحقها بهذه الخاتمة الخاصة بكلامه عن الايرانيين لأن زواج المتعة في ايران أكثر منه في غيرها من البلاد الشيعية بل يكاد ان يكون في النجف وجبل عامل كالمتنهنج لعدم اعتياد اهل هذين البلدين الأصليين على ذلك وإن اعتقدوا حليته وشرعية

قال في جوله «لقد استرعى نظري في النجف كثير من الاطفال الذين يلبسون في آذانهم حلقات خاصة هي علامة انهم من ذرية زواج المتعة المنتشر بين الشيعة (وخصوصاً في ايران) ففي موسم الحج إذا ما دخل زائر فندقاً لاقاه وسيط يعرض عليه اسر المتعة مقابل أجر معين فإن قبل أحضره جمعاً من الفتيات لينتقي منهن وعندئذ يقصد معها الى عالم لقراءة صيغة عقد الزواج.

والفتاة ان تنزوج سرات في الليلة الواحدة . والعادة ان يدفع الزوج نحو خمسة عشر قرشاً للساعة وخمسة وسبعين لليوم . واربعة جنيهات للشهر، ولا عيب على الجميع في ذلك العمل، ولا يلحق الذرية أي عار مطلقاً، وعند انتهاء مدة الزواج تنزوج المرأة بعد ذلك بيوم واحد ولا تعتد، فان ظهر حمل فللوالد ان يدعي الطفل له . . . وبخال البعض (٢) ان منشأ تلك العادة بابل يوم ان كان الفتيات يستأجرن للحجاج في معايد اشتروا مردوك . ولا تزال لها بقية في عاهرات الامم له بين الهندوس» انتهى .

ولا اظن ان احداً من إخواننا اهل السنة يوافق هذا المصري على ما ابتدعه من منشأ المتعة بابل، وانها عادة بابلية لانهم مجمعون على انها موضوع شرعي

(١) ج ٦ ص ١٨٤ وج ٤ ص ٤ من تاريخهما (٢) الظاهر انه نفس الرحالة وإنما أراد التسمية والتلبس فغير بالبعض

شرعه النبي العربي ﷺ لا «البالي» وفعلها المسلمون في حياته ﷺ وحياة أبي بكر وبوثة طويلة من ايام عمر (١) ونفج منها امثال عبد الله بن الزبير كما روى ذلك الراغب الاصبهاني في محاضراته .

وكان فعلهم لها بتأثير التشريع المحدثي الحق لا بتأثير العادات البالية كما يظهر من كلام الرحالة المصري الذي اراد ان يشنع على الشيعة بالخصوص فأوقعه التعصب فيمايس حتى نبي الاسلام الأقدس ، وحتى نفس الخليفة الذي اجتهد في تحريم المتعة لأنه (رض) قد اعترف بحليتها الشرعية على عهد رسول الله ﷺ وإنما أسند التحريم إلى نفسه لأمر رأاهما باجتهاده موجبة للتحريم وتلك الأمور لا علاقة لها — طعماً — ببابل ولا «بمعايد اشترى مردوك»

نعم وافقه — في غير ذلك — رجل بغدادى أسمى نفسه «خادم العلماء» زعم مع الرحالة «أن المرأة المتمتعة لا تعتد» وأسمى هذا النوع «بالمتعة الدورية» وفسرها بتناوب ثلاثة إلى عشرة رجال على امرأة واحدة بحسب الساعات (٢) ولو طالع — خادم العلماء — كتب علماء الشيعة الكثيرة لعلم ان هذا النوع من النكاح يُعد عندهم من أنواع الزنا المحرمة بشدة . ولذا تراهم يوجبون الحد على فاعله ولا يلقون به الولد الحاصل من هذا النكاح البغيض عملاً بقوله ﷺ «الولد للفراش وللعاهر الحجر»

وعلى الإجمال — فزواج المتعة — عند الشيعة — كزواج الدائم له شروطه وأحكامه (إلا ما استثنى) أما العدة فمشاركة بين الدائم والمنقطع (وهو المتعة) ولذا لو تزوجت في عدة المتعة يحكم عليها بالزنا . وبعبارة ثانية إن هذا الزواج هو نفس الزواج الذي شرعه النبي ﷺ وعمل به الصحابة لم يتبدل له

(١) روى مسلم في صحيحه — ج ١ ص ٣٩٥ — «ان جابر بن عبد الله الانصاري قال = استمتعتنا على عهد رسول الله (ص) وأبي بكر وعمر : كنا نستمع بالقبضة من الدقيق والنحر على عهدهم حتى نهى عنه عمر في شأن عمرو بن حريث»
(٢) انظر ج اول ص ١٦٢ من مجلة الاعتدال النجفية الراقية .

شرط ولم يتغير له حكم ولم يندس بما حيك حوله من التهم ونسب اليه من الأباطيل
 وإذا فرض أن أوقعه بعض العصاة من الشيعة على غير وجهه الشرعي فلا يليق بذوي
 العدل والانصاف أن ينسبوا ما يرتكبه الفرد من الأعمال المخالفة للمذهب إلى
 قس المذهب ولا إلى أهله على العموم . كما لا يليق — إذا صادف أن لبس بعض
 أطفال الشيعة الخلق في آذانهم = أن يجعل ذلك « علامة ذرية المتعة » كما جعله
 الرحالة الذي لو فكر في الأمر لعلم أن تلبس الخلق للأطفال عادة قديمة عند العرب
 بالخصوص وجدت قبل زواج المتعة وبعده كما وجدت عند غير العرب أيضاً ولم
 تنزل باقية عند الهنود والأكراد .

فلو جربنا على نظرية هذا الرحالة لجاز الحكم على بعض أطفال المصريين
 « الذين يلبسون الخلق في آذانهم والأساور — أيضاً — في أيديهم ويسمونهم في مصر
 الخول » بأنهم من ذرية زواج المتعة المحرم عند آبائهم أشد تحريم . وكذا
 يلزم من هذه النظرية الخطأ أن لا يكون للذرية زواج المتعة في فارس أثر ولا عين
 لأن أهلها لا يلبسون أطفالهم الذكور حلقات خاصة ولا غير خاصة مع أن الإكثار
 من زواج المتعة في فارس لم يوجد مثله في غيرها من بلاد الشيعة . وقد اعترف
 نفس الرحالة بذلك حتى ادعى « أن في طهران وحدها ثلاثين ألفاً من المبتذلات
 في الطرق وأن ذلك بلاء زواج المتعة »

ومن العجب كثيراً أن نرى أهالي مصر وتركيا وغيرهم قد نجوا من بلاء
 هذا الزواج الشرعي ومع ذلك فالطرق مليئة بالمبتذلات من بلادهم . فالبلاء
 إذن ليس من زواج المتعة الذي لو عمل به المسلمون اليوم — كما عملوا به في
 الصدر الأول — لما وقعوا — غالباً — في هوة عميقة من الفساد الأخلاقي المنتشر
 في بلادهم اليوم . انتشاراً هائلاً من جراء السماح من السلطات بالتعاطي لمهنتي الزنا
 والواط . ولعلموا أيضاً صواب خبر الامة في قوله « ما كانت المتعة إلا رحمة رحم
 الله بها أمة محمد ﷺ — انظر ج ٢ ص ٢٢٩ من نهاية ابن الأثير »

فهرس اول لكتاب « الشيعة في التاريخ »

الصحيفة	عنوان المواضيع
(٣ — ١٥)	مقدمة الكتاب
٠٣ — ٠٤	كيف صورت عقائد الشيعة؟ وتفنيد ذلك التصوير
٠٥ — ٠٧	اثبات ان الشيعة من صميم الاسلام . وكلمة الجاحظ في بني أمية ، وكتبتنا في ابن العاص وأشباهه
٠٧ — ٠٨	مجادلتنا لابن حجر وابن خلدون بالتي هي احسن .
٠٩ — ١٠	حرص الشيعة على الوحدة : وكتابة غيرهم فيها بضادها
١١ — ١٣	بعض كلمات للرحالة وبيان أخطائها ومضارها وكتاب المرحوم الملك فيصل بشأن كتاب « العروبة في الميزان »
١٤ — ١٥	ذكر البواعث لتأليفنا الكتاب : والإشارة إلى أكثر مباحثه
(١٦ — ٣٦)	الفصل الأول = كلمة موجزة في الشيعة =
١٦ — ١٧	معنى الشيعة في اللغة والكتاب الكريم
١٧ — ٢٤	قدم تكون الشيعة في الاسلام بأمر نبي الاسلام
٢٥ — ٢٧	الذين تشيعوا في عهد النبي ، والذين ثبتوا على تشيعهم بعده
٢٧ — ٣٠	متى أهمل لفظ الشيعة ؟ ومتى اشتهر ؟
٣١ — ٣٦	بجمل عقائد الشيعة الاثني عشرية -
(٣٧ — ٩٠)	(الفصل الثاني) الطوائف المتشعبة من الشيعة و كيف تشعبت
٣٧ — ٣٨	تهديد في اعتقاد الشيعة بالإمامة
٣٩ — ٤١	ظهور السبائية والخوارج وبيان خروجها من التشيع
٤٢ — ٤٧	دسائس الخوارج وتحاذل الشيعة وما نالهم من البلاء العظيم
٤٨ — ٥٠	نشأة الكيسانية وخروجهم من التشيع

عنوان المواضيع	الصحيفة
فضائل الامامين السجاد والباقر (ع) في كتب غير الشيعة	٥١ — ٥٠
نشأة الزيدية وبيان أئمتهم وفرقهم وثوراتهم ضد العباسيين	٥٥ — ٥١
فضائل الصادق (ع) في كتب غير الشيعة	٥٧ — ٥٦
كيف ظهر الزنادقة والغلاة في عهد الباقر والصادق ؟	٦٠ — ٥٧
نشأة الاسماعيلية وفرقهم وعقائدهم وخروج بعضهم من التشيع	٦٢ — ٦٠
نشأة الفطحية والواقفية وخروج أكثرهم من التشيع	٦٤ — ٦٢
السفر في عدم اعتماد الشيعة على رواية أغلب الفطحية والواقفية	٦٥ — ٦٠
نشأة القطعية وتحقيق سم الامامين الكاظم والرضا	٦٥ — ٧٠
ترجمة محمد بن جعفر الصادق وثورته على المأمون	٧٠ — ٧١
مجلس المأمون الذي جمع فيه بين الجواد وابن أكرم وإفحام الجواد له	٧٢ — ٦٠
شبهة صغر السن التي أوجبت عدول البعض عن امامة الجواد	٧٣ — ٦٠
ظهور التصيرية أيام الامام العسكري وحال الشيعة يومئذ	٧٤ — ٧٥
سفراء الامام الثاني عشر وتاريخ غيبته	٧٦ — ٦٠
الدول الاثني عشرية وتاريخ بعض وزرائهم في الدولتين	٧٧ — ٨٠
ما هي الأسباب في نشوب تلك الطوائف من الشيعة ؟	٨١ — ٩٠
(الفصل الثالث) الخلافة والخلفاء واختلاف الامة فيها	(٩١ — ١٣١)
تمهيد في اختلافات الامة الاسلامية حول الخلافة واسباب هذا	٩١ — ٩٤
الاختلاف: واختلافها في عدد الخلفاء وكيفية انتخابهم وفي من يطلق عليه اسم صحابي وبالتالي ذكرنا حجة المترشحين للخلافة	
ترجمة عثمان بن حنيف وحذيفة بن اليان والبراء والأحنف	٩٥ — ٩٧
كلمة لثابت المصري وبيان اغراضها الخاطئة	٩٨ — ٩٩
مرض النبي ﷺ ووفاته وبيعة أبي بكر وما جرى قبلها	٩٩ — ١٠٢

الصحيفة	عنوان المواضع
١٠٣-١٠٤	وفاة أبي بكر وبيعة عمر وبيان خدماتها للإسلام والمسلمين
	وعزل عمر خالد بن الوليد وعدم كون معاوية من قواد عمر
١٠٥-١٠٩	مقتل عمر وبيعة عثمان ومقتله وإثبات أساء المحرضين والقائلين
١٠٩-١١٢	بيعة علي وإثبات ان الذين بايعوه هم جمهور الصحابة لا الخوارج
١١٣=١١٥	دراسة ثابت المصري التاريخية ومقتل علي وإثبات محل دفنه
١١٦-١١٨	بيعة الحسن بن علي وسمه والتحقيق في ذلك وكيف بايع قيس لمعاوية
١١٩-١٢٤	نهضة الحسين وأسبابها وفوائدها ومقتله بإيجاز ومقتل مسلم بن عقيل
١٢٥-١٣١	هل يبرأ التاريخ يزيد من دم الحسين ؟
(١٦٦=١٣٢)	(الفصل الرابع) مواقف الشيعة في العهدين الأموي والعباسي
١٣٢=١٣٦	تمهيد في نضال الشيعة رجالاً ونساء في سبيل العقيدة وفيه
	كلمات سودة بنت عمارة ، والزرقاء بنت عدي ، وعكرشة
	بنت الاطش ، وام الخير البارقية ، والدارمية ، وبكار الهلالية
١٣٧=٠٠٠	كلمة لثابت المصري في التهجم على الشيعة .
١٣٨=١٣٩	حالة الإسلام في بدء الخلافة ونبذة من قوانينه العادلة
١٣٩-١٤٠	بدء الفتن في الملة الإسلامية ومن أثارها وسببها
١٤٠=١٤٤	سر المناهضة لعللي ومن ناهضه والغاية منها وكلمة الحسن البصري
	في معاوية
١٤٥=١٤٦	مناهضة المسلمين لبني أمية وأسبابها وفيه نهضة المدينة ومكة
١٤٧=١٤٩	نهضة الشيعة ضد بني أمية وأسبابها وفيه نهضة الثوابين والمختار،
	وزيد بن علي وابنه يحيى ثم أمر معاوية بالبراءة من دين علي
١٥٠-١٥٣	عدم تشيع الفرس أيام الدعوة العباسية وإثبات ذلك من التاريخ
١٥٤=١٥٧	الاستنتاج وفيه مثالا من تأثير السلطة في هدم العقائد ،

الصحيفة	عنوان المواضيع
١٥٨=١٦٦	نهضة الشيعة ضد العباسيين وسر مطاردة العباسيين لهم وفيه كتب معاهدة بالبراءة من أهل البيت وفيه ترجمة قتيل فخر ويحيى الحسين واعمال المنصور والرشد والمتوكل مع العلويين
(١٦٧=١٩٧)	❖ الفصل الخامس ❖ براءة الشيعة من الغلو والغلاة
١٦٧-١٧٠	معنى الغلو وتاريخه وتطوره والتحقيق في أمر ابن سبأ
١٧٠=١٧١	نسبة الرحالة كل عقائد الغلاة إلى الشيعة وكنتنا في ذلك
١٧١=١٧٤	بعض عقائد الغلاة وفيه عقائد تسع فرق من أكبر فرقهم
١٧٥-١٨١	كلمات أئمة الشيعة وعلمائهم في البراءة من الغلو وجميع الغلاة
١٨١-١٨٤	السرد في عدد هذه الفرق الغالية من الشيعة
١٨٥-١٨٨	القرامطة وتاريخهم بإيجاز وبيان وقائعهم وبراءة الشيعة منهم
١٨٩-١٩٧	كلمة موجزة في الفرقة الباطنية وفي الغاية من الطعن على الفاطميين وفيه تحليل مفيد في تاريخ الباطنية واعمال الفاطميين واوضاعهم
(١٩٨-٢١٥)	❖ الخاتمة ❖ خطأ ثابت أودفع التهجم على شيعة إيران
١٩٨-١٩٩	كلمة نافعة للإتحاد بين المسلمين
١٩٩-٢٠٦	تفنيد ادعاء الرحالة ان الفرس يحجون إلى مشهد دون مكة وبيان اخبار الشيعة التي تفضل مكة على سائر بقاع الارض وبيان شروط الحج واحكامه وقصة تدل على احترام الأولياء
٢٠٢-٢٠٨	من زار من الملوك المشاهد المقدسة ومن دفن فيها منهم
٢٠٨-٢٠٩	تفنيد ادعاء الرحالة ان الفرس يوجبون الركوع للإمام
٢٠٩-٢١٠	تفنيد ادعاء الرحالة ان الفرس يلعنون الرشد لانه سني
	تفنيد ادعاء الرحالة ان الفرس يودعون الشمس كالمجوس
٢١١-٢١٢	تفنيد احتقاره الفرس ومدح مورغان الأمير كي لهم

الصحيفة

عنوان المواضيع

٢١٢-٢١٥ تنفيذ ادعاء الرحالة ان الشيعة يلبسون أطفالهم حلقات خاصة
 علامة انهم من ذرية «المتعة» وان للفتاة ان تزوج مرات عديدة
 في الليلة الواحدة ولا تعتد ، وان زواج المتعة عادة بابلية مقتبسة
 من معابد أشتر ومردوك

فهرس ثالي لحواسي كتاب « السبعة في التاريخ »

الصحيفة

الحواسي

- ٨ كلمة لابن خلكان في مذهب ابي حنيفة وكلمة للخطيب البغدادي في القياس
- ١٠ كلمة للخضري المصري بخطى فيها الحسين . وُصوب عمل يزيد ؟
- ١١ اشارة لبعض نزعات النشاشيبي وبيان غرضه من كتابه الاسلام الصحيح
- ١٧ كلمات لأحمد أمين المصري ومحمد عبد الله عنان وابراهيم حلمي العمر
 ثبت ان التشيع كان منذ وفاة النبي ﷺ
- ١٩ كلمة لابن حجر ثبت حديث يوم الغدير بكامله
- ٢١ كلمة لابن حجر ثبت حديث الثقلين وتشرح معناه ومثلها كلمة لابن الاثير
- ٢٢ كلمة لسبط ابن الجوزي ثبت حديث الوصية لعلي بن ابي طالب
- ٢٤ كلمات لابن ابي الحديد ثبت فيها الاخبار الواردة في فضل علي وبين
 فيها كرم معاوية في سبيل وضع الاحاديث بدم علي وأهل بيته .
- ٢٥ كلمة من كتاب خطط الشام تدحض كون التشيع من بدعة ابن سبأ
- ٢٧ رواية الراغب الاصبهاني لاعتراف عمر بأن علياً أولى منه ومن ابي بكر
- ٢٨ خطبة فاطمة الزهراء تؤنب فيها المهاجرين والانصار وتحتج عليهم
- ٢٩ كلمتنا في الحث على الاتحاد والتحاب وبذ الفوارق المذهبية

- ٣٣ تاريخ ولادة الأئمة الاثني عشر وتاريخ وفياتهم .
- ٣٦ كلمتان للشافعي وابن حجر توجيان الخمس لآل محمد صلوات الله عليه وآله وسلم
- ٣٧ بيان سر الاختلاف يوم السقيفة : وندارك ابي بكر وعلي أمر الدين .
- ٣٩ كلمة في أول فرق الخوارج وعمدة رؤسائهم وبعض عقائدهم
- ٤٠ ترجمة مالك بن الحرث المعروف بالأشتر النخعي
- ٤٢ كلمات للسيدة عائشة في الخوارج ومدح من يقتلهم .
- ٤٣ بعض اعمال الاشعث بن قيس ضد علي
- ٤٦ الاخبار التي وضعها سمرة بن جندب وخروجه لحرب الحسين
- ٤٧ ترجمة عبيد الله بن الحر الجعفي . وسليمان بن صرد الخزاعي أمير التوابين .
- ٤٩ ترجمة ابي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ومقتل عبد الله بن معاوية الطالبي
- ٥٠ ترجمة السيد الحميري الشاعر : وبيان عدوله عن مذهب الكيسانية
- ٥٢ تحطأة العقد الفردي نسمة الزهدية بالرافضة وترجمة ابي عبد الله الحسني .
- ٥٣ كلمة في كون الناصر الأطروش اثني عشر يا وبيان فضله
- ٥٥ إثبات أن السبب في قتل المنصور لأبي حنيفة هو تشيعه للحسينيين لا غيره .
- ٦١ ترجمة جوهر قائد المعز لدين الله الفاطمي
- ٦٤ بيان اسماء الذين كانوا أول من أظهر الاعتقاد بالوقف على الكاظم
- ٦٩ قصة الجائزة التي اخذها دعلب الخزاعي من الإمام الرضا
- ٧٣ التحقيق فيمن يطلق عليه العسكري هل هو الهادي أم ابنه الحسن ؟
- ٧٤ برائة الحسن العسكري من فارس بن حاتم بن ماهويه الغالي
- ٧٥ اخبار متعين كون المهدي من ذرية الحسين
- ٧٦ الذين ادعوا السفارة للمهدي وخروج توقيعات منه بلعنهم

الصحيفة

- ٧٨ ترجمة الناصر العباسي • والوزير ابن العلقمي وتبرئته من الخيانة
- ٨١ بيان من قتله القرامطة من بني علي
- ٨٥ كرامة للصادق في مجلس المنصور العباسي
- ٨٨ محاوراة الإمام الرضا مع الواقفية • وعدول بعضهم عن الوقف
- ٩٤ ترجمة عمار بن ياسر
- ٩٦ تخطئة الرحالة المصري في كون خالد بن الوليد صلى بقزوين
- ٩٧ ترجمة سلمان الفارسي • وعدي بن حاتم الطائي
- ٩٨ ترجمة هاشم المرقال
- ٩٩ كلمة في اعتذار البعض عن المتخلفين عن جيش أسامة
- ١٠٠ إقرار عمر بأنه منع من إحضار الدواة لما طلبها النبي ﷺ
- ١٠١ تحقيق جمع الخطب على باب دار فسطحة الزهراء و كلمة أبي سفيان في البعث
- ١٠٤ ما عمله خالد بن الوليد في حروبه وتفنيد ما اعتذر به عنه
- ١٠٥ كلمة معاوية في ذم الشورى والرد عليه
- ١٠٧ عدد من شهد مقتل عثمان من الصحابة
- ١١١ كلمة الإمام علي لما أريد على البيعة وشرحها للشيخ محمد عبده
- ١١٤ الاخبار الواردة في ذم قاتل علي بن أبي طالب
- ١١٥ تفنيد كلمة الرحالة حول مدفن علي
- ١١٨ حكاية ظرفة من مروج الذهب و ترجمة قيس بن سعيد بن عباد
- ١٢١ شهادة عبد الله بن سمعان مولى الحسين بأنه لم يطلب مبايعة يزيد ولا تسييره إلى أحد الثغور •
- ١٢٢ قول عمرو بن سعيد بعد قتل الحسين - يوم يوم بدر -

المصحية

- ١٢٣ مقتل الحر الرياحي سيّد نصرمة الحسين بعد توبّقه
- ١٣٣ مقابلة بين الشيعة قديماً وحديثاً
- ١٣٩ نصيحة عليّ لعمر يوم استشاره بالشخوص إلى حرب الأعاجم
- ١٤٠ اثبات ان الوليد بن عقبة صلي وهو صكران فربضة الصبح اربع ركعات
- ١٤٢ تساهل معاوية في أمر عثمان وإقناعه بنت عثمان بأنه أمير المؤمنين
- ١٤٣ كهف ارتشى عمرو بن العاص وكيف أبدى عورته وما قيل في ذلك
- ١٤٥ ترجمة عمر بن عبد العزيز وسبب سمه ومقتل خالد القسري
- ١٥٦ ترجمة الاشعري ٦ وعقائد الكرامية ٦ والمجسمة
- ١٦٠ كلمة شيوخ الشام لعبد الله بن علي العباسي وتفنيدها ٠ وسؤال عمر ابن عبد العزيز لأبيه عن تلجلجه في لعن علي وجوابه له
- ١٦٢ كيفية سم الرشيد لإدريس الحسني في بلاد طنجة
- ١٧٠ تخطيط الرحالة في إهمال ما امتازت به النجف
- ١٧٤ تخطيط ابن خلدون والمقريزي في الاستشهاد بيت شعر
- ١٧٧ كلمة عن الغلاة البريغية
- ١٨٥ تراجم رجال القرامطة وتاريخ حروبهم مع الملوك
- ١٨٨ كلمة عن الحسن بن الصباح زعيم الباطنية وأعماله
- ١٩٦ تخطيط ابن خلدون في تاريخ المحضر الذي كتبه القادر العباسي
- ١٩٧ بيان ان الشريف الرضي لم يمض المحضر وان المرتضى كان يثاقى
- ٢٠٢ بيان اخبار السنة في تفضيل كورة القيوم بمصر على سائر بقاع الأرض
- ٢٠٣ بيان تاريخ الحرب بين اليمن ونجد وأسبابها وما لعبته بعض الصحف العربية من الأدوار في التحيز لنجد واختلاق الأكاذيب على اليمن وإمامها وولي عهده